

يا أيها الذين آمنوا

بقلم الشیخة الموصیة
درة النساء فی القراءات العشر
صبریة یحیی حمودی / أم نصیر

مراجعة
الاستاذ حازم شاکر
ماجستير فی اللغة العربیة والعلوم الإسلامیة
والشیخ فتحي أحمد طه الزبیدي
مدير معهد الجوادی لإقراء القرآن الکریم

اسم الكتاب
يا أيها الذين آمنو

بقلم
**الشيخة الموصلية
صبرية يحيى حمودي**

جميع الحقوق محفوظة

للمؤلف

عدد الصفحات : ٢٨٨ صفحة
حجم الكتاب : ٢٥ X ١٧ سم
الطبعة : الأولى
سنة الطبع : ١٤٢٨هـ - ٢٠١٨م

تنسيق طباعي : كرم الفارس

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
الوطنية (١٦٧٧) لسنة ٢٠١٨م



الوسام

للطباعة والاستنساخ
موصل - شارع النجفي - عمارة الشبخون
موصل - المجموعة الثقافية - الفرع الأول بعد النفق
٠٧٧٠٢٠٤٣٨٨٠ - ٠٧٥٠١٧٤٤٠٠٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم الذي ارسله رحمة للعالمين وانزل عليه القرآن العظيم الذي يخاطب به العقل الذكي والقلب الطاهر والروح الصافية فلا تياسوا ولا تقنطوا وتفاءلوا فإن الله معكم والله حسبكم ، والله كافيكم ، والله حافظكم، ووليكم .

إنه الكتاب المعجز من الله تعالى ففيه الآية المحكمة والحديث الصادق والقول الفصل والقصة الموحية والفكرة الصائبة والتجربة الراشدة.

إقراءوا القرآن فإنه يطارد قلوب الاحزان واشباح الهموم وكوابيس الخوف والقلق.

إن القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تقنى عجائبه ولا تتقضي غرائبه ولا تُكشِفُ الظلمات إلا به وهو أمرٌ زاجر وصامتٌ ناطق وحُجَّةٌ الله على خلقه، أنزله نوراً لا تُطفئُ مصابيحُه وسراجا لا يخبو توقده وبحراً لا يدرك قعره ومحاجٍ لطرق العلماء ودواء ليس بعده دواء فيه رسائل كثيرة يخاطب بها الذين امنوا ، الذين قالوا ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فأمنوا .

فهذه (٨٨) ثمان وثمانون رسالة .

.... تنبيهه نداء أمر نهى

.... توجيهه إرشاد آداب

.... محبة خصوصية دعاء ...

.... إيمان تقوى عبادة

.... رضئى وعمل

من أين ؟ ؟ ؟ ! ! ! من الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد
الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد الخالق ، الرزاق ، البارئ ، المصور ،
الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر
لمن هذه الرسالة ؟ ؟ ؟ ! ! !

.... للذين آمنوا ... وأتقوا ... وأحسنوا ... وصابروا ورابطوا ...

وعبدوا ... وخضعوا ... وأقبلوا ... وجاهدوا

.... وصدقوا ... ورضوا ... وأقتنعوا

.... وفرحوا ... واطمأنوا ... وسمعوا ... وأطاعوا

.... وعملوا بما أمر الله ... وانتهوا عما نهوا عنه

اقرأ أخي واعمل

اقرأ ابني واعمل

اقرأ أختي واعلمي

اقرأ ابنتي واعلمي

إذا كنتم تحت هذه التسمية ﴿ بَارِئَهَا الَّذِينَ أَسْمُوا ﴾ لبوا النداء جميعاً ... قولوا
سمعنا وأطعنا، وسارعوا إلى مغفرة من الله ورضوان وجنة عرضها السموات
والأرض فالعمل بها واجب ونتيجتها الفوز بالجنة ورضا الله وإلاّ
فالنار تقول ! ! ! !

هل من مزيد

عافانا الله جميعاً منها

وأدخلنا الله برحمته وجوده وكرمه الجنة

ورضى الله عني وعنكم جميعاً

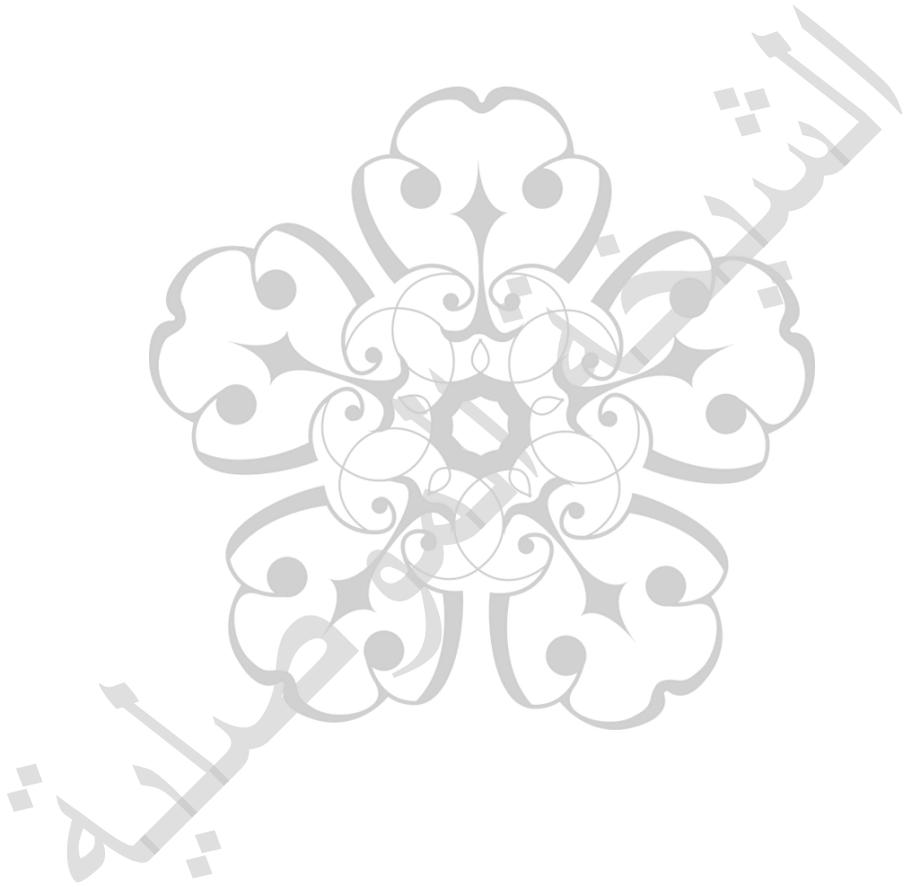
الشيخة الموصلية ((ام نصير))

صبرية يحيى حمودي

درة النساء الاولى في القراءات العشر

مديرة ثانوية السيدة عائشة ام المؤمنين

الإسلامية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الَّذِينَ يَبْلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا

﴿ ٣٩ ﴾ الأحزاب: ٣٩ .

انما اشرق نوره عليه الصلاة والسلام بما انعم الله عليه من جلال
الوحي وجماله فكان صلى الله عليه وسلم هدى للعالمين:-

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ

كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ

كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم

مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ

﴿ ١٦ ﴾ المائدة: ١٥ - ١٦

الاسلام يريد من الناس ان يسلكوا الطريق الى الحقيقة ، وهم يكابدون الحياة بواقعيّتها وخصائصِها ، ويزاولون حياة البشرية والخلافة الارضية بكل مقوماتها ، مؤكّدين ، بان لا حقيقة الا الله ولا وجود الا وجوده ولا فاعليّة الا فاعليّته ، وللمؤمن رصيذاً حضارياً كريماً موعلاً في وجدان المسلمين متماسكاً نسجُ وعيه بذاته وهويّته ، فمن ذا الذي يُنكرُ ان المجمعَ المسلمَ يُكابدُ من التحدّياتِ المعنويةِ مقدارَ ما يُكابدهُ منَ التحدّياتِ الماديّةِ ويتصدّرُ التحدّياتِ ((المدنية-الروحية-المعنوية)) ما يواجهه من تيهٍ فكريّ.

والمؤلّفَةُ الشّيخةُ الجليلَةُ في رسالتها تبذلُ قصارى جهودِها لتعزّيزِ خطابِ الله الخاصِّ-يا ايها الذين آمنوا- بما تتوارد على المجتمعات الاسلامية كثرةً متكاثرةً من المفاهيم التي تضعها المجتمعاتُ الاخرى. وتشير الرسالة مسؤولة الذين آمنوا في اضاءة معاقدها وتفكيك مغالقتها بل والتصدي لمتاهاتها واحابيلها- ((يا ايها الذين آمنوا))-رسالة شيقة كريمة غالية ، ياخذها القارئ بقوة ، ذلك منهج الانبياء والصدّيقين ، خطاب انتقاء خاص للنخب الايمانية ، مبارك من الله تتوافرها افكار تمنح الامة التحرك داخل التاريخ لينهض المكرّم باعمار الارض ذاكرًا نعمة التكريم الالهي له رسالة مدارس النفس المشتاقة الى النور

الرباني ، مدارسةً لتجليات الروح وتحصيل التزكية في رسالة الهدى بتهيئة النفس وتصفية الوجدان، مُفْتَتِحُهَا البسْملة-ذِكْرٌ ، وفكْرٌ ، وشكْرٌ.

واركان الاسلام ، الاحكام ، العبودية ، الاخلاص ، اليقين ، وضوح الموالاتة ، الاستعانة ، التوكل ، الهدى والرشاد ، وحقيقة معرفة الله باسمائه الحسنى تلك تملأ القلب ، تفتح البصائر ، تُدْرِكُ ان المنادي هو الخالق البارئ الرب الرحيم الكريم جل جلاله ، وان المعرفة به ربيعة ، فلا يملك الانسان الا السُّجود خاضعاً ، بين يديه.

هذا الملك العظيم ذو الجلال يتكرم بفضله واحسانه فينادي هذا المخلوق الضعيف-الانسان ، العبد القابع في كوكب الارض الذي لا يساوي ذرة صغيرة في عالم الملك والملكوت فيجعل للمؤمن صفةً ترفعه وتعليه الى المقام الاعلى رحمة منه تعالى وفضلاً ، نداءً خاص الى المكلف الانسان الاعمق وعياً.

-((يا ايها الذين آمنوا))-منهج للاتجاه الى الله وحده في الرغبة والرهبة في السراء والضراء في النعماء والبأساء ، منهج للتلقي من الله وحده تلقى لدين الاسلام والقرآن والايمان والتصور والقيم

والموازين والشرائع والقوانين والاضاع والنظم رسالة مسارها متفتح على معراج الروح. دعوية رشيدة في هذا الزمان. حاجة النفس لازمة لمعانيها ، بصائر تفتح انوار صفحاتها لمن يقبل عليها باخلاص القصد وتسير به الى منازل اهل القران في سعادة الدارين ؛ بحكمته سبحانه تفتح ابواب الخير ، يمهّد الطريق الى الجنة وتوكيل ملائكة الرحمة تُرسلُ اتساق المفردات انسجام المعاني ودلالاتها انسيابية الاسلوب مانوسيتها وتلطّفه ، متانته وحبكته نسج جمالي اروع انساً وابدع ، يلزم المؤمن الاستجابة لما يترتب عليه هذا الايمان وهو عهد المؤمن لله ان سينفذ ما آمن به قولاً ليمسي فعلاً.

وفي تذوق القارئ لمعاني الرسالة... جلال خاص يستأنس متأنياً متدبراً تنقدح له مصابيح الهدى ليزداد نورا فوق نور ايمانه ويفيض على قدر قوته وسعة وجدانه. تناسق دقيق ملحوظ لموضوعات المنادى والجو الذي هو فيه ، حرس الكلمات ، انتظامها ، الموسيقى ، الدلالات ، النغم الداخلي ، الايقاع العام ، معاني الاشارات ، تكامل الصور على تنوعاتها تترى باجزائها ، نسج مناسب ، لطيف ، كريم يقوي معاني المنادى له والتمكين والتزيين والجمال والموسيقى.

((يا ايها الذين آمنوا)) ، رسالة تعزُّزُ اوامره سبحانه ونواهييه-
افعل ولا تفعل-تعبدُ محضٌ ، سيَّرَ قلبي الى الله حقاً ، بنوره تتجلى
الروحُ وبحكمته تتزكى ، هي الهواء ، الماء ، الشفاء ، والدواء ،
نور الله والقرآن بين سطورها يشع على حاملها ، فاتح معانيها
مؤلفها ناشرها وكل من يرفع بصره الى السماء وبات يتبتل في
سكون الدُّجى يناجي ربه تشاركه ملائكة الرحمة ، عاملو الرسالة
مفعلوها يستجمعون القدرات ، يستثمرون الطاقات يستأنسون عن
قبول ورضى المزيد لتستعذب نفوسهم محلقةً في الافاق مصابيح
معلقةً في السماء يسطع ما ينقدح في قلوبهم من نور الايمان ترقى
تندمج في فضاءات القران يتشربون آياته ، كلُّ في ميدانه ومجال
عمله في بحر الحياة ،

((يا ايها الذين آمنوا)) ، لحكمة تربية وموافقات ربانية هي
رسالة الى الشباب الباحثين عن وارد من نورٍ يُخرِجُهُم من
حَيْرَتِهِم من ظلمات هذا الزمن العصيب.

هي رسالة كرم الى جموع التائبين الأيبين الى منهج الله وصراطه
المستقيم المُثَقَلين بجراح الخطايا والذنوب الراغبين في التطهر
والتزكية الطامعين الى رحمته تعالى.

بِاللَّهِ الْخَالِقِ الْمَعِينِ اسْتَعَانَتْ مَوْلَفَتَهَا وَبِحَرِيَّةِ فِكْرِ الْمُؤْمِنِ جَالَتْ
النَّظَرَ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ احْضَرَتْ الْغَائِبَ وَجَلَّتِ الْمَلْتَبِسَ رِسَالَةَ
أَحَقَّ بِالْعِلْمِ مَا لَا يُرْتَابُ فِيهَا.

اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالْقُرْآنِ وَاجْعَلْهُ لِي إِمَامًا وَنُورًا وَهَدًى وَرَحْمَةً ،
اللَّهُمَّ ذَكِّرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ ، وَعَلِّمْنِي مِنْهُ مَا جَهِلْتُ ، وَارْزُقْنِي
تِلَاوَتَهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ وَاجْعَلْهُ حِجَّةً لِي يَا رَبَّ
الْعَالَمِينَ.

اسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَقْبَلَ ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)) التَّشْرِيفَ الْحَقَّ
هَذَا بِأَحْسَنِ الْقَبُولِ وَأَنْ يَبْلُغَ عَامِلَهُ ، سَامِعَهُ ، قَارِئَهُ ، كُلَّ مَقْصَدٍ
مَأْمُولٍ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مَعْلَمِ الْبَشَرِيَّةِ ضِيَاءِ الْهَدْيِ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ الْإِكْرَمِ
وَصَحْبِهِ أَوْلِي النَّزَاهَةِ وَالْفَضْلِ وَالْكَرَمِ.

الاستاذ / حازم شاكر مصطفى
ماجستير في اللغة العربية والعلوم الإسلامية
المشرف الاختصاص التربوي
في اللغة العربية والتربية الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة والسلام وأتمّ التسليم على سينا
وحبيبنا محمدٍ الهادي البشير وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فقد يسّر الله لي أن أطلع على هذا المؤلف المبارك الموسوم بكل معانٍ
الخير والبركة لاختنا الشيخة الفاضلة [أم نصير] فقد أحصت عبارة (يا أيها
الذين آمنوا) في كتاب الله العزيز وأظهرتها مع مدلولاتها في الآيات وأسباب
نزولها بعد أن أمعنت النظر وغاصت في كتب التفسير وأسباب النزول لتنبهنا من
خلال ما أوضحتها لنا أنّ عبارة (يا أيها الذين آمنوا) جاءت نداءً من الباري عز
وجل يحمل في طياته الكثير من الأغراض البلاغية تكمن في الغالب بعد هذه
العبارة وقد بينتها الكاتبة الفاضلة في مقدمتها للكتاب .

ومن جميل ما عشته بين ثنايا هذا المؤلف المبارك دلالة حروف المد
وخاصة المد المنفصل في عبارة يا أيها الذين آمنوا . وأكثر ما نجد ونلاحظ في
هذه الآية كثرة وجود حروف المدّ . فالألّف والياء والواو سُخِّرَت لتؤدي معانٍ
أرادها الله جلّ في علاه .

نعم ... استخدمت حروف المدّ كموصلات شعورية مقصودة مُتعمّدةٍ من
الله سبحانه وتعالى للمخاطبين الذين خصهم الله بالنداء بمعنى (انتبهوا) ...
احذروا ... فبعد النداء أمر جَلَل . دار ذلك الأمر بين النهي والزجر والاستفهام
والتوبيخ والترغيب والترهيب . هذا الكتاب جديرٌ بالاطلاع عليه لما فيه من

جواهر ودُرر . جلَّتْها لنا المؤلِّفة جزاها الله خيراً . وختاماً أسأل الله جلَّ في علاه أن يجعل ذلك في ميزان حسناتها وينفع بها ويكرمها في الدارين ، وأن يصلح لنا ولها الظاهر والباطن ويرزقنا حسن التوجه والمقصد إنه على ذلك قدير وبالإجابة
جدي .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الشيخ فتحي أحمد طه الزبيدي

مدير معهد الجوادي

لإقراء القرآن الكريم

الأدب مع النبي (صلى الله عليه وسلم)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا
وَأَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ
رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ البقرة: ١٠٤ - ١٠٥

هذا أول خطاب خوطب به المؤمنون في هذه السورة بالنداء الدال على الإقبال عليهم ونداء المخاطبين باسم المؤمنين يذكرهم بأن الإيمان يقتضي من صاحبه أن يتلقى أوامر الله ونواهيه بحسن الطاعة والامتثال.

وكان المسلمون يقولون لرسول الله ﷺ حين يلقنهم شرائع الدين وأحكامه : راعنا ، أي لاحظنا وتأن علينا فيما تلقيناها حتى نفهمه .. وسمع ذلك اليهود فوجدوا هذا التعبير فرصة سانحة لهم ليسخروا من رسول الله ويتضحوا ، فكانوا يخاطبونه بقولهم : راعنا وهي كلمة عبرية معناها : يا أحق ، فهم يقصدون سببه بنسبة الرعونة والحمق ، وسمعهم سعد بن عبادة يكررونها فقال : يا أعداء الله ، عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه ، فقالوا : أو لستم تقولونها ؟ فنهى المسلمون عن استعمال هذه الكلمة نهياً من الله تعالى وأمروا أن يقولوا لرسول الله : (انظرنا) منعاً للبس

وإبعاداً عن المتشابه ، وطلب منهم أن يسمعوا ما أمروا به سماعُ قبول ، أمّا الكافرون الذين أهانوا الرسول وسبّوه فلهم عذاب أليم يوم القيامة .
وكان جماعة من اليهود بعد أن نبّه أمر الرسول يُظهرون المودة للمؤمنين ويزعمون أنهم لا يحبون لهم إلاّ الخير ، فبيّن الله خبث طويتهم وفضح كذبهم فيما تظاهروا به لما خالط قلوبهم الحسد والكراهية ، بأنهم والمشركين لا يحبون أن ينال المسلمين أيّ خير من عند الله ، ويدخل في مفهوم الخير : الوحي الذي كان ينزل على الرسول ، والله يختص برحمته من يشاء من عباده ، فينزل الوحي ويعلمه الحكمة ويؤيده بنصره .. والله ذو الفضل العظيم .



الاستعانة بالصبر والصلاة والشهادة في سبيل الله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ
﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا
تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَنْفُسِ وَالْثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا
إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ البقرة: ١٥٣ - ١٥٧

أمر الله المؤمنين في مسيرة الحياة أن يستعينوا بأمر ثلاثة هي : الصبر،
والصلاة ، والشهادة في سبيل الله.

أما الصبر فهو نصف الإيمان ودرع أهل العزيمة والإرادة القوية وهو طريق
النصر والغلبة والفلاح، والله أكد في آيات كثيرة أنه مع الصابرين يؤيدهم بولايته
ورعايته وينصرهم بتوقيه وتثبيتته، ويحب دعاءهم ويعزز موقفهم ويحميهم من
الأذى .

وأما الصلاة والاستعانة بها فلأنها من العبادات، وصلة العبد بالله تعالى، وطريق
الفرج بعد الكرب، واليسر بعد الصبر، وهي تعصم المؤمنين من الانحراف،
وتهذب النفوس، وتتهى أصحابها الخاشعين فيها عن الفحشاء والمنكر.

وأما القتال في سبيل الله فهو طريق الحفاظ على الحقوق والظفر بالجنة والشهادة، وأساس تحقيق المجد والعزة والكرامة واستقلال الأوطان وصدّ العدوان المعتدين واسترداد الحقوق المغتصبة.

وقد صحح القرآن الكريم مفاهيم الناس عن الشهداء فهم خالدون على مدى التاريخ ولهم الدرجات العلى عند الله تعالى.

قوله تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ﴾ نزلت في قتلى بدر وكانوا بضعة عشر رجلاً، ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين، والسبب أن الناس كانوا يقولون لمن يقتل في سبيل الله، مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فأنزل الله تعالى هذه الآية [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري].

هذا بيان قاطع بأن الشهداء أحياء في قلوب الناس والتاريخ وأحياء في قبورهم وأرواحهم الطاهرة في حواصل طير خضر في الجنة.

وأخبر الله تعالى بأن المؤمنين يتعرضون للمصائب بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال بضياعها والأنفس بموتها والثمرات بقتلها لتهدأ النفوس وتستسلم إلى الله، راضين بقضائه وقدره إذا ما أصابهم شيء من ذلك في الدنيا محتسبين الأجر والثواب عند الله قائلين إنا لله وإنا إليه راجعون والصابرون يوفون أجورهم بغير حساب والشهداء تنزل عليهم المغفرة من الله والرحمة وأولئك هم المهتدون إلى الأفعال النافعة والخير الكثير.

إِبَاحَةُ الطَّيِّبَاتِ وَتَحْرِيمُ الْخَبَائِثِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ البقرة: ١٧٢ - ١٧٣

يا أيها المؤمنون : كلوا مما أبخنا لكم أن تأكلوا من مستلذات ما رزقناكم سوى ما حُرِّمَ وقوموا بحقوق الله واشكروا الله على ما رزقكم وأحلَّ لكم ، إن كنتم تخصصونه بالعبادة فإن عبادة الله لا تتم إلا بشكر النعم .. ولا تأكلوا ما حرم الله عليكم وهو :

أ. لحم الميتة / وهي التي تموت من غير ذبح شرعي لأنها ماتت من جراء مرض معدي أو من عارض لا يؤمنُ ضرره. ما عدا السمك والجراد
ب. الدم المسفوح / وهو الدم الذي ينزل من حيوان بشق عرق فيه فيؤخذ ويملاً به المصران ويشوى ويؤكل وحرمه الله لأن الدم مسرح الجراثيم وقد يكون فيه من الجراثيم ما لا تموت بحرارة النار فتنتقل العدوى من الحيوان المريض إلى الشخص السليم ، ولأنه عسر الهضم جداً ويستثنى من ذلك الكبد والطحال.

ج. لحم الخنزير / لقذارته لأنه يسبب الدودة الوحيدة ، كما ثبت في العلم والتجربة وهي دودة قتّالة فتآكة ، هذا إلى إنه أعسر اللحوم هضمًا لكثرة شحمه.

د. ما نودي باسم غير الله عند ذبحه / كما يفعل المجوس وعبّاد الأوثان فهم ينادون باسم ما يعبدونه .. فأكل لحمه محرّم لأنهم نذروه لغير الله ولم يذكروا اسم الله عليه عند ذبحه.

فمن ألجأته الضرورة إلى تناول شيء مما حرّمه الله على أن لا يبغى من الأكل التلذذ وبشرط أن يتناول ما يمسك الرمق ويبقى الحياة .. فلا ذنب عليه ولا يؤاخذة الله فيما أكل.



عقوبة القصاص

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْعَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَّاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ البقرة: ١٧٨ - ١٧٩

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ الآية، قال الشعبي: كان بين حيين من أحياء العرب قتال، وكان لأحد الحيين طولٌ على الآخر، فقالوا نقتل بالعبد منا أحرر منكم وبالمراة الرجل فنزلت الآية. لأسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

كان في أهل الجاهلية بغي وطاعة للشيطان فكان الحي إذا كان فيه عزٌّ ومَنعة فقتل لهم عبداً وكان قاتله عبد قوم آخرين، قالوا: لا نقتل به إلا حراً منهم. وإذا قُتلت منهم امرأة قالوا: لا نقتل بها إلا رجلاً، وإذا قُتل منهم وضيع قالوا: لا نقتل منهم إلا شريفاً، وكان على هذا البغي حيان من أحياء العرب، حدثت بينهما دماءً وكان لأحد الحيين طولٌ وقوة على الآخر، فأقسموا لنقتلن الحرَّ منكم بالعبد، والذكر بالأنثى، فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية وأمرهم رسول الله أن يكون القصاص على أساس التكافؤ في القتل وعلى أساس قتل من قتل، كائناً من كان، فلا يقتص من غير القاتل، وإنما يجب أن يقتص

من القاتل فقط، وعلى الجماعة إذا كان بينهما قتيل أن تدلّ على القاتل إذا عرفوه فإذا أدعوا الاشتراك في قتله قتلوا جميعاً به.

لقد قتل عليّ الحرورية وهي (طائفة من الخوارج) بعبد الله بن خباب لما ناداهم أن أخرجوا إلينا القاتل فقالوا : كلنا قتله، فأمر عليّ أصحابه أن يقتلوه جميعاً به.

ولا يزال هذا البغي قائماً بين كثير من الناس فإذا قتل من أسرة القاتل، أو عظيم فيها، فقتلوه بقتلهم، وإن لم يكن هو القاتل، هذا إثم وعدوان وبغي بغير حق، لا يرضى عنه الله، ولا يقره الإسلام.

وتنفيذ القصاص أمر واجب على الحاكم وليس لولي الأمر أن يقتص بنفسه فإن فعل ذلك عُدّب في الآخرة، وعوقب في الدنيا، فلو ثبت القتل على شخص فليس لأسرة القتيل أن تقتص منه ، فإن فعلت تعرضت للعقاب في الدنيا والآخرة، لأن القصاص هو من واجب الدولة، قوله تعالى : ﴿ كُذِّبَ عَلَيْكُمْ ﴾ أمر موجه إلى الحاكم الذي عليه تنفيذ القصاص من القاتل حقناً للدماء.

والقصاص من القاتل حق لوليّ الأمر، فإذا أراد تنفيذ القتل في القاتل نفذ، وله أن يعفو عنه ويترك المطالبة بقتله، وفي هذه الحالة يأخذ من القاتل الدية (دية القتل)، وإذا عفا وليّ الأمر عن القاتل ورضي أن يأخذ الدية فعليه أن يتبع في طلبها عن طريق اللين والمعروف لا طريق الشدة والعنف كما ان القاتل أن يدفع الدية بالإحسان ولا يسلك سبيل المماطلة والتسويف لأن الله حثّ وليّ الأمر أن يحسن المطالبة كما حثّ القاتل أن يحسن الأداء فقال : ﴿ فَأَتْبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ﴾

ولقد كتب الله على بعض الأمم السابقة القصاص فقط، وكتب على بعضها العفو والدية فقط، ولكنه رحمة بالمسلمين خَيْرَ وليّ القتل بين القصاص والعفو والدية نفعاً لهم وتيسيراً عليهم وتخفيفاً ورحمة بهم.

فعلى المسلمين الالتزام بالحدود التي بيّنها الله ﷻ في القصاص وعدم تجاوزها فلا يجوز أن ينفذ القصاص في القاتل غير الحاكم ولا يجوز أن يقتل غير القاتل ولا يجوز أن يعفو وليّ الأمر عن القاتل ويأخذ الدية ثم يقتله بعد ذلك، فمن فعل ذلك جوزي في الدنيا بالعقاب وفي الآخرة بالعذاب.

وقد شرّع الله القصاص حقناً للدماء وإبقاءً للحياة ولهذا جعل الله القصاص حياة للناس لا مجرد العلم به، فعليكم يا أصحاب العقول الكاملة أن تقيموا حدود القصاص كما شرّعها الله وكتبها عليكم.



صِيَامُ رَمَضَانَ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ
 مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ
 طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
 كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
 لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ
 وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ
 بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا
 اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ البقرة: ١٨٣ - ١٨٥

يا أيها الذين آمنوا فرض عليكم الصيام كما فرض على المؤمنين من أهل
 الملل قبلكم، وفي هذا تأكيد وترغيب وتطبيب للنفوس فانه عبادة شاقة والأمور
 الشاقة إذا عمّت كثيراً من الناس سهل تحملها.

روي عن الحسن أنه قال : إن الله تعالى فرض الصيام على اليهود
 والنصارى، أما اليهود فإنها تركت هذا الشهر وصامت يوماً واحداً من السنة
 زعموا انه يوم غرق فيه فرعون، وأما النصارى فإنهم صاموا رمضان فصادفوا فيه
 الحر الشديد فحوّلوه إلى وقت لا يتغير ثم قالوا عند ذلك : نزيد فيه فزادوا عشراً،

ثم بعد زمانٍ اشتكى (أي مرض) ملكهم فَنَدَرَ سبْعاً فزادوه، ثم جاء بعد ذلك ملك آخر فقال : ما بال هذه الثلاثة فأتمه خمسين يوماً وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ اَتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُحْبَابَهُمْ أَزْكَابًا ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي انه فرضه عليكم ليعدكم لتقوى الله بترك الشهوات المباحة الميسورة امتثالاً لأوامره تعالى واحتساباً للأجر فتربي بذلك العزيمة والإرادة على ضبط النفس وترك الشهوات المحرمة والصبر عليها، وقد جاء في الحديث : " الصيام نصف الصبر " [سنن ابن ماجه] وبهذا نعلم انه ما كتب علينا الصوم إلا لمنفعتنا، لا كما يعتقد الوثنيون ان القصد منه تسكين غضب الآلهة إذا عملوا ما يغضبهم، أو استمالتهم في بعض الشؤون والأغراض، لان الآلهة لا ترضى إلا بتعذيب النفس وإماتة خطوط الجسد وشاع هذا الاعتقاد حتى جاء الإسلام فمحا ذلك.

من فوائد الصوم :

١- إن الصوم يعوّد الإنسان الخشية من ربه في السرّ والعلن، إذ أن الصائم لا رقيب عليه إلا ربه، فإذا ترك الشهوات التي تعرض له من أكل نفيس وشراب عذب وفاكهة يانعة وزوجة جميلة، امتثالاً لأمر ربه وخضوعاً لإرشاد دينه مدة الصيام شهراً كاملاً ولولا ذلك لما صبر وهو في أشد الشوق إليها وانه بتكرار ذلك يتعود الحياء من ربه والمراقبة له في أمره ونهيه وفي ذلك تكميل له وضبط للنفس عن شهواتها، وشدة مراقبتها لبارئها.

ومن كملت لديه هذه الصفة لا يقدم على غش ولا مخادعة ولا على أكل أموال بالباطل ولا على هدم ركن من أركان الدين كالزكاة ولا على اقتتراف المنكرات وإذا ألمَّ بشيء منها يكون سريع التذكر وقريب الرجوع بالتوبة الصحيحة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَلَدِيكَ أَتَقَوُّ إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ

الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ الأعراف: ٢٠١

وقد جاء في الحديث : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " من صامَ رمضان ، إيماناً واحتساباً ، عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه " [صحيح البخاري - كتاب الإيمان]، أي صغائر ذنوبه وكبائرها إذا تاب منها قبل الصوم، وجاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ : " قال الله : كلُّ عمل ابن آدم له ، إلا الصيام ، فإنه لي وأنا أجزي به " [صحيح البخاري - كتاب الصوم]

٢- هذا وإن الصوم يكسر حدة الشهوة كما جاء في الحديث : عن عبد الله بن مسعود : لقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء " [صحيح مسلم - كتاب النكاح] . والوجاء : رضّ الانثيين، وهو كالخصاء وضعف للشهوة الزوجية.

٣- انه يعود الشفقة والرحمة الداعين إلى البذل والصدقة فعندما يجوع يتذكر من لا يجد قوتاً فيرق قلبه ويشفق عليهم بالبذل والعتاء.

٤- فيه مساواة بين الأغنياء والفقراء والملوك وعامة الناس في أداء فريضة واحدة.

٥- تعويد الأمة النظام فهم يفطرون في وقت واحد لا يتقدم واحد على الآخر.

٦- إنه صحة للأجسام ويطهر الأمعاء من السموم التي تحدثها البطننة،

ويذيب الشحم الذي هو شديد الخطر على القلب، عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ : " وصوموا تصحوا " [المعجم الأوسط للطبراني]

وقال أيضاً : عن أبي هريرة ؓ ، أن رسول الله ﷺ ، قال : " الصيامُ جُنَّةٌ

.... " [صحيح البخاري - كتاب الصوم] أي وقاية من المعاصي والآثام.

ويرى الأوزاعي إن الغيبة تفطر الصائم، وقال ابن حزم : يبطله كل معصية

متعمد لها، وقال الغزالي : من يعصي الله وهو صائم كمن يبني قصرًا ويهدم مصرًا.

إن أكثر الصائمين يثير سخطه وغضبه لأدنى سبب حتى صاروا

يعتقدون انه أثر طبيعي من الصوم، وهذا الأثر منافعٍ للتقوى التي شرع

الصيام لأجلها. ونرى أكثر الناس استعداداً لرمضان تهيئة الأكل والشرب حتى

أنهم لينفقون ما يكاد يُنفق لمدة سنة فكأن رمضان موسم أكل وكأنَّ الإمساك

عن الطعام في النهار لأجل الاستكثار منه في الليلة، إنها أياماً معدودات أيام

رمضان فإن الله لم يفرض علينا صوم الدهر كله ولا أكثره تخفيفاً ورحمة

بالمسلمين.

فمن كان مريضاً أو على سفر فالواجب عليه إذا أفطر القضاء بقدر عدد الأيام التي لم يصمها. والسفر الذي يباح فيه الفطر يباح فيه قصر الصلاة. روى مسلم واحمد وأبو داوود، عن أنس بن مالك قال : " كان رسول الله ﷺ إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال ، أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين " [وهذا لفظ مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها] ، يريد أنه يقصر الصلاة. وهذه المسافة وإن قطعت الآن في دقائق معدودات مبيحة للفطر إذ العبرة بقطع مثل هذه المسافة لا بالزمن الذي تقطع فيه.

ومن صام رمضان وهو مريض أو مسافر فقد أدى الفريضة ومن أفطر وجب عليه القضاء، وبذلك كان عمل الصحابة فقد ورد في الصحيح إنهم كانوا يسافرون مع النبي ﷺ منهم المفطر ومنهم الصائم لا يعيب أحد على الآخر وأنه كان يأمرهم بالإفطار عند توقع المشقة فيفطرون جميعاً روى أحمد ومسلم عن أبي سعيد قال : سافرنا مع رسول ﷺ إلى مكة ونحن صيام ، قال : فنزلنا منزلاً فقال رسول الله ﷺ : " إنكم قد دنوتم من عدوكم ، والفطر أقوى لكم " فكانت رخصة ، فمننا من صام ومننا من أفطر ، ثم نزلنا منزلاً آخر ، فقال : " إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا ، فكانت عزيمة فأفطرننا " [وهذا لفظ أحمد بن حنبل] . وروي عن عائشة رضي الله عنها ، - زوج النبي ﷺ - : أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ : أصوم في السفر ؟ - وكان كثير الصيام - ، فقال : " إن شئت فصم ، وإن شئت فأفطر " [صحيح البخاري - كتاب الصوم] وفي رواية مسلم انه أجابه بقوله : " هي رخصة من

الله ، فمن أخذ بها ، فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه " [صحيح مسلم - كتاب الصيام] .

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ﴾ والذين يطيقونه بمشقة هم الشيوخ الضعفاء والمرضى الذين لا يرجى براء أمراضهم .

إن المؤمنين في صيامهم ثلاثة أقسام :

١- المقيم الصحيح القادر على الصيام بلا ضرر ولا مشقة والصوم حتم واجب عليه وتركه من الكبائر .

٢- المريض والمسافر ويباح لهما الإفطار مع وجوب القضاء لما في المرض والسفر من التعرض للمشقة فإذا علمنا ان الصوم يضر بهما وجب الإفطار .

٣- من يشق عليه الصيام لسبب لا يرجى زواله كهرم أو ضعف بنية ومرضى مزمن لا يرجى شفاؤه، وأشغال شاقة دائمة وحمل وإرضاع وهؤلاء لهم ان يفطروا ويطعموا مسكيناً عوضاً من كل يوم بقدر ما يشبع الرجل المعتدل الأكل .

﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ﴾ ومن زاد في الفدية فذلك خير له لأن ثوابه عائد إليه، وهذا التطوع يشمل أصنافاً ثلاثة :

١- أن يزيد في الإطعام على مسكين واحد فيطعم بدل الواحد اثنين أو أكثر .

٢- أن يطعم المسكين الواحد أكثر من القدر الواجب .

٣- أن يصوم مع الفدية.

﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ أيها المرضى والمسافرون إن كنتم تحتلمون ذلك لما فيه من رياضة الجسد والنفس والتقوى والإيمان، إن كنتم تعلمون وجه الخير ولمصلحة أنفسكم.

وقد بين الله سبحانه وتعالى الأيام المعدودات قائلاً: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ أي في هذا الشهر الذي بدأ فيه إنزال القرآن منجماً في ثلاث وعشرين سنة لهداية الناس إلى صراط مستقيم، الفارق بين الحق والضلال.

﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ فمن شهد منكم دخول الشهر برؤية الهلال ومن لم يشهدوا الشهر كسكان البلاد القطبية التي يكون فيها الليل نصف سنة في القطب الشمالي، بينما يكون نهاراً في القطب الجنوبي والعكس بالعكس، فعليهم أن يقدروا مدة تساوي مدة شهر رمضان. والتقدير على البلاد المعتدلة التي وقع فيها التشريع كمكة والمدينة وقيل على أقرب بلاد معتدلة إليهم.

﴿ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ أعيد ذكر رخصة الإفطار مرة أخرى، لئلا يظن أن صوم هذا الشهر محتم لا تتناوله رخصة أو تتناوله ولكنها غير محمودة ولا سيما بعد تعظيم أمر الصوم فيه، حتى روى أن بعض الصحابة رضي الله عنهم مع علمهم بالرخصة في القرآن كانوا

ليتحامونَ الفطر في السفر، حتى ان النبي ﷺ كان يأمرهم به في بعض الأسفار فلا يمتثلون حتى يُفطر هو.

يريد الله في هذه الرخصة من الصيام أن يجعل دينكم يسراً لا عسر فيه ولتكمّلوا العدة أي إذا فطرتكم لمرض أو سفر فعليكم القضاء، لا يفوتكم شيء من بركة رمضان.

واذكروا عظمة الله على ما هداكم وتفضل عليكم بالرخص ولعلكم تشكرون نعمه كلها فيكمل إيمانكم ويرضى الله عنكم وعنّا جميعاً.

وذكر الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز تكملة لفريضة الصيام وماذا أحل الله في الصيام في سورة البقرة :

﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٍ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْآيِلِ وَلَا تَبْشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ البقرة: ١٨٧

بعد ان ذكر الله أن الصوم فرض علينا كما فرض علينا كما فرض على من قبلنا وذكر الأعذار المبيحة للفطر. قال ﷺ ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ أي أحل ليلة الصيام القرب من نساءكم وقد علمنا الله النزاهة في التعبير عن هذا الأمر حين الحاجة إلى الكلام فيه بعبارات مبهمة كقوله : (لامستم النساء ، أفضى بعضكم إلى بعض، دخلتم بهن، فلما تغشاها حملت)

ثم بين سبب هذا الحكم فقال ﴿ هُنَّ لِيَأْسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسُ لَهُنَّ ﴾ أي رخص لكم في مباشرتهن ليلة الصيام، علم إنكم كنتم تعتقدون شيئاً ثم تلتزمون العمل به إذ قد ذهب بهم اجتهادهم إلى إنهم يحرمون على أنفسهم بعد النوم ما يحرم على الصائم في النهار لكنهم قد خافوا أنفسهم بحسب اعتقادهم، فهم عاصون بما فعلوا ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾ أي قبل توبتكم وعفا عن خيانتكم أنفسكم ﴿ فَأَلْفَنَ بِشِرُّوهُنَّ وَأَبْتَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ الآن بأشروهن بمقتضى الفطرة من جعل المباشرة سبباً للنسل وإلحصان كل منهما الآخر وحده عن الحرام ومن ثم قال ﷺ للفقراء: " وفي بضع أحدكم صدقة ، قالوا : يا رسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : " أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر " [صحيح مسلم - كتاب الزكاة]

ويباح لكم الأكل والشرب والمباشرة عامة الليل حتى يظهر بياض النهار من سواد الليل ويتبين بطول الفجر الصادق.

وأستدل الأئمة بالآية على صحة صوم من أصبح جنباً لأن المباشرة أبيضحت إلى طلوع الفجر والصائم لا يمكنه الاغتسال إلا بعده وعلى أنه إذا طلع الفجر وهو يأكل أو يشرب فنزع تم صومه ، لأنه لو أكل ضائناً ان الفجر لم يطلع صح صومه، ثم استمروا في صيامكم إلى ابتداء الليل بغروب قرص الشمس وما يلزمه من ذهاب شعاعها عن جدران البيوت والمآذن وبتلو ذلك إقبال الليل، عن عمر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ: " إذا أقبل الليل

وأدبر النهار ، وغابت الشمس فقد أفطر الصائم " [صحيح مسلم - كتاب
الصيام]

وقد منع الله تعالى المباشرة حين الاعتكاف في المساجد للعبادة فان
المباشرة تبطل الاعتكاف ولو ليلاً كما تبطل الصيام نهاراً.

﴿ تَلَّكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾ إذ من قرب من الحد أو شك أن
يتعداه فالاحتياط يقتضي ألا يقرب الحد حتى لا يتجاوزهُ بالوقوع فيما بعد ومن
ثم جاء في الحديث : "....، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه ، وعرضه ،
ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى ، يوشك
أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه" [صحيح
مسلم - كتاب المساقاة]

فالتحذير في هذه الآية أشد منه في الآية الأخرى ﴿ تَلَّكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا
تَعْتَدُوهَا ﴾ البقرة: ٢٢٩ والله لم يمه قرب حدوده إلا في هذه الآية وفي الزنا وفي
مال اليتيم، ولكن تعدد الوعيد على تعديها.

إن هذا هو الطريق السوي يبين أحكام الله في الصيام وخصته وفائدته
ومشروعيته ليعدهم لتقواه ويباعدهم عن الهوى.



الاستسلام والخضوع لله والإخلاص له

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ
يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ
وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٨ - ٢١٠

قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ الآية.

أخرج ابن جرير عن عكرمة قال : قال عبد الله بن سلام، وثعلبة وابن
يامين وأسد وأسيد إينا كعب وسعيد بن عمرو وقيس بن زيد كلهم من يهود : يا
رسول الله، يوم السبت يوم نعظمه فدعنا فلنسبت فيه وأن التوراة كتاب الله فدعنا
فلنقم بها بالليل فنزلت الآية. [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

أصل السلم، التسليم والانقياد، فيطلق على الصلح والسلام وعلى دين
الإسلام، في الآية الكريمة خطاب للذين آمنوا ان ادخلوا في أحكام الإسلام كلها
التي أساسها الاستسلام والخضوع لله والإخلاص له. ومن أصوله الوفاق
والمسالمة بين الناس وترك الحروب بين المهتدين بهديه، والأمر بالدخول فيه أمر
بالثبات والدوام كقوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ الأحزاب: ١.

يا أيها الذين آمنوا بالألسنة والقلوب دوموا على الإسلام ولا تخرجوا عن
شرائعه بل خذوا الإسلام بجملته وتفهموا مراده وانظروا في كل مسألة إلى

النصوص القولية والسنة المتبعة فيها واعملوا بذلك، لا أن يأخذ لكل واحد بكلمة أو سنة ويجعلها حجة على الآخر وإن أدى إلى ترك ما يخالفها من النصوص والسنن وبهذا يرتفع الشقاق والتنازع ويعتصم المسلمون بحبل الوحدة الإسلامية التي أمرنا الله بإتباعها في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْفِئْتُمَ بَينَهُمُ الْفُجُورَ أَتَمَّ ۚ وَمُنَازَعَتِهِمْ إِذْ يَسْتَأْذِنُ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ أَن يُوقِعُوا فِي عُنُقِهِم مَّا يَكْتُمُونَ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سُمُّهُم بِمَا يَكْتُمُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَليمٌ بِمَا كَتَبُوا ۚ﴾ [سورة المائدة: ٤٦] وقوله ﷺ: " لا ترجعوا بعدي كفاراً ، يضرب بعضهم رقاب بعض " [صحيح البخاري - كتاب العلم]

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي لا تتبعوا سبل التفرق في الدين والتنازع إذ هي وسيلة الشيطان يزينها للناس فقد كان اليهود أمة واحدة مجتمعة على كتاب واحد فوسوس لهم الشيطان فتفرقوا وجعلوا لهم مذاهب وشيع، وأضافوا إلى الكتاب ما أضافوا وحرفوا من حكمه ما حرفوا، فسلط الله أعداءهم فمزقوهم كل ممزق لان الشيطان ظاهر العداوة للإنسان.

﴿فَإِن زَلَلْتُمْ﴾ أي إذا خُذتم عن صراط الله وهو السلم وسرتم في طريق الشيطان وهو طريق الخلاف والافتراق فاعلموا أن الله يأخذكم أخذ عزيز مقتدر فهو عزيز لا يُغلب على أمره حكيم لا يهمل شأن خلقه ولحكيمته جعل لكل ذنب عقوبة.

ولا تقوم للأمم قائمة إلا إذا أقامت العدل بين أفرادها وكانت صالحة لعمارة الأرض كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] ثم زاد في التهديد والوعيد، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَأِكَةِ﴾ هل ينتظر المكذبون

إلا أن يأتيهم الله بما وعدهم به من الساعة والعذاب في ظلل من الغمام عند خراب العالم وقيام الساعة وتأتي الملائكة وتتفد ما قضاه الله يومئذٍ؟
والحكمة في نزول العذاب في الغمام إنزاله فجأة من غير تمهيد ينذر به ولا توطئة توطئ النفوس على احتماله، إلى ان الغمام فطنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان أفظع وأشد هولاً والخوف إذا جاء من موضع الأمن كان خطبه أعظم.

ونحو الآية قوله : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَيُنزِلُ الْمَلَكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ (الفرقان: ٢٥)

وفي الآية عبرة للمؤمن للمبادرة إلى التوبة لئلا يفاجئه وعد الله وهو غافل، فإذا لم يفاجئه قيام الساعة فاجأه قيام قيامته بموته بغتة فإن لم يمته بغتة جاءه المرض بغتة فلا يقدر على العمل وتدارك الزلل.

﴿ وَقَضَى الْأَمْرُ ﴾ فيضع كل شيء في موضعه الذي قضاه، فهو الأول ومنه

بدأت الخلائق وهو الآخر واليه ترجع الأمور وتصير فعلى من زلّ عن الطريق المستقيم ان يراجع نفسه ويرجع إلى الحق.

﴿ كُلُّ أَمْرٍ إِذَا مَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾ (الطور: ٢١)



الصدقات

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا حُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ البقرة: ٢٥٤

هذه الآية كما قال ابن جريج شاملة الزكاة المفروضة والتطوع وهذا صحيح فالزكاة واجبة والتطوع في وجوه الخير مندوب إليه، وظاهر الآية يراد بها جميع وجوه البرّ : من سبيل خير، وصلة رحم، وبناء مسجد أو مستشفى أو مدرسة، وإحسان إلى فقير، وتسليح جيش وإغاثة ملهوف، وإعانة مكروب، وإعطاء مفلس أو ابن سبيل منقطع عن السفر إلى بلاده، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : " داووا مرضاكم بالصدقة ، وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ... " [السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الجنائز]

إن الإنفاق في سبيل البر هو الذي ينجيكم من ذلك اليوم الذي لا ينجي فيه الأشحة الباخلين من عذاب الله فداءً يفتدون به أنفسهم، ولا حَلَّةٌ يحمل فيها الخليل شيئاً من أوزار خليله أو يهبه شيئاً من حسناته ولا شفاعاة يؤثر بها الشفيع فيما أَرَادَهُ اللهُ. ونحو الآية : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ البقرة: ٢٥٥ أي من ذا الذي يستطيع من عبيده أن يغير ما مضت به سنته ، وقضت به حكمته ، واوعدت به شريعته ، من تعذيب ذوي العقائد الباطلة بالذين افسدوا في الأرض إلا اذا أذن له ربه ونحو هذا قوله ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ وهذا

تمثيل لانفراده بالملك والسلطان في ذلك اليوم وأنَّ أحداً لا يجروُ على الشفاعة أو التكلم إلا بإذنه .

والكافرون هم تاركو الزكاة الذين ظلموا أنفسهم إذ وضعوا المال في غير موضعه، وقد سماهم الله كافرين تغليظاً وتهديداً كما قال في آخر آية الحج :

﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران: ٩٧ مكانٌ من لم يحج، وإيداناً لمن ترك الزكاة من صفات الكفار كقوله : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ فصلت: ٦ - ٧

وفي الآية : ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ البقرة: ٢٥٤ ، قال عطاء بن دينار : الحمد لله الذي قال ذلك ولم يقل (الظالمون هم الكافرون) أي لأن معنى الآية ان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافر، ولو قال (والظالمون هم الكافرون) لكان قد حكم على كل ظالم (وهو من يضع الشيء في غير موضعه) بالكفر.

إن الله تعالى ندب أغنياء الأمة لمؤازرة المصالح العامة ومعاونة المحتاجين والإسهام في تخليص الأمة من الفقر والمرض وذلك لا يكون إلا بالإنفاق المشروع المعقول الذي يحقق المنفعة العامة وليس بالتبذير بإنفاق المال على موائد اللهو والقمار والشهوات الذاتية.



تحريم المن والأذى في الصدقات

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦٤﴾ البقرة: ٢٦٤

إن المن والأذى هدام للفائدة المقصودة من الصدقة ومبطل لها، وهو تخفيف بؤس المحتاجين وكشف أذى الفقر عنهم إذا كانت الصدقة للأفراد وتنشيط القائمين بخدمة الأمة ومساعدتها إذا كانت الصدقة في مصلحة عامة، إذ أن كل عمل لا يؤدي إلى الغاية منه فقد حبط وبطل.

ونحو ذلك ما يقال: إن صلاة المرآئي باطلّة على معنى إن الغرض منها وهو توجه القلب إلى الله واستشعار سلطانه وعظمته والذلّ والخضوع له والشكر على نعمائه لم يحصل لأن قلب المرآئي إنما يتوجه ليرضي من يرائيه في الدنيا ولا إلى ذي العظمة والجبروت.

فالنفوس مغرمة بالتفاخر والمدح مما يصدر عنها من عطاء للفقراء ويكون ذلك عن طريق المن والأذى ولاسيما إذا وجد المتصدق تقصيراً من الناس الذي يعطيهم الصدقة فانه لا يكاد يملك نفسه من المن الأذى.

فلا تبطلوا صدقاتكم أيها المؤمنون بإحدى هاتين الرذيلتين فتكونوا
مُشبهين بما ينفق ماله رياء الناس أي من أجل السمعة فقط لا ابتغاء مرضاة
الله.

﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ أي ان صفة المنافق
كصفة تراب على حجر أملس نزل عليه ماء مطر شديد فأزاله وترك الحجر
صلداً نقياً لا تراب عليه.

فالناس ترى للمرائين أعمالاً كما يُرى التراب على الصفوان فإذا جاء يوم
القيامة وصاروا إلى الله اضمحل ذلك كله وذهب لأنه لم يقصد به وجه الله
كما يذهب المطر التراب من على الصخرة فيتركه أملس لا شيء عليه، فهم لا
ينتفعون بما فعلوا ولا يجدون له نفع في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ لا يهديهم إلى ما فيه خيره ورضاه فإن
الإيمان هو الذي يهدي صاحبه إلى الإخلاص في عمله ووضع النفقات في
مواضعها والاحتراس بما يذهب فائدتها.



إنفاق الطيبات

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ حَمِيدٌ ﴿٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٦٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ. وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٠﴾ إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٧١﴾ ﴾

البقرة: ٢٦٧ - ٢٧١

المال أمانة في يد الإنسان، لأنه يتطلب الكسب المشروع للحلال والإنفاق في سبيل الله وابتغاء مرضاته. ينبغي أن يكون الإنفاق ضمن أصول معينة كما جاء في القرآن الكريم.

فالأصل في الإنفاق من الطيب أي الجيد الحسن وعدم إعطاء الرديء أو الخبيث فلا يصح للمتصدق سواءً في الزكاة المفروضة أم التطوع في الصدقات التعمد في إعطاء الخبيث أو الرديء فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وليس من الإحسان أن يجعل الإنسان لله ما يكره في المال.

قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ الآية

روى الحاكم وابن ماجه وغيرهم عن البراء قال : نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار أصحاب نخل وكان الرجل يأتي من نخلة كثرته وقلته وكان الناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقفو فيه الشيص والحشف وبالقفو قد انكسر فيعلقه فانزل الله الآية.

وروى داوود والنسائي والحاكم عن سهل بن حنيف قال : كان الناس يتيممون شر ثمارهم يخرجونها من الصدقة فنزلت : ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ الآية . وروى الحاكم عن جابر قال : أمر النبي ﷺ بزكاة الفطر بصاع من تمر فجاء رجل بتمر رديء فنزل القرآن ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ الآية.

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يشترون الطعام الرخيص ويتصدقون به فأنزل الله هذه الآية. [باب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ الآية

أي أنفقوا من أحسن أموالكم ولا تقصدوا الخبيث الرديء أو الفاسد أو الخاسر فتجعلوا صدقاتكم منه قال تعالى : ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ^٤ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ آل عمران: ٩٢

والأصل الثاني مقاومة نوازع الشح والبخل فعلى الإنسان ان يقاوم غريزة البخل لديه ولا يخشى الفقر بصدقة مالية يتصدق بها فان الله يعوض المنفق خيراً ويزيده فضلاً، لان الشيطان وعداوته للإنسان يوسوس إليه انه سيصبح فقيراً بعد

إعطاء ماله كصدقة يتصدق بها على الفقراء، فالمال لا ينقص من صدقة نتصدق بها وأخبر الله تعالى بمغفرته للمتصدق والمنفق وفضله وسعة خزائنه لتعويضه، وإيتاء الحكمة لمن يشاء في وضع المال في موضعه الصحيح المفيد، والله ذو الفضل العظيم والله هو الرزاق ذو القوة المتين.

والأصل الثالث في مشروعية الإنفاق سراً وعلانية، على المؤمن أن يقصد بها وجه الله ويخلص في إعطاء الصدقة للمحتاجين وسيجد ثواب ذلك حتماً في الدنيا والآخرة والله لا يضيع أجر المحسنين، ويرى العلماء ان إبداء الصدقة الواجبة (الزكاة) أفضل من إسرارها وإخفائها وأما الصدقة المندوبة أو صدقة التطوع فأخفأوها أفضل وخير من إعلانها، لان ذلك أدعى لعدم الرياء وأحفظ لكرامة الفقير.

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾ سبأ: ٣٩

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما من يوم يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا " [صحيح البخاري ، صحيح مسلم - كتاب الزكاة]

﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ ﴾ في خير أو شرّ صادرة عن اخلاص أو عن رياء، سراً أو علانية ﴿ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ ﴾ في طاعة أو في معصية فهم قسمان :

١- نذر قربة وبرّ : وهو ما قصد به التزام الطاعة قربة لله تعالى كأن ينذر بذل مقدار معين من المال أو صلاة نافلة كقوله ان شفى الله مريضى فله على ان أتصدق بكذا

٢- نذر غضب : وهو ما يقصد به حث النفس على شيء أو منعها عنه، كقولك ان كلمت فلاناً فعليّ كذا ...

وَأَتَّفَقَ الْأُمَّةُ عَلَى وَجوبِ الْوَفَاءِ بِالْأَوَّلِ وَهُوَ مَخِيرٌ فِي الثَّانِي بَيْنَ الْوَفَاءِ بِمَا التَّزَمَهُ وَكَفَارَةِ يَمِينٍ فَإِنْ نَذَرَ فِي طَاعَةِ يَرِيدُ بِهَا التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ وَإِنْ نَذَرَ فِي مَعْصِيَةِ حَرَّمَ عَلَيْهِ فَعَلَهَا.

عن عمران بن حصين ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " النَّذْرُ نَذْرَانِ : فَمَا كَانَ مِنْ نَذْرٍ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَذَلِكَ لِلَّهِ وَفِيهِ الْوَفَاءُ ، وَمَا كَانَ مِنْ نَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَذَلِكَ لِلشَّيْطَانِ وَلَا وَفَاءَ فِيهِ ، وَيُكْفَرُهُ مَا يُكْفَرُ الْيَمِينَ " [السنن الصغرى - كتاب الأيمان والنذور]

قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَبَدُّوا لَأَصْدَقْتَ فَنِعْمَ أَهْلٌ ﴾ البقرة: ٢٧١.... الآية
قال ابن كثير: أنزلت في أبي بكر ، وعمر ، أما عمر فجاء بنصف ماله ، حتى دفعه إلى النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ: " مَا خَلَّفْتَ وَرَاءَكَ لِأَهْلِكَ يَا عُمَرُ ؟ " قال : خَلَّفْتُ لَهُمْ نِصْفَ مَالِي . وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَجَاءَ بِمَالِهِ كُلِّهِ ، يَكَادُ أَنْ يُخْفِيَهُ مِنْ نَفْسِهِ ، حَتَّى دَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : " مَا خَلَّفْتَ وَرَاءَكَ لِأَهْلِكَ يَا أبا بَكْرٍ ؟ " قال : عِدَّةَ اللَّهِ وَعِدَّةَ رَسُولِهِ . فَبَكَى عُمَرُ ، وَقَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا أبا بَكْرٍ ، مَا اسْتَبَقْنَا إِلَى بَابِ خَيْرٍ قَطُّ ، إِلَّا كُنْتُ سَابِقُنَا إِلَيْهِ " [تفسير ابن أبي حاتم]

تحريم الربا

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانِ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ البقرة: ٢٧٨ - ٢٨١

قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ ... الآية
 حدثنا الكلبي ، عن ابن عباس : بلغنا والله أعلم إن هذه الآية نزلت في بني عمرو بن عوف من ثقيف وفي بني المغيرة من بني مخزوم، وكانت بنو المغيرة يربون لثقيف، فلما أظهر الله تعالى رسوله على مكة وضع يومئذ الربا كله، فأتى بنو عمرو وبنو المغيرة إلى عتاب ابن أسيد وهو على مكة فقال بنو المغيرة : ما جعلنا أشقى الناس بالربا ؟ وضع عن الناس غيرنا ؟ فقال بنو عمرو بن عمير : صولحنا على أن لنا ربانا، فكتب عتاب في ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية والتي بعدها : ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ﴾
 فعرف بنو عمرو أن لابد ان لهم بحرب من الله ورسوله يقول الله تعالى :

﴿ وَإِنْ تَبَتُّمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ فتأخذون أكثر
﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ فتبخسون منه.

وقال عطاء وعكرمة : نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب
وعثمان بن عفان، وكانا قد أسلفا في التمر، فلما حان الوقت قال لهما صاحب
التمر: لا يبقى لي ما يكفي عيالي إذا أنتما أخذتما حظكما كله، فهل لكما أن
تأخذا النصف وأضعف لكما؟ ففعلا، فلما حل الأجل طلبا الزيادة، فبلغ ذلك
رسول الله ﷺ فنهاهما، وأنزل الله تعالى هذه الآية، فسمعا وأطاعا وأخذوا رؤوس
أموالهما.

وقال السدي : نزلت في العباس وخالد بن الوليد، وكانا شريكين في
الجاهلية، يسلفان في الربا، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا، فأنزل
الله تعالى هذه الآية، فقال النبي ﷺ: " **الْإِن كَل رِبَا مِنْ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ**
مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبَا أَضَعَهُ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ". [أسباب النزول للإمام
الواحدي النيسابوري].

الربا : معناه في اللغة الزيادة، والربا الحرام المقصود في الآية كل
قرض يؤخذ به أكثر منه أو تجر به منفعة.

يبارك الله في المال الذي أُخرجت منه الصدقات وينميه في الدنيا
ويضاعف لصاحبه الثواب في الآخرة، والله لا يرضى عنم أستحلّ الربا وقد
وصفه بشدة الكفر لأنه أحل ما حرم الله ووصفه بالتمادي في الإثم لاستمراره
في أكله.

وقد خاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين مبيناً لهم إنهم لا يتصفون بحقيقة الإيمان إلا إذا تركوا ما نهاهم الله عن الربا خشية من الله، ويجعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية وذلك بترك ما بقي لهم عند الناس من الربا، الذي فعلوه قبل أن ينزل القرآن بتحريمه عليهم وألاً يطالبوا به وأنذرهم وتوعدهم فإن لم يفعلوا ذلك فهم أعداء الله ورسوله وليعلموا أنهم في حرب معهما، إلا إذا تابوا عن الربا وكفوا عن أخذه ونددوا على فعله فلم الحق في أن يأخذوا منهم أصل ديونهم ورؤوس أموالهم من غير ربح ولا منفعة.

وإن وجد غريم من الغرماء معسراً لا يستطيع أن يدفع للدائن رأس ماله عند حلول الأجل فأمره في ذلك أن يمهل إلى أن يصبح في حال من اليسار يستطيع معها أن يطالبه بدينه ويأخذه منه عن طريق القاضي أو الحاكم بغير رضاه، إن ماطل في الدفع وخير لكم أيها الدائنون إذا كان غرماً لكم معسرين أن تتجاوزوا عن دينهم وتتصدقوا به عليهم وأنتم تعلمون أن التصدق برأس المال على الغريم المعسر خير لكم في ثواب الله وتمتية أموالكم، ويجب أن تقوا أنفسكم عقاب الله يوم الحساب حينما ترجعون إليه وتقفون بين يديه وتقال كل نفس ما عملت إن خيراً فخير وإن شراً فشر، لا ظلم لجاحد بنقصان حسناته أو زيادة سيئاته وإنما الجزاء على حسب العمل، قيل إن قوله تعالى : ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ... ﴾ نزلت قبل موت النبي بأيام ولم ينزل بعدها شيء وهي وعظ للناس، أمر رسول الله ﷺ أن توضع بين آيات الربا وآيات الدين.

آيَةُ الدِّينِ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكْتُوبُوهُ
وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ
فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَمَرَّقِ اللَّهُ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا
فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ
وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ
فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا سَعَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ
كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدَقُّ الْأَلَّا تَرْتَابُوا
إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا
تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ
تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ البقرة: ٢٨٢

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ الرِّبَا وَبَيَّنَّ مَا فِيهِ مِنْ قَبَاحَةٍ وَشَنَاعَةٍ لِأَنَّهُ زِيَادَةٌ مُقْتَطَعَةٌ مِنْ عِرْقِ الْمَدِينِ وَلَحْمِهِ وَهُوَ كَسَبُ خَبِيثٍ يَمَقَّتُهُ الْإِسْلَامُ وَيَحْرَمُهُ، أَعْقَبَهُ اللهُ بِذِكْرِ الْقَرْضِ الْحَسَنِ بِلَا فَائِدَةٍ، وَذَكَرَ الْأَحْكَامَ الْخَاصَّةَ بِالرِّبَا وَالتَّجَارَةَ وَالرَّهْنَ وَكُلَّهَا طَرِيقَ شَرِيفَةٍ لِتَنْمِيَةِ الْمَالِ وَزِيَادَتِهِ بِمَا فِيهِ صَلَاحُ الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ.

أرشدت هذه الآية الكريمة إلى مجموعة قواعد وأحكام في المعاملات الجارية بين الناس : أولها النذب إلى كتابة الدين المؤجل في الذمة، سواء كان التأجيل عن طريق القرض أم البيع أم عقد السلم (وهو بيع شيء موصوف مؤجل تسليمه إلى المستقبل).

وعلى الكاتب أن يكتب بالعدل، وان يكون عالماً بأصول الكتابة وشروطها وألا يمتنع عن الكتابة ما دام يمكنه ذلك، وعليه أن يكتب كما علمه الله دون زيادة أو نقص ولا إضرار بأحد. وعلى المدين الذي يملي على الكاتب الإملاء بالحق فلا يزيد ولا ينقص من الحق شيئاً عند الإملاء.

وإذا كان المدين الذي عليه الحق سفيهاً لا يحسن التصرف في ماله لنقص عقله أو تبيذه أو كان ضعيفاً لصغر سنه أو شيخوخته أو لا يستطيع الإملاء لجهله أو لكنة في لسانه فيتولى الإملاء وليه القريب أو البعيد الذي يتولى أموره أو وكيل أو مترجم، ويكون إملاؤه بالعدل والإنصاف والشهادة على الحق أما بشهادة رجلين عاقلين بالغين أو شهادة رجل وامرأتين بسبب قلة عناية النساء بالأمور المالية وقلة ضبطهن لانشغالهن بأمور منزلية وتربية الأولاد فيكون تذكرهن للمعاملات قليلاً وعلى الشهود أداء الشهادة بالحق إذا دعوا لان كتمان الشهادة معصية ومضيعة للحقوق وليس لكاتب أو شاهد ان يضر أحداً من المتعاملين بزيادة أو نقص ولا حاجة لكتابة العقد في البيوع التجارية السريعة التي يتم فيها تسلم المبيع وتسليم الثمن في الحال وعلى الجميع اتقاء الله في جميع ما أمر الله به أو نهى عنه.

تحذير المؤمنین من مؤامرات أهل الكتاب

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم
بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ
وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدِ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾
آل عمران: ١٠٠ - ١٠١

قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا﴾... الآية أخرج الفريابي وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : كانت الأوس والخزرج في الجاهلية بينهم شرٌّ، فبينما هم جلوس ذكروا ما بينهم حتى غضبوا، وقام بعضهم إلى بعض بالسلاح فنزلت ﴿وَكَيفَ تَكْفُرُونَ﴾ الآية والآيتان بعدها. وأخرج ابن إسحاق وأبو الشيخ عن زيد بن أسلم قال : مرَّ شاس بن قيس، وكان يهودياً على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون فغاضه ما رأى من تألفهم بعد العداوة، فأمر شاباً معه من يهود أن يجلس بينهم فيذكرهم يوم بُعثت ففعل، ففتنازعا، وتفاخروا حتى وثب رجلان : أوس بن قيطي من الأوس وجبار بن صخر من الخزرج، فتقاولا وغضب الفريقان وتواثبوا للقتال، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء حتى وعظهم وأصلح بينهم، فسمعوا وأطاعوا، فأنزل الله في أوس وجبار، ومن كان معهما ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ الآية، وفي شاس

بن قيس نزلت ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ ﴿الآية . [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

حذر الله المؤمنين من مؤامرات أهل الكتاب ومحاولتهم إيقاع العداوة والبغضاء بينهم وبذر بذور التفرقة في صفوفهم وردهم كافرين بالله والدين والخلق، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ البقرة: ١٠٩

كيف تكفرون بالله أيها المؤمنون وكيف تطيعون غيركم فيما يشيرون به ويقولون، والحال إنكم تتلى عليكم آيات الله التي فيها الهداية والخير والمحبة والوئام وبيان أصول الإيمان، (وبينكم رسول الله) و المحبة والخير والألفة والرشاد، فكيف يليق بكم ان تتبعوا أهواء قوم آخرين لا يريدون الخير لكم.

إن الإثارة وتأجيج الفتن وبذر بذور التفرقة بين المسلمين من قبل غيرهم تعطينا دليلاً واضحاً وعظة وهو ان معطيات العقل والتجربة والمصلحة أسباب تقتضي الحذر من الأعداء، والتنبه للمخاطر وألوان المكر والمؤامرات فإن سوء الظن قد يكون أحياناً عصمة من الوقوع في الشرور وحسن الظن ورطة، والغفلة مكائد الأعداء نوع من البلية والسذاجة فهل نعتبر ونتعظ من حادث واحد فضلاً عن تكرار العبر والدروس في تعاملنا مع الآخرين؟؟



الاعتصام بحبل الله (والقرآن والسنة)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَآنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾
وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَآذِكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ
النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ۝ آل
عمران: ١٠٢ - ١٠٣

تقوى الله واجبة عليكم أيها المؤمنون أي أن تقوموا بالواجبات وتجتنبوا المنهيات ونحوها الآية ﴿ فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ التغابن: ١٦ أي بالغوا في تقواه جهد المستطاع وعن ابن مسعود انه قال ((تقوى الله ان يطاع فلا يُعصى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُذكر فلا يُنسى)) .

﴿ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَآنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ أي داوموا على الإسلام حتى يوافيكم الموت وأنتم عليه، والإسلام : هو المعنى الجامع للتصديق في القلب واداء الاعمال، وهو الدّين عند الله.

وبعد توحيد العقيدة والعمل، أمر الله تعالى بالتمسك بكتاب الله وعهده واتباع سنة نبيه وهو حبل الله وتسمى العقود والمواثيق حبالاً، وحبل الله الذي أمر باتباعه هو القرآن.

أخرج ابن أبي شيبة عن زيد بن أرقم، قال : قال رسول الله ﷺ : " إني تارك فيكم كتاب الله هو حبل الله ، من اتبعه كان على الهدى ، ومن تركه كان على الضلالة " [مصنف ابن أبي شيبة- كتاب فضائل القرآن].

وروى ابن جرير، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : " كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري].

أخرج الطبري وابن أبي حاتم عن أنس بن مالك، قال : قال رسول الله ﷺ : " إن بني إسرائيل افتردت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة " ، قال : فقيل : يا رسول الله ، وما هذه الواحدة ؟ قال : فقبض يده وقال : " الجماعة " ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

والجامع بين المسلمين هو المبدأ العظيم في القرآن ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠ ، والحديث النبوي الذي رواه مسلم وأحمد : عن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله ﷺ : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرَ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى " [وهذا لفظ مسلم- باب البر والصلة والآداب]

أمر الله المؤمنين أن يدخلوا في الجماعة وأن يشد بعضهم أزر بعض وأن تسود بينهم الألفة وأن يسلموا أمرهم لله. وبمعنوا النظر فيما أنعم الله عليهم من الألفة والاجتماع على الإسلام بعد أن كانوا متعادين يقتل بعضهم بعضاً لأوهى الأسباب متتارين بسبب العصبية الحمقاء التي كانت مسيطرة عليهم، يخاف بعضهم بعضاً فليس بينهم من يأمن على نفسه أو عرضه فصار أبناء العمومة:

الأوس والخزرج إخواناً بالإسلام بعد أن كانوا على وشك أن يتردوا في الهاوية
هاوية جهنم بسبب كفرهم، وهذا ما كان يريده أعداء الإسلام أي اليهود هكذا بيّن
الله لكم نعمه عليكم لعلكم تهتدون إلى سبيل الخير والرشاد.



الشيخة العمومية
صليبة

النهي عن اتخاذ البطانة من غير المسلمين

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآئِنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِعَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾

آل عمران: ١١٨ - ١٢٠

أخرج ابن جرير وابن إسحق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من يهود، لما كان بينهم من الجوار والхلف في الجاهلية فأنزل الله تعالى فيهم الآية ينهاهم عن مباطنتهم تخوِّف الفتنة عليهم. [الباب النقول في أسباب النزول للسيوطي].

إن الله سبحانه وتعالى ينهى المؤمنين ان يتخذوا لأنفسهم أولياء واصفياً من أهل دين غير دينهم ويؤثرونهم على اخوانهم المسلمين بالمودة والصدقة، لأنهم لا يدعون فرصة يستطيعون فيها إفسادكم في أنفسكم وأموالكم وأولادكم

ودينكم إلا انتهزوها، ويتمنون ضرراً بليغاً في هذا كله وانهم لشدة كراهيتهم اياكم لا يستطيعون اخفاء ما في نفوسهم ولكنهم بدافع لا شعوري تتطرق ألسنتهم بما في نفوسهم من غيظ وكره لكم.

أنتم تحبون هؤلاء الكفار وتوادونهم وتواصلونهم ولكنهم لا يحبونكم ويتمنون الشر والضرر مع انكم آمنتم بالكتب السماوية ومنها كتابهم، فإذا قابلوكم صانعوكم وأظهروا إيمانهم واعترافهم بوحداية الله وإذا افترقوا عنكم وخلا بعضهم إلى بعض عضوا أطراف اصابعهم غيظاً منكم وكرهاً لكم.

لن تتالوا خيراً بتعاونكم معهم فإن تصبكم نعمة يحزنهم ذلك ويشعل نار الحقد في قلوبهم وان لحقكم ضرر في أمر من الأمور يسرهم ذلك ويبهجهم. ولكن المسلمين إذا صبروا على ما يصيبهم وصبروا على محاولة الأعداء الإضرار بهم واتقوا الله في كل ما يعملون وأخذوا حذرهم منهم فإن مكائدهم لا تؤذيهم والله مع الصابرين.

فلاستعانة بالصبر والتمسك بالتقوى شرطان للنجاح فالله ذلكم على ما ينجيكم من كيد اعدائكم فعليكم ان تمتثلوا وتعلموا انه محيط باعمالهم وهو القادر على أن يمنعهم مما يريدون بكم فتقوا بالله وتوكلوا عليه إنه القادر على ذلك.



انقوا النار

﴿ يَتَائِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَاَ أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ آل عمران: ١٣٠ - ١٣٢

قوله تعالى : ﴿ يَتَائِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَاَ ﴾ الآية

أخرج الفريابي عن مجاهد قال : كانوا يبتاعون إلى الأجل فإذا حلّ الأجل زادوا عليهم وزادوا في الأجل فنزلت الآية.

وأخرج أيضاً عن عطاء قال : كانت ثقيف تداين بني النضير في الجاهلية، فإذا جاء الأجل قالوا : نربيكم وتؤخرون عنا، فنزلت الآية ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَاَ أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾ . [أسباب النزول للحافظ المتقن]

نهى الله المؤمنين من التشبه باليهود وعرب الجاهلية الذين كانوا يأكلون الربا أضعافاً مضاعفة، فكانوا إذا حلّ أجل الدين وعجز المدين عن سداه قال الدائن للمدين : إما أن تقضي أو تربي، فيلجأ المدين إلى القبول اضطراراً بتضعيف الفائدة أو الربا وتأجيل الدين عاماً آخر فهذا فعل شنيع واستغلال قبيح وقد حرّم الله جميع أنواع الربا قليلة أم كثيرة، وكلّ قرض جرّ نفعاً للمقرض في مقابل التأخير فهو ربا سواءً كانت المنفعة نقداً أو عيناً.

ثم أمر الله تعالى باتقاء النار التي أُعدت للعصاة والكافرين واتقاؤها بطاعة الله وامتنال أوامره، وترك المعاصي والمنكرات.

والنار سبع طبقات، العليا منها وهي جهنم للعصاة، والخمس للكفار، والدرك الأسفل للمنافقين الذين يُظهرون الإسلام ويُبطنون الكفر.

ثم أمر الله تعالى بطاعته وطاعة الرسول، كي يرحمنا في الدنيا بصلاح الحال وانتظام الأمر وفي الآخرة بحسن الجزاء.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله" [وهذا لفظ البخاري - كتاب الأحكام]

والطاعة هي المبادرة إلى فعل الخيرات لأن جزاءها الجنة التي عرضها كعرض السموات والأرض أُعدت للمتقين المطيعين لأوامر الله ورسوله. اللهم اجعلنا منهم وثبتنا على الطاعة وعمل الخير.



عدم موالاتة الكفار

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذَوْكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ آل عمران: ١٤٩ - ١٥١

إن بعض المنافقين حينما أذيع خبر مقتل النبي ﷺ في غزوة أحد قال : من لنا برسول إلا ابن أبي (زعيم المنافقين) يأخذ لنا أماناً عند أبي سفيان، فقال بعضهم: لو كان نبياً ما قُتل، ارجعوا إلى إخوانكم ودينكم وهذا أبو سفيان ينادي : العزى (وهو الصنم المعروف) لنا ولا عزى لكم.

نهانا الله عن متابعة الكفار والالتجاء إلى أقوالهم فهم الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ، يحملونكم على الردة بعد الإيمان والكفر بالله وآياته ويرجعونكم عن دينكم وإيمانكم الذي هداكم الله له خاسرين الدنيا والآخرة ويحرموكم من السعادة والتمكين في الأرض كما وعد الله المؤمنين الصادقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ النور: ٥٥

وقال السدي : لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين إلى مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق، ثم إنهم ندموا وقالوا : بئس ما صنعنا، قتلناهم

حتى إذا لم يبقَ منهم إلا شردمة تركناهم ؟ ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب. حتى رجعوا عما همّوا به وأنزل الله تعالى الآية ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ الآية [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]... وكان رسول الله ﷺ قد أرسل علي بن أبي طالب يتعرف خبر المشركين بعد أحد، أعائدين إلى مكة أم إلى المدينة؟ ثم رجع رسول الله ﷺ فجهز جيشاً وتابع المشركين حتى بلغ (حمرأ الأسد) وأخبر معبد بن أبي معبد الخزاعي وهو على كفره أبا سفيان بما صمم عليه رسول الله ﷺ وأنه خرج في أصحابه يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قط يتحرقون عليكم وقد اجتمع كل من كان قد تخلف عنه وندموا على ما صنعوا فوق العرب في قلوب الكفار وأسرعوا بالعودة إلى مكة.

هذه الآيات تحذر المؤمنين من إطاعة الذين كفروا كأبي سفيان وعبد الله ابن أبي واتباعهما فإن أطاعوهم خسروا في الدنيا بالذلة بعد العزة، وتحكم العدو فيهم وحرموا من السعادة الذي وعد الله بها المؤمنين كما في الآية السابقة بالاستخلاف في الأرض والتمكن فيها وخسران الآخرة بالعذاب في النار. إن الله مولاكم وناصركم أيها المؤمنون إنه نعم المولى ونعم النصير.

سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بسبب شركهم بالله أصناماً وحجارة لا حجة لها ولا برهان في عبوديتها وتورث لهم خبالاً في عقولهم وضعفاً في نفوسهم ويزداد رعبهم كلما وجدوا المسلمين متمسكين بدينهم ومأواهم النار في الآخرة ويئس القرار.

وسوسة الشيطان

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا
ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ
اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾
وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَيْنَ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾
آل عمران: ١٥٦ - ١٥٨

أبطل الله في هذه الآيات وسوسة الشيطان من أن السفر أو الجهاد عرضة
للقتل أو الموت فيا أيها المؤمنون بالله ورسوله لا تكونوا كاولئك المنافقين الكفار
الذين لا يهتدون إلى صواب الرأي وسلامة الاعتقاد فهم يقولون لاخوانهم الذين
يسافرون للتجارة أو الجهاد في سبيل الله فيموتون أو يقتلون : لو كانوا عندنا
مقيمين ما ماتوا وما قتلوا.

قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأًا مُّوجَّلاً ﴾ آل عمران: ١٤٥
ليكون ذلك الاعتقاد حسرة في قلوبهم على من فقد في إخوانهم ويزيدهم
ضعفًا ويورثهم ندمًا ويبعدهم عن القتال لان الذي وقع كان لا بد أن يقع فالتسليم
لأمر الله تعالى والإيمان بالقدر ﴿ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ ليس للإماتة مدخل فيهما فإن
الله هو يحيي المسافر والغازي مع تعرضهما لأسباب الهلاك ويميت المقيم
والقاعد وإن كانا تحت ظلال النعيم. وقد أثر عن خالد بن الوليد انه قال عند

موته : ما في موضع شبرٍ إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح وها أنا ذا أموت
كما يموت العير (الحمار) فلا نامت أعين الجبناء.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيء مما تكونون في أنفسكم فاجعلوا
نفوسكم طاهرة من وساوس الشيطان.

ثم بشر الله تعالى من مات أو قتل في سبيل الله بحسن المآل فالموت في
سبيل الله هو الموت في عمل من الأعمال التي يعملها الإنسان في سبيل البر
والخير والتي هدى الله بها الإنسان وبيضاها منه، فالمحارب قد يموت في اثناء
الحرب من التعب والاعياء أو الإتيان بعمل من الأعمال التي تستدعيها الحروب
فيكون هذا موتاً في سبيل الله.

أي ان مغفرة الله ورحمته لمن يموت أو يُقتل في سبيل الله خير مما يجمع
الكفار من المال في الدنيا الفانية فانه ظل زائل وذاك نعيم خالد، فان ما ينتظره
المؤمن المقاتل في سبيل الله من المغفرة التي تمحو ذنوبه والرحمة التي ترفع
درجاته خير مما يجمع اولئك الحريصون على الحياة الذين يتمتعون باللذات
والشهوات.

﴿وَلَكِنَّ مَتِّمًا أَوْ قُتِلْتُمْ لِرَبِّكُمْ تَحَشُرُونَ﴾ أي انكم بأي سبب من أسباب هلاككم في
سبيل الله تحشرون إلى الله لا إلى غيره فيجزى كل واحد منكم ما يستحق من
الجزاء فالمحسن على احسانه والمسيء على اساءته.

لا تركنوا إلى الدنيا وجاهدوا في سبيله لان الدنيا فانية وتلك الحياة الأبدية باقية خالدة.



الصبر والمرابطة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣٠٠) آل عمران: ٢٠٠

سبق هذه الآية ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿ آل عمران: ١٩٩

استغفر النبي ﷺ (لأصْحَمَةَ بن بحر) وهو نجاشي الحبشة حين بلغه موته،
فعن جابر بن عبد الله ، أن النبي ﷺ قال : " اخرجوا فصلوا على أخ لكم " فصلى
بنا ، فكبر أربع تكبيرات ، فقال : " هذا النَّجَاشِيُّ أَصْحَمَةُ " ، فقال المنافقون :
انظروا هذا يصلِّي على عِلْجٍ نصراني لم يره قطُّ ، فأُنزل الله : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ ﴾ الآية . [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

أي تجدون من أهل الكتاب : اليهود والنصارى، من يؤمنون بالله ويوحدونه
ويعترفون بما جاء في التوراة والإنجيل ومن وصف محمد والتبشير برسالته يفعلون
ذلك خاضعين لله بالطاعة ولا يحرفون ما أنزل الله عليهم في كتبهم ولا يخفونه
ولا يبدلونه للوصول إلى غرض من أغراض الدنيا التافهة الزائلة هؤلاء جزاؤهم عند
الله وأجرهم عليه وثوابهم مدخر إلى يوم القيامة.

بعدها ختم الله السورة بوصية للمؤمنين إذا عملوا بها كانوا أهلاً لاستجابة الدعاء، وأحق للنصر في الدنيا وحسن المثوبة في الآخرة فقال تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا... الآية﴾ أي اصبروا على تكاليف الدين، وما يتعرضون له من مصائب وويلات شديدة وعليهم أن يصابروا الكفار ويغلبوهم في الصبر فيكونوا أكثر تحملاً لشدائد الحرب وويلاتها وواجبهم أن يترابطوا في الثغور أي الاستعداد للقاء الأعداء في المواضع الإستراتيجية المهمة المجاورة لبلاد الأعداء وأن يخافوا الله ويحذروه ويراقبوه في السر والعلن ليفلحوا و يفوزوا.

ويدخل ذلك احتمال الأذى من الأهل والجيران وترك الانتقام ممن يسيء كما قال تعالى : ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف: ١٦٩ وإيثار الغير على الأنفس كما قال تعالى : ﴿وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَيْهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَكَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر: ٩ والعفو عن ظلمكم كما قال تعالى : ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ البقرة: ٢٣٧.

التقوى هي الوقاية من سخط الله وغضبه ولا يكون هذا إلا بعد معرفته ومعرفة ما يرضيه وما يسخطه ولا يُعرف هذا إلا بفهم كتاب الله ومعرفة سنة نبيه، وسيرة السلف الصالح من الأمة الإسلامية ومن فعل كل ما تقدم فصبر، وصابر، ورابطاً لحماية الحق وأهله ونشر دعوته واتقى ربه في سائر شؤونه فقد أفلح وفاز بالسعادة عند ربه. والمصابرة والمرابطة والتقوى كلها وسائل للظفر على الأعداء في الدنيا كما إنها من أسباب السعادة في الآخرة بعد توافر حسن النية وقصد إقامة الحق والعدل.

وقفنا الله إلى ما يحبه ويرضاه لنا، لنفوز بسعادة الدارين ... آمين



معاملة المرأة في الإسلام

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا
تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ
وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ
اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ
وَأْتَيْتُمُ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنًا
وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ
وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾ النساء: ١٩ - ٢١

كانت المرأة في الجاهلية وفي عصور الرومان واليونان تعد من قبيل المتاع وكان أقارب الزوج المتوفي عند العرب يستولون عليها، روى البخاري وأبو داود والنسائي، أنه كان إذا مات الرجل منهم كان أولياؤه أحق بامرأته: إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاؤوا زوجوها، وإن شاؤوا لم يزوجوها أي منعوها من الزواج فهم أحق من أهلها، فنزلت الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ... الآية ﴾ [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]. وكان من عادات العرب في الجاهلية أيضاً إذا أرادوا فراق امرأة رموها بالفاحشة حتى تخاف وتشترى نفسها منه بالمهر الذي دفعه إليها.

يخاطب الله المؤمنين بصفة الإيمان الباعثة على الإلتزام والطاعة أنّه لا يليق بكم أن تعاملوا المرأة كالمتاع وتستولوا عليها وترثونها كالمتاع أو تزوجوهن مكرهات، ولا تمنعوا زوجاتكم من التزوج بغيركم حين ترغبون عنهن، بإمساكنهنّ لا لرغبتكم فيهنّ ولكن للإضرار بهن حتى يفتدين منكم بأنفسهنّ، بردّ مهورهن إليكم إلا أن يأتين بفاحشة ظاهرة بينة، كسوء العشرة أو عدم العفة أو بذاعة اللسان أو النشوز فلكن حينئذٍ ان تضاروهن وتضيقوا عليهم حتى يفتدين أنفسهنّ بردّ ما أخذن من المهور أو بعضها. وعاشروهن بمعروف فإن كرهنتموهن فاصبروا ولا تفارقوهنّ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً فتعود الألفة والمودة، ويرزقكم منهنّ ولداً صالحاً فكثيراً ما يكره الإنسان ما هو أجدى نفعاً وأوفر خيراً وقد يحب ما لا نفع فيه ولا جدوى.



الاعتداء على أموال الناس بالباطل

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ
إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا
وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ النساء: ٢٩ - ٣٠

حرّمت الآية الاعتداء على المال والنفس فلا يحل أكل مال الآخرين بالباطل وهو الطريق غير المشروع والمأخوذ من أعيان الأموال أو منافع الأشياء ظلماً من غير مقابل ويشمل ذلك كل ما يؤخذ من الأموال عوضاً في عقد فاسد أو باطل كبيع الإنسان ما لا يملك، وثمان المأكول الفاسد غير المنتفع به حقيقة كالجوز والبيض والبطيخ الفاسد، وثمان ما لا قيمة له ولا منفعة معتبرة شرعاً كالقرد والخنزير والميتة والخمر وأجر النائحة وآلة اللهو فمن باع ببيعاً فاسداً وأخذ ثمنه كان حراماً خبيثاً وعليه رده إلى صاحبه.

لكن يجوز أخذ أموال الآخرين بطريق التراضي في العقود الصحيحة شرعاً كالإعارة والهبة والبيع والإجارة... ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ النساء: ٢٩، أي كلوا الأموال عن طريق التجارة القائمة على الرضا بين الطرفين ضمن حدود الشرع فلا يحل المال الربوي أو قرض جر نفعاً ولا المال المأخوذ بالقمار والرّهان من الجانبين، حتى وإن تراض الطرفان لأنه محرم شرعاً.

وتمام التراضي : أن يعقد البيع بالأسنة بالإيجاب والقبول وأن يدفع المشتري المال كاملاً ولا يجوز نقصه دون موافقة الآخر ولا يحل السوم على السوم والبيع على البيع والخطبة على الخطبة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا يبيع الرجل على بيع أخيه ، ولا يسوم على سوم أخيه " [سنن ابن ماجه - كتاب التجارات]. وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا يخطب الرجل على خطبة أخيه ، ولا يسوم على سوم أخيه " [صحيح مسلم - كتاب النكاح].

ثم حرّمت الآية قتل النفس بطريق الانتحار لأن الإعتداء على النفس إعتداء على صنع الله ولا يملك الإنسان نفسه كذلك يحرم علينا أن يقتل بعضنا بعضاً ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ المائدة: ٣٢، فدم الإنسان حرام إلا من ارتدّ أو زنى وهو محصن أو قتل عمداً وعقوبة هؤلاء في الآخرة نار جهنم وبئس المصير إلا أن يتوب، وذلك العقاب سهل على الله لأنه قادر على كل شيء.



تحريم الصلاة حال السكر و رخصة التيمم

﴿ بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (٤٣)

النساء: ٤٣

سبب نزول ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ ﴾ ، قال علي رضي الله عنه صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً وشراباً فدعانا وسقانا من الخمر حين كانت الخمر مباحة لم تكن حرمت بعد فأكلنا وشربنا وأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة، فقدموني للصلاة فقرأت: (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون) فأنزل الله ﴿ بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾. وذكر ابن جرير أن الإمام كان يومئذ عبد الرحمن بن عوف وأن الصلاة صلاة المغرب وكان ذلك قبل أن تُحرّم الخمر. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري].

وهذا دليل واضح على أن السكر يغطي العقل ويؤدي إلى الهذيان وتخليط الكلام والإخلال بالعقيدة والعبادة، فتكون الصلاة باطلة حين السكر كما إن الصلاة باطلة حين الجنابة بل يُحرّم على الجنب دخول المساجد إلا عبوراً من غير مُكث ولا توقف.

قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾ الآية

عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا : ألا ترى ما صنعت عائشة، أقامت برسول الله ﷺ وبالناس معه، وليس معهم ماء ؟ فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام فقال : أجلست رسول الله والناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء ؟ قالت فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول فجعل يطعن يده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول ﷺ على فخذي فنام رسول الله حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم، فتيمموا، فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء : ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر .

قالت عائشة : فبعثنا البعير التي كنت عليها فوجدنا العقد تحته. رواه

البخاري ورواه مسلم [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ هو ما قال علي ﷺ نزلت هذه الآية وهي قوله

تعالى ﴿ وَلَا جُنُبًا ﴾ في المسافر تصيبه جنابة فيتيمم ويصلي وكان نزول آية التيمم في غزوة المريسيع .

وتشريع التيمم رخصة ميسرة للناس لان الصلاة تتكرر خمس مرات في اليوم ولا يجوز تركها بحال، إلا ان الطهارة بالوضوء بالماء قد تتعذر على المسلم المصلي لمرض أو عذر، فرخص الشرع الحكيم الرحيم بالناس في التيمم بالتراب بنحو رمزي حتى لا تُترك الصلاة من أي إنسان، وليس الهدف نقل التراب إلى

الوجه واليدين وإنما يقصد الإنسان أَرْضاً طاهرة لا نجاسة فيه، فيها غبار أو حتى على حجر صلب أو متاع لمخدة يتناثر منها الغبار.

وكيفية التيمم : نية التيمم وضريتان على تراب ونحوه مما ذكر، الضربة الأولى للوجه والثانية لليدين.

يتيمم إذا كان مريضاً يتعذر معه استعمال الماء أو يضر الجرح أو يؤدي إلى ببطء الشفاء أو كان مسافراً في صحراء أو غيرها على الطرقات العامة وتعذر استعمال الماء لفقده أو لمشقة السفر سواء كان المريض أم المسافر محدثاً حدثاً أصغر أم حدثاً أكبر فيكون التيمم جائزاً بدلاً من الوضوء أو الغسل لأعدار ثلاثة: السفر والمرض وققد الماء.

وهذا مظهر من مظاهر التسامح في أداء الصلاة ودليل على أن الإسلام يدفع الحرج والمشقة عن الناس لذا ختم الله تعالى الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ يعفو حيث سهل الصلاة للمعذور من دون وضوء ولا غُسل والله يقبل العفو أي السهل ويغفر الذنب أي يستر عقوبته فلا يعاقب المصلحين التائبين وإنه رءوف رحيم بعباده.



إِطَاعَةُ اللَّهِ وَالرَّسُولِ وَالْكَفْرُ بِالطَّوَاغِيتِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن
 نَنزَعْنَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ
 ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى
 الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ
 ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ النساء: ٥٩ - ٦٠

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ... الآية
 قال ابن عباس في رواية : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد وكان معه
 عمار بن ياسر، فسار خالد حتى إذا دنا من القوم عرس لكي يصبحهم، فأتاهم
 النذير فهربوا عن رجل كان قد أسلم فأمر أهله ان يتأهبوا للمسير ثم انطلق حتى
 أتى عسكر خالد ودخل على عمار فقال : يا أبا اليقظان إني منكم وأن قومي لما
 سمعوا هربوا، وأقمت لإسلامي أفناضي ذلك أو أهرب كما هرب قومي ؟ فقال :
 أقم فإن ذلك نافعك، وانصرف الرجل إلى أهله وأمرهم بالمقام، وأصبح خالد فغار
 على القوم فلم يجد غير ذلك الرجل، فأخذه وأخذ ماله فأتاه عمار فقال : خلّ سبيل
 الرجل فإنه مسلم وقد كنت آمنته وأمرته بالمقام فقال خالد : أنت تجير عليّ وأنا
 الأمير؟ فقال : نعم، أنا أجير عليك وأنت الأمير، فكان في ذلك بينهما كلام،

فانصرفوا إلى النبي ﷺ فأخبروه خبر الرجل، فأمنه النبي ﷺ وأجاز أمان عمّار، ونهاه أن يجير بعد ذلك على أمير المؤمنين بغير إذنه. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

خطاب إلى الذين آمنوا بإطاعة أوامر الله والعمل بكتابه وإطاعة الرسول لأنه يبين للناس ما نزل إليهم، فقد جرت سنة الله بأن يبلغ عن شرعه رسلٌ منهم تكفل بعصمتهم وأوجب علينا طاعتهم.

وأطيعوا أولي الأمر منكم وهم الأمراء والحكام والعلماء والذين يرجع إليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة فهؤلاء إذا اتفقوا على أمر وحكم وجب أن يطاعوا فيه بشرط أن يكونوا أمناء وألا يخالفوا أمر الله ولا سنة نبيه ورسوله محمد ﷺ التي عُرِفَتْ بالتواتر وأن يكونوا مختارين في بحثهم في الأمر واتفاقهم عليه.

﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي إذا لم يوجد نص على الحكم في الكتاب ولا في السنة ينظر أولو الأمر فيه لأنهم يوثق بهم فإذا اتفقوا وأجمعوا على ذلك فيجب عدم مخالفتهم وإذا اختلفوا وجب عرض ذلك على الكتاب والسنة وما بينهما من القواعد العامة فما كان موافقاً لهما عُلِمَ أنه صالح وما كان مخالفاً لهما عُلِمَ أنه غير صالح ووجب تركه وهذا الرد واستتباط الفعل في الخلاف من القواعد هو الذي يعبر عنه بالقياس والاول هو الإجماع الذي يعتدّ به.

ومما تقدم نعلم أن الآية مبنية على أصول الدين وهي :

١- الأصل الأول : القرآن الكريم والعمل به وطاعة الله عزوجل.

٢- الأصل الثاني : هو سنة رسوله ﷺ والعمل بها وطاعة الرسول ﷺ.

٣- الأصل الثالث : هو اجماع أولي الأمر وهو أهل الحل والعقد الذين تثق بهم الأمة من العلماء والرؤساء وغيرهم فطاعتهم حينئذ تكون واجبة وهي طاعة أولي الأمر.

٤- الأصل الرابع : عرض المسائل المتنازع فيها على القواعد والأحكام العامة المعلومة في الكتاب والسنة وذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِن نَّزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ وعلى الأمة أن تقبل هذه الأحكام وتخضع لها وهي بذلك لا تكون خاضعة لبشر لأنها لم تعمل إلا بحكم الله تعالى أو حكم رسوله الكريم أو حكم نفسها الذي استتبطه جماعة أهل الحل والعقد والعلم الذين يوثق بهم وباخلاصهم وعدم اتقاقهم إلا على ما هو أصلح للأمة.

﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ أي ردوا المتنازع عليه إلى كتاب الله وسنة نبيه.

وبعد أن أوجب على المؤمنين طاعة الله والرسول ذكر المنافقين الذين لا يرضون بحكم الله بل يريدون حكم غيره.

أخرج الطبراني عن ابن عباس قال : كان أبو بَرَّةَ الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه فتنافر إليه ناس من المسلمين فأنزل الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ . وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق عكرمة أو سعيد بن عباس قال : كان الجلاس بن الصامت ومعتب بن قشير ورافع بن زيد

ويشر يدعون الإسلام فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله ﷺ فدعوههم إلى الكهّان حكام الجاهلية فأنزل الله فيهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ ... الآية. وأخرج ابن جرير عن الشعبي قال كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي أحاكمك إلى أهل دينك أو قال إلى النبي لأنه علم انه لا يأخذ الرشوة في الحكم فاختلفا واتفقا على ان يأتيها كاهناً في جهينة فنزلت الآية. [الباب النقول في أسباب النزول للسيوطي].

فهؤلاء المنافقون إذا هربوا من التحاكم اليك يا رسول الله وقبلوا التحاكم إلى مصدر الطغيان والضلال من أولئك الكهنة والمشعوذين سواء كان أبا بزرّة الأسلمي أم كعب بن الأشرف دليل على أن الإيمان ليس له أثر في نفوسهم، بل كلمات يقولون بها بأفواههم وكيف يزعمون الإيمان بك وكتابك المنزل عليك الذي يأمرهم بالكفر بالجبت والطاغوت في نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦ وقوله : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ البقرة: ٢٥٦ فالسننهم تدعي الإيمان بالله وما أنزله على رسوله وأفعالهم تدلّ على كفرهم بالله وإيمانهم بالطاغوت. ويدخل في هؤلاء كل من يتحاكم إلى الدجالين كالعرافين وأصحاب المندل والرملة ومدعي الكشف.

وفي الآية إيماء إلى ان من ردّ شيئاً من أوامر الله أو أمر الرسول ﷺ فهو خارج من الإسلام سواء ردّه من جهة الشك أو من جهة التمرد ومن أجل هذا حكم الصحابة برّدّة الذين منعوا الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم.

﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ أي أن يجعل الشيطان بينهم وبين الحق مسافة بعيدة فهم لبعدهم عن الحق لا يهتدون إلى الطريق الموصلة إليه.



الشيخة العمومية
صليبه

الحذر داخل في القدر

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فُضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِئْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾

النساء: ٧١ - ٧٣

يا أيها الذين آمنوا احترسوا واستعدوا لالتقاء شر العدو بأن تعرفوا حاله ومبلغ استعداده وقوته، وإذا كان لكم أعداء كثيرون فاعرفوا ما بينهم من وفاق وخلاف واعرفوا الوسائل لمقاومتهم إذا هجموا، وقد كان النبي ﷺ والصحابة على علم بأرض عدوهم كما كان لهم جواسيس يأتونهم بالأخبار ولما أخبروه بنقض قريش للعهد (اخلاهم بشروط المعاهدة في صلح الحديبية) أستعد لفتح مكة ولم يفلح أبو سفيان في تجديد العهد مرة اخرى، وقد كان يظن أن المسلمين لم يعلموا بنكثهم له.

وقد قال أبو بكر لخالد بن الوليد في حرب اليمامة، حاربهم بمثل ما يحاربونك السيف بالسيف والرمح بالرمح.

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: " لا يغني حذر من

قدر.. " " هذا حديث صحيح الإسناد " [المستترك على الصحيحين للحاكم]

لا يناقض أخذ الحذر، لأن الأمر بالحذر داخل في القدر، فالأمر به لندفع عنا شر الأعداء لا لندفع القدر ونبطله إذا القدر هو جريان الأمور بنظام تأتي فيه الأسباب على قدر المسببات والحذر من جملة الأسباب فهو عمل بمقتضى القدر لا بما يضره.

﴿فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ أي أنفروا جماعة أشر جماعة، أو تنفر الأمة كلها جميعاً إذا اقتضى الحال ذلك حسب قوة العدو ويجب ان تكون الأمة على استعداد دائم للجهاد.

وجاء قوله تعالى في التشديد بهذا الأمر ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِمْ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ الأنفال: ٦٠ وإن منهم ليتناقضن وليتأخرن عن الجهاد والخطاب لجماعة المؤمنين بحسب الظاهر ومنهم المنافقون وضعيفو الإيمان والجنباء هؤلاء يرغبون عن الحرب لأنهم لا يحبون أن يبقى الإسلام وأهله ولا أن يدافعوا هم عنه فإن أصابتكم مصيبة من قتل أو هزيمة قال القاعد منهم إن الله قد أنعم عليّ بالقعود فلم أكن حاضراً معهم فيصيبني مثل ما أصابهم من البلاء والشدة.

﴿وَلَئِنْ أَصَبَكُمْ فَضَلٌّ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أي لئن من الله عليكم بالظفر وفتح البلاد فغنتم بالسبايا والأسرى ليقولن قول من ليس منكم ومن لم تجمعه مودة بكم ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً كما فازوا هم، إذ هذا التمني بعد فوات الآوان والفرصة.

وفي قوله : ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ توبيخاً بالطف القول وأرق العبارة فالمؤمنون يجب أن يكونوا أخوة بشد بعضهم أزر بعض وكأعضاء الجسم الواحد وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

وللمجاهدين الشرف الأعظم أن دافعوا عن حرمت بلادهم أو قاتلوا من أجل المضطهدين والمستضعفين ويستعينون بالله أن يكون لهم ولياً وناصرأ يتولى أمورهم ويحمي وجودهم وينصرهم على أعدائهم.

والقتال المشروع في الإسلام هو قتال في سبيل الله ولإعلاء كلمة الحق فالذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت الذي هو الظلم والجبروت والطغيان.

وهو قتال لإرضاء الشيطان وكيد الشيطان كان ضعيفاً واهياً وحزب الله هم الغالبون.



التثبت في الأحكام

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّبْنَا وَلَا نَقُولُ لِمَنْ
 أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ
 فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَيَّبْنَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
 خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٩٤]

قال ابن عباس مبيناً سبب نزول هذه الآية ، فيما رواه البخاري والترمذي
 ولحاكم : " مرّ رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ وهو يسوق غنماً
 له ، فسلم عليهم ، فقالوا : ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا ، أي يحتمي ويتحصن
 فعمدوا إليه فقتلوه وأتوا بغنمه النبي ﷺ فنزلت الآية : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
 ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري] ، وفي رواية أخرى عن
 الثعلبي : أن أسامة بن زيد أو المقداد بن الأسود قتل رجلاً من الأعداء بعد أن
 أعلن إسلامه ، فقال له النبي ﷺ : " كيف لك بلا إله إلا الله غداً " وأنزل الله هذه
 الآية . [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

والمعنى: يأيها الذين صدقوا بالله ورسوله إذا انطلقتم للجهاد في الأرض
 فتمهلوا في الحكم على الأشخاص أهم مسلمون أم هم محاربون مؤمنون أم كافرون
 ولا تتعجلوا بقتل أحد ولا تقولوا لمن استسلم ولم يقاتلكم وأظهر انه مسلم إنك لست
 مؤمناً فأنتم مأمورون بالعمل بالظاهر والله أعلم بالسرائر .

كأنكم تستعجلون عرض الدنيا من الأرزاق والنعم الكثيرة، فلا يليق بالمسلم أن يفعل ذلك عدواناً وبتهم الناس بالمصانعة والخوف والمداراة إن الله بما تعملون خبير .

وكذلك الأمر في العلاقات الاجتماعية الداخلية يجب على المسلم التثبت في الحكم على الأقوال والأخبار قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَدِيمِينَ ﴾ الحجرات: ٦

وسبب نزول هذه الآية : عن ابن عباس ، قوله : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾... الآية قال : كان رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، إلى بني المصطلق ، ليأخذ منهم الصدقات ، وإنه لما أتاهم الخبر فرحوا ، وخرجوا ليتلقوا رسول رسول الله ﷺ ، وإنه لما عَلِمَ الوليد أنهم خرجوا يَتَّقُوهُ ، رجع إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة ، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً ، فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم ، إذ أتاه الوفد ، فقالوا : يا رسول الله ، بلغنا أن رسولك رجع من نصف الطريق ، وإنا خشينا أن يكون إنما رده كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا ، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، فأنزل الله عزهم في الكتاب ، فقال ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَدِيمِينَ ﴾ [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

عن قتادة، قوله : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ ﴾ وهو ابن أبي معيط الوليد بن عقبة ، بعثه نبي الله ﷺ مصدقاً إلى بني

المصطلق، فلما أبصروه أقبلوا نحوه ، فهابهم ، فرجع إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام ، فبعث نبي الله ﷺ خالد بن الوليد ، وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلاً ، فبعث عيونه ؛ فلما جاءوا أخبروا خالداً أنهم مستمسكون بالإسلام ، وسمعوا أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد ، فرأى الذي يعجبه ، فرجع إلى نبي الله ﷺ ، فأخبره الخبر ، فأنزل الله عز وجل الآية، فكان نبي الله يقول : " التبين من الله ، والعجلة من الشيطان " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

والآية تعد قانوناً عاماً لجميع الناس تطالبهم بضرورة التبين قبل قبول الكلام المنقول والخبر المروي تحسیناً للظن أو بعداً عن إساءة الظن بأحد من الناس والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، فالمسلم في كل أحكامه وتقديراته ووطنونه وأحواله وسماعه الأخبار كأنه قاضٍ عدل مهيب، لا يتسرع في الإتهام ولا يصدق كل خبر ويتأَنَّ في فهم الأشياء بعقلٍ واعٍ وبصيرة نافذة سواء في معاملته مع الأعداء في الحرب أو في معاملته اخوانه في داخل البلد المسلم، وقد نبّه القرآن إلى ضرورة الحذر الشديد في ذلك مبيناً ضرورة التثبت في الحكم على غيره ليكون محل ثقة واحترام وتقدير .

العدل والشهادة بالحق

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ
 أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ
 بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا ۗ وَإِن تَلَوُّهُ أَوْ تَعْرِضُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
 بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ النساء: ١٣٥

القَوَّام : هو المبالغ في القيام بالشيء والإتيان به مستوفياً تاماً لا نقص فيه
 وقد أمر الله بإقامة الصلاة وإقامة الشهادة وإقامة الوزن بالقسط تأكيداً للعناية
 بالأشياء.

والعدل يكون في الحكم بين الناس ممن يوليه السلطان أو يحكمه الناس
 فيما بينهم، ويكون في العمل كالقيام بين الزوجات والأولاد من المساواة بينهم، ولو
 سار المسلمون على هدي القرآن لكانوا أعدل الأمم وأقومهم بالقسط.

﴿ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ أي كونوا شهداء لله بأن
 تتحروا الحق الذي يرضاه ويأمر به في غير مراعاة ولا محاباة، ومن أقرّ على
 نفسه بالحق فقد شهد عليها والشهادة بالحق على الوالدين وأقرب الناس كأولادكم
 وإخوانكم، لأن البرّ والصلة في الحق والمعروف.

﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ شرع الله أحق أن يتبع فحذار ان تحابوا غنياً طمعاً في برِّه ولا خوفاً من أذاه وشره ولا فقيراً عطفاً عليه وشفقة به، فمرضاة كل منهما ليست خيراً لكم ولا لهما من مرضاة الله سبحانه وتعالى.

وروى بن جرير عن السدي في سبب نزول هذه الآية : ان رجلين فقير وغني اختصما إلى النبي ﷺ فكان خلقه (ميله القلبي) مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغني فأبى الله إلا أن يقوم بالقسط بين الغني والفقير.

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ أي لا تميلوا عن الحق لهوى في أنفسكم وفيه

الزلل عن الحق. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

﴿وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي أن تلووا وتحرفوا بالشهادة

فلا تؤدوها فانه خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء، فهو مجازيكم على هذه

الأعمال ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

المائدة: ٨ .



أركان الإيمان

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رُسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ءَ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦]

هذا خطاب لمؤمني اليهود : فقد روي عن ابن عباس ((أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام ويامين بن يامين، إذ أتوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا : نؤمن بك وبكتابك وبموسى وبالتوراة وعزير ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل، فقال الرسول ﷺ بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل، فنزلت الآية، قال فآمنوا كلهم)) [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

وقيل إن الخطاب في الآية للمؤمنين كافة والمعنى ازدادوا في الإيمان طمأنينة و يقيناً وآمنوا برسوله خاتم النبيين وبالقرآن الذي أنزل عليه وبالكتب التي أنزلت من قبل على رسل الله. ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر (وهي أسس الدين وأركانه) فقد ضل عن صراط الحق الذي ينجيه في الآخرة من العذاب الأليم ومن فرق بين كتب الله ورسله فأمن ببعض وكفر ببعض كاليهود والنصارى فلا يعتد بإيمانهم لأنهم أتبعوا الهوى لان سرّ الرسالة هي الهداية فإذا كفر ببعض الكتب والرسل كان كفره بها دليلاً على إنه لم يؤمن بشيء منها إيماناً صحيحاً وهذا من الضلال البعيد عن طريق الهداية والحق، عافانا الله من ذلك.

عدم موالاة المنافقين

﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
 أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ
 الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا
 وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ
 يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ إِنْ
 شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ ﴿١٤٧﴾﴾ وَالنِّسَاءُ: ١٤٤ - ١٤٧

الإيمان عصمة ومنعة وقوة، والمؤمنون أجدر الناس بان يتحصنوا بحصن الإعتزاز بإيمانهم والاعتماد على ربهم وعدم الإختلاط بالمنافقين وجاءت التحذيرات القرآنية الكثيرة من موالاة المنافقين والكافرين أي لا تتخذوهم نصراء وأعواناً تصادقونهم وتصاحبونهم وتُسرون اليهم بالمودة تبغون ذلك الإعتزاز بهم، والله العزة ولرسوله وللمؤمنين وهذا ليس من أخلاق المؤمنين وإنما هو من أخلاق المنافقين.

أريدون ان تجعلوا الله عليكم حجة بينة في استحقاقكم العذاب إذا اتخذتموهم أولياء من دون المؤمنين فإن هذا العمل لا يصدر إلا من منافق. والمنافقون في الطبقة السفلى من النار والنار سبع دركات سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة.

قال المفسرون : النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم ثم الهاوية وقد تسمى بعض الطبقات باسم بعض لأن لفظ النار يجمعها.

والمنافق أخطر من الكافر ولهذا كان عذابه أشد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ وقد شرط الله تعالى للتوبة على الكافر الانتهاء من الكفر فقط ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ الأنفال: ٣٨، وأما المنافق فشرط عليه أربعاً : التوبة، الإصلاح والاعتصام وإخلاص الدين له فقال تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ فدل على أنّ المنافقين شرٌّ ممن كفر وأولاهم بمقتته وأبعدهم من الإنابة إليه ثم قال ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ولم يقل فأولئك هم المؤمنون، ثم قال ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ولم يقل وسوف يؤتيتهم بغضاً لهم وإعراضاً عنهم وتفظيلاً لما كانوا عليه من عظم كفر النفاق.

وفي الآية إشارة إلى إن دار العذاب في الآخرة ذات دركات بعضها أسفل من بعض، كما ان دار النعيم درجات بعضها أعلى من بعض. والمنافقون في الدرك الأسفل من النار لأنهم شر أهلها إذ هم جمعوا بين الكفر والنفاق ومخادعة الرسول والمؤمنين وغشهم. أما الكفار فقد غلب عليهم الجهل بحقيقة التوحيد فهم مع إيمانهم بالله يشركون به غيره من صنم أو وثن يتخذونه شافعياً عنده ووسيطاً بينهم وبين الله عز وجل.

﴿وَلَنْ نَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ أي منقذ من الدرك الأسفل من النار إلا الذين تابوا

من المنافقين واتبعوا الأمور الثلاثة :

١- اجتهادهم في صالح الأعمال التي تغسل أدران النفاق بأن يلتزموا الصدق في القول والعمل مع الأمانة والوفاء بالوعد ويخلصوا النصيح لله ورسوله وقياموا الصلاة مع الخشوع والخضوع ومراقبة الله في السر والعلن.

٢- اعتصامهم بالله بأن يكون غرضهم التوبة وصلاح العمل مرضاة لله مع التمسك بكتابه والتخلق بأخلاقه والاعتبار بمواعظه والرجاء في وعده والخوف من وعيده، والالتزام بأمره، والانتهاز عن نواهيه، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ النساء: ١٧٥.

٣- إخلاصهم لله بأن يدعوهُ وحدهُ ولا يدعو من دونه أحدًا لكشف ضر ولا جلب منفعة بل يكون كل ما يتعلق بالدين والعبادة خالصاً له وحدهُ كما قال تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥ وكما جاء في قوله

تعالى : ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾ الزمر: ٢ - ٣

﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي فأولئك التائبون يكونون مع المؤمنين لأنهم يؤمنون كإيمانهم ويعملون كعملهم فيجزون جزاءهم، وسوف يعطيهم أجراً عظيماً ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السجدة: ١٧.

﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ إن الله تعالى لا يعذب أحدًا من خلقه انتقاماً منه ولا طلباً لنفع أو دفعاً لضرر لأنه تعالى غني عن العالمين منزه

عن جلب منفعة له وعن دفع ضرر عنه بل ذلك جزاء كفرهم بأنعم الله عليهم، فهو قد أنعم عليهم بالعقل والحواس والجوارح والوجدان لكنهم استعملوها في غير ما خلقت لأجله من الاهتداء بها لتكميل نفوسهم بالفضائل والعلوم والمعارف كما كفروا بخالق هذه القوى فاتخذوا له شركاء أو وسطاء أو شفعاء حتى فسدت فطرتهم ودنست أرواحهم ولو آمنوا وشكروا لظهرت أرواحهم وظهرت آثار ذلك في عقولهم وأعمالهم التي تصلح في معاشهم واستحقوا رضوان الله ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ التوبة: ٧٢.

﴿شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ أي يجعل ثواب المؤمنين الشاكرين بحسب علمه بأحوالهم جزاءً على شكرهم وإيمانهم كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم: ٧ .

وقفنا الله جميعاً للعمل الصالح وجعلنا من المؤمنين الشاكرين



الإيفاء بالعقود

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ المائدة: ١

روي عن ابن عباس : إن المراد بالعقود عهود الله التي عهد بها إلى عباده : أي ما أحلّ وما حرّم، وما فرض وما حدّ في القرآن كله لا غدر فيه ولا نكث وقال الراغب : العقود ثلاثة : عقد بين الله وبينه، وعقد بين العبد ونفسه، وعقد بينه وبين غيره من البشر.

وأساس العقود في الإسلام هو هذه الآية ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ أي أنه يجب على كل مؤمن أن يبقى على عقده من قول أو فعل كما أمر الله تعالى ما لم يحرم حلالاً ويحلل حراماً كالعقد على كل شيء من أموال الناس بالباطل كالربا والميسر (القمار) والرشوة ونحو ذلك.

وعقود الناس بعضهم مع بعض كعقود البيع والمعاملات وعقود الزواج وغير ذلك لقول النبي ﷺ فيما رواه الحاكم عن أنس وعائشة عن رسول الله ﷺ قال : " المسلمون عند شروطهم ما وافق الحق " [المستدرك على الصحيحين للحاكم- كتاب البيوع]، فيجب الوفاء بالعهود والعقود على حسب الشروط المتفق عليها ما لم تصادم أوامر الشرع.

ومن هذه العهود المأخوذة علينا من الله، وهي نعم الله : إحلال جميع بهائم الأنعام من أبل وبقر وغنم إلا ما يتلى عليكم من المحرمات العشر المذكورة في السورة بعدها : ﴿ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمَنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ المائدة: ٣ وغير سباع البهائم وكل ماله ناب يعتدي به على غيره وكل ما له مخلب من الطيور حال كونكم غير محليّ الصيد البري في أثناء الإحرام بحج أو عمرة فيحرم الصيد في الإحرام ويحرم في الحرمين المكي والمدني ولو في غير حالة الإحرام، أن الله يحكم ما يريد من الأحكام ويعلم أنه حكمة ومصلحة.



عدم الاعتداء على حدود الله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمْوَئِنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْبَغُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاؤُنْ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ المائدة: ٢

قوله تعالى : ﴿ لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾ الآية

قال ابن عباس : نزلت في الخطيم واسمه شريح بن ضبيح الكندي، أتى النبي ﷺ من اليمامة إلى المدينة، فخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي عليه السلام فقال : إلام تدعو الناس ؟ قال : " إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ". فقال : حسن، إلا أن لي أمراء لا نقطع أمراً دونهم، ولعلي أسلم وأتي بهم، وقد كان النبي ﷺ قال لأصحابه : " يدخل عليكم رجل يتكلم بلسان شيطان ". ثم خرج من عنده، فلما خرج قال رسول الله عليه السلام : " لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبى غادر، وما الرجل مسلم ". فمر بسرح المدينة فاستاقه، فطلبوه فعجزوا عنه، فلما خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية سمع تلبية حجاج اليمامة، فقال لأصحابه : " هذا الخطيم وأصحابه " وكان قد قلد هدياً من سرح المدينة، وأهدى إلى الكعبة، فلما توجهوا في طلبه أنزل الله تعالى :

﴿١﴾ بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴿١﴾ يريد ما أشعر الله وإن كانوا على غير دين الإسلام.

وقال زيد بن أسلم : كان رسول الله ﷺ وأصحابه بالحديبية حين صدّهم المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم، فمر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم، فأنزل الله تعالى : ﴿١﴾ بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَىٰ وَلَا الْآفَاقَ وَلَا أَمِّينَ أَلَيْسَ الْحَرَامَ ﴿١﴾ أي ولا تعتدوا على هؤلاء العمار إن صدكم أصحابهم. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن الأعمال الآتية :

١- أن يتعدوا حدود الله في أمر من أمور مناسك الحج فلا يجوز أن يجعلوا هذه الشعائر كالوقوف بعرفة، والطواف والسعي، ورمي الجمار حلالاً لهم، يتصرفون فيها كما يشاءون بل يجب أن يقوموا بها ويتقيدوا بأدابها على حسب ما بينه لهم الشرع.

٢- وأن يُحِلُّوا أي شهر من الأشهر الحرم التي حرم الله القتال فيها فيجيزوا لأنفسهم قتال المشركين فيها.

٣- وأن يُحِلُّوا لأنفسهم الهدى الذي يُهدى إلى الكعبة من الأنعام تقرباً إلى الله، للتوسعة على المقيمين بالحرم بان يحولوا دون وصوله إلى بيت الله أو يأخذوه اغتصاباً أو سرقة أو يساعدوا على حبسه عند من أخذه

٤- وأن يُجِلُّوا التعرض للقلائد التي توضع في أعناق الإبل من حبل أو نعل أو لحاء شجر من شجر الحرم للدلالة على إنها من الهدى فلا يتعرض لها أحد ولا تنزع قلائدها.

٥- وأن يُجِلُّوا منع المشركين الذين يقصدون البيت الحرام للتعبد وابتغاء رضوان الله أو لالتماس الأرباح في التجارة، بل يؤمنوهم على أموالهم وأنفسهم.

فإذا خرجتم أيها المؤمنون من إحرامكم أو من أرض الحرم فاصطادوا إن شئتم فإن التحريم مقصور على أرض الحرم، وبعض هذه الأمور التي سبق بيانها قد نسخها ما تقدم في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الثَّمَرِ الْحَرَامِ قُلْ فِيهِ قُلٌّ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ البقرة: ٢١٧ ونسخه أيضاً قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ الْإِنسَانَ لَا تُبَدِّلُ الْدِينَ عَنْ مَوَدَّةِ اللَّهِ﴾ التوبة: ٥ وقوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ التوبة: ٢٨ وبهذا لا يمكن للمشرك من الحج ولا يؤمن في الأشهر الحرم، وإن أهدى وقلد وحج وإذا كانت هذه الآية قد نزلت بعد فتح مكة وبعد أن بسط المسلمون سلطانهم على البيت الحرام فأحكامها عامة، تشمل ما يمكن أن يحدث في أي زمان.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ أي ولا يحملنكم بعض قوم وعداوتهم على أن تعتدوا عليهم لأنهم صدوكم عن المسجد الحرام وقد كان المشركون صدوا المؤمنين عن العمرة عام الحديبية فنهى المؤمنون أن يعتدوا عليهم عام حجة الوداع وهو العام الذي نزلت فيه

هذه السورة لأجل اعتدائهم السابق فنهى الله المسلمين عن مقابلة عدوان المشركين بمثله بعد أن تغلبوا عليهم.

وتعاونوا على التوسع في فعل الخير وجميع أنواع الطاعات وإتقاء كل ما يضركم في دينكم ودنياكم وفي الحديث عن نواس بن سمعان ، قال رسول الله ﷺ : " البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في نفسك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس " [كما رواه مسلم وأصحاب السنن، وهذا لفظ مسلم- كتاب البر والصلة والآداب]

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المائدة: ٢ أي اتقوا الله بالسير على سننه التي بينها في كتابه حتى لا يصيبكم عقابه بالإعراض عنها وهذا العقاب يشمل عقاب الدنيا والآخرة كقوله تعالى في عذاب الأمم في الدنيا :
﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾
هود: ١٠٢ .



الوضوء

﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ
وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ
مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا
فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ
عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ المائدة: ٦

إعلم ان بين العبد وربه عهدين، عهد الربوبية والإحسان، وعهد العبودية والطاعة، وبعد أن وفى الله له سبحانه بالعهد الأول وبين ما يحل وما يحرم من لذات الحياة في الطعام والنكاح طلب إليهم الوفاء بالعهد الثاني وهو عهد الطاعة وأعظم الطاعات بعد الإيمان هي الصلاة التي لا يمكن إقامتها إلا بالطهارة ثم بين لنا طائفة من الأحكام المتعلقة بالعبادات والعادات في هذه السورة والعقود والعهود، ذكرنا بعهده وميثاقه علينا الذي التزمناه بالسمع والطاعة له ولرسوله الكريم لنقوم به مخلصين.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة على حدّ قوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ النحل: ٩٨ أي إذا أردت قراءته.

ورأي جمهور المسلمين على ان الطهارة لا تجب على من قام إلى الصلاة إلا إذا كان محدثاً. فقد روى أحمد ومسلم وأصحاب السنن عن سليمان بن بريدة، عن أبيه ، أن النبي ﷺ : " صلى الصلوات يوم الفتح بوضوء واحد ، ومسح على خفيه " فقال له عمر : لقد صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه ، قال : " عمدا صنعته يا عمر " [وهذا لفظ مسلم - كتاب الطهارة]

وروى البخاري عن عمرو بن عامر ، قال : سمعت أنس بن مالك ، قال : كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة " قلت : كيف كنتم تصنعون ؟ قال : يجزئ أحدنا الوضوء ما لم يحدث " [صحيح البخاري - كتاب الوضوء]

وروى احمد والشيخان عن همام بن منبه ، أنه سمع أبا هريرة ، يقول : قال رسول الله ﷺ : " لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ " [وهذا لفظ البخاري - كتاب الوضوء]

فهذه الأخبار تدل على أن المسلمين لم يكونوا في عهد النبي يتوضئون لكل صلاة، وإنما كان النبي ﷺ يتوضأ لكل صلاة غالباً وصلى الصلوات يوم الفتح بوضوء واحد أمام الناس لبيان جواز ذلك.

﴿فَاعْسِلْوْا وُجُوْهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ الغسل (بالفتح) إسالة الماء على الشيء لإزالة ما عليه من وسخ ونحوه، والوجه جمع وجه وحده من أعلى تسطيح الجبهة إلى أسفل اللحيين طولاً ومن شحمة الأذن إلى شحمة الأذن عرضاً.

والأيدي واحدها يد وحدّها في الوضوء من رؤوس الأصابع إلى المرفق وهو أعلى الذراع وأسفل العضد.

روى مسلم من حديث أبي هريرة : انه توضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء، ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد ، ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد، ثم مسح رأسه ، ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق ، ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق " ، ثم قال : " هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ. وقال : قال رسول الله ﷺ : " أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء ، فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجّيله " [صحيح مسلم - كتاب الطهارة]

﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ الرأس معروف ويمسح ما عدا الوجه منه وقد اختلف فقهاء الأمصار في أقل ما يحصل به فرض مسح الرأس فقال الشافعي يكفي أقل ما يصدق عليه اسم المسح ولو شعرة ، وقال مالك يجب مسح الكل أخذاً بالاحتياط وأوجب أبو حنيفة مسح الربع، لان المسح إنما يكون باليد وهي تستوعب الربع في الغالب، لما روي عن المغيرة بن شعبة "أن رسول الله ﷺ مسح على ناصيته " [صحيح ابن حبان - كتاب الطهارة]

﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ الكعبان هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق من الجانبين أي واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين ويؤيده عمل النبي ﷺ وعمل الصحابة وقول أكثر الأئمة، عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ رأى رجلاً لم يغسل عَقْبِيهِ فقال : " ويلٌ للأعقاب من النار " [صحيح مسلم - كتاب الطهارة] .

وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو، قال : تخلف النبي ﷺ عنا في سفرة سافرتاها ، فأدركنا وقد أزهقنا العَصْرَ ، فجعلنا نتوضأ ونمسح على

أَرْجُلِنَا ، فَتَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : " وَيَلُّ لَأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ " مرتين أو ثلاثاً [وهذا لفظ البخاري - كتاب الوضوء] . (أرهق الصلاة : أخرها عن وقتها حتى كاد يغشاها ، وَيُلْجِفُهَا بِالصَّلَاةِ الَّتِي بَعْدَهَا) .

ويقوم المسح على الخفين عند لبسهما مقام غسل الأرجل وقد روى ذلك الحسن قال : حدثني سبعون من أصحاب رسول الله ﷺ ان رسول الله ﷺ (كان يمسح على الخفين) وقال الحافظ بن حجر : قد صرح جمع من الحفاظ بان المسح على الخفين متواتر وأقوى الأحاديث حجة فيه حديث جرير : فقد روى أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عن همام بن الحارث الكوفي قال : قال جرير ، ثم توضأ ، ومسح على خفيه ، فقيل : تفعل هذا ؟ فقال : نعم ، " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بال ، ثم توضأ ومسح على خفيه " [وهذا لفظ مسلم - كتاب الطهارة]

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطَهَّرُوا ﴾ الجنب : لفظ يستعمل للمفرد والمثنى والجمع وللذكر والأنثى ، والمراد به المضاجعة والوقاع أي وإن كنتم أصابتم جنابة قبل أن تقوموا إلى صلاتكم فتطهروا منها بغسل البدن كله قبل دخولكم في صلاتكم وفي معنى الوقاع خروج المنى بالاحتلام فهو جنابة شرعاً .

وفي الحديث : قال رسول الله ﷺ : " إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ " [صحيح مسلم - كتاب الحيض] أي إنما يجب ماء الغسل من الماء الدافق الذي يخرج من الإنسان بأي سبب كان خروجه .

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَى ﴾ أي وإن كنتم مرضى مرضاً جليداً كالجدري والجرب وغيرها القروح والجروح أو أي مرض يشق فيه استعمال الماء أو يضر .

أو على سفر طال أو قصر مهما كان السبب فيه وفي شأن السفر أن يشق فيه الوضوء والغسل ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ الغائط المكان المنخفض من الأرض ويراد به شرعاً قضاء الحاجة من بول أو غائط أي أحدثتم الحدث الأصغر ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ المراد بالملامسة المباشرة المشتركة بين الرجال والنساء والحدث الموجب للغسل يسمى الحدث الأكبر.

﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ أي إذا كنتم على حال من هذه الأحوال الثلاث : المرض أو السفر أو فقد الماء عند الحاجة إليه لإحدى الطهارتين فاقصدوا تراباً أو مكاناً من وجه الأرض طاهراً لا نجاسة عليه فاضربوا أيديكم عليه والصفوها بوجوهكم وأيديكم إلى الرسغين بحيث يصبها أثر منه.

ما يريد الله أن يضيق عليكم ولكن يريد أن يطهركم من الأقدار والرزائل والمنكرات والعقائد الفاسدة فتكونوا أنظف الناس أبداناً وأزكاهم نفوساً وأصحهم أجساداً وأرقاهم أرواحاً.

﴿وَلِيْتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ الإنسان روح وجسد فالله يجمع لكم بين طهارة الأبدان وطهارة الأرواح والصلاة تطهر الروح وتركي النفس فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر وتعود المصلي مراقبة الله في السر والعلن. والطهارة التي جعلها الله لعباده قبل الصلاة تطهر البدن وتنشطه ويزيل ما يعرض للجسد من فتور واسترقاء بسبب الحدث أو بغيره من الأعمال التي تؤثر تأثيره.

فإذا بلغ الإنسان اللذة الجسمية غايتها بالوقاع أو الإنزال حصل تهيج عصبي كبير يعقبه فتور شديد بحسب شدة رد الفعل ولا يعيد نشاطه إلا الغسل

أي غسل البدن كله وكذلك تكريم المسلم نفسه لدى نفسه وأهله وقومه الذين يعيش معهم إذ من كان نظيف البدن والثياب كان جديراً بحضور كل مجتمع ولقاء أشرف الناس وفضلائهم ومن كان وسخاً قذراً فإنه يكون محتقراً عند كرام الناس ولا يجدونه أهلاً لأن يحضر مجالسهم ويشعر في نفسه بالهوان وكذلك التخلص من الجراثيم والأمراض الفتاكة حيث ان النظافة واجبة على الأبدان والثياب والأمكنة فإذا هم فعلوا ما أوجبه الدين تنتفي الأسباب التي تولد الجراثيم والأمراض عند الناس.

ولأجل هذا ورد الأمر بالغسل والطيب ولبس الثياب النظيفة يوم الجمعة لأنه يوم يجتمع فيه الناس في المساجد لعبادة الله تعالى.

روى مالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم من طرق عدة ان النبي ﷺ قال: " **الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم** " [وهذا لفظ البخاري - كتاب الأذان]

وختم الآية بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي دوام الشكر لله تعالى على النعم الظاهرة والباطنة.



أداء الشهادة بالإخلاص لله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا
يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ
وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ءَوَاجِرٌ عَظِيمَةٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ءَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾ المائدة: ٨ - ١٠

أمر الله تعالى المؤمنين بالإخلاص له تعالى في كل ما يتعلق بأمر الحياة من دين ودنيا، بدون اعتداء على حقوق الغير ابتغاءً لمرضاة الله عز وجل.

﴿ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ الشهادة عبارة عن إظهار الحق للحاكم ليحكم به أو إظهار الحاكم بالحكم بالحق لصاحبه، فالعدل هو ميزان الحقوق فمتى وقع الجور في أمة لأي سبب زالت الثقة من الناس وانتشرت المفاصد وتقطعت روابط المجتمع فلا يلبث أن يسلم الله عليهم بعض عباده الذين هم أقرب منهم إلى العدل فيذيقوهم الوبال.

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ أي لا تحملنكم العداوة والبغضاء لقوم على عدم العدل في أمرهم بالشهادة لهم بحقهم إذا كانوا أصحاب حق فالمؤمن يُؤثر العدل على الجور والمحاباة ويجعله فوق الأهواء وحظوظ الأنفس وفوق المحبة والعداوة مهما كان سببهما.

﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ هذه الجملة تؤكد للجملة السابقة للعناية بأمر العدل وأنه فريضة لا هواده فيها لأنه أقرب لتقوى الله والبعد عن سخطه وتركه من أكبر المعاصي لما ينشأ عنه من المفاصد التي تفسد الروابط بين المجتمعات والأفراد وتجعل بأسهم شديد بينهم.

اتقوا الله ، اتقوا سخطه وعقابه لان الله لا يخفى عليه شيء من أعمالكم الظاهرة والباطنة، وقد مضت سنته ان يجعل جزاء ترك العدل في الدنيا الذلة والمهانة للأمم والأفراد وفي الآخرة الخزي يوم القيامة. وعد الله الذين يعملون الصالحات لهم مغفرة وأجر مضاعف على الإيمان والعمل الصالح فضلاً من الله ورحمة.

أما الذين كفروا سيصلون العذاب في نار جهنم أعدها الله لمن كفر وكذب بآياته لان نفوسهم قد فسدت وسوء أعمالهم قد ران على قلوبهم فأصبحوا صُمّاً وُعْمياً لا يبصرون.



التذكير بنعم الله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ
يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ المائدة: ١١

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ
يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ .

عن جابر بن عبد الله الأنصاري : أن رجلاً من قبيلة محارب يقال له :
غورث بن الحارث، قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا :
نعم، وكيف تقتله؟ قال : أفتك به. قال : فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس
وسيفه في حجره، فقال : يا محمد، انظر إلى سيفك هذا ؟ قال : "نعم" فأخذه
فاستله، ثم جعل يهزه ويهم به، فكبته الله عزوجل . ثم قال : يا محمد، ما تخافني؟
قال : " لا " . قال : ألا تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : "يمنعني الله منك" . ثم
أغمد السيف ورده إلى رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى: ﴿ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ [أسباب النزول للإمام الواحدي
النيسابوري]

وفي رواية أخرى : عن جابر : أن رسول الله ﷺ نزل منزلاً، وتفرق الناس
يستظلون تحت أشجارها، فعلق النبي ﷺ سلاحه على شجرة. فجاء أعرابي إلى

سيف رسول الله ﷺ ثم أقبل عليه، فقال : من يمنعك مني ؟ قال : "الله". قال ذلك الأعرابي مرتين أو ثلاثاً، والنبي ﷺ يقول : "الله". فشهرا الأعرابي السيف، فدعا النبي عليه السلام أصحابه فأخبرهم خبر الأعرابي، وهو جالس إلى جنبه لم يعاقبه. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

وقبل أنه كان رسول الله ﷺ بعُسفان وهو مكان على مرحلتين من مكة في طريق المدينة وأراد أن يصلي الظهر مع أصحابه فلما أداها، ندم المشركون على أنهم لم ينتهزوا فرصة صلاتهم فيهمّوا بالمسلمين ويفتكوا بهم فقال قائل منهم : ان لهم صلاةً تليها فافعلوا في أثنائها ما شئتم فأنزل الله بين الصلاتين كيفية صلاة الخوف المذكورة في كتابنا (التمسوا نوراً) وردّ كيد المشركين في نحورهم ولهذا يشير قوله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ . وهناك رواية أخرى وان لم تقترن بنزول هذه الآية لكنها نزلت للتذكير بهذه القصة لبيان آلاء الله على المؤمنين، وذلك ان عمرو بن أمية الضمري، لقي رجلين معهما أماناً من رسول الله ﷺ فقتلها ولم يكن يعرف أنّ معهما أماناً فأتى رسول الله ﷺ إلى بني النضير ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وكان بينه وبين بني النضير عهد على ألا يحاربوه وأن يعينوه على الديّات فلما طلب منهم أن يعينوه على ديتي القتيلين أظهروا له القبول، وقال له حبيّ بن اخطب: اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونجمع لك، ونعطيك ما سألتنا وأجلسوه تحت الحصن بجانب جدار ثم انفرد حبيّ بن اخطب بقومه وقال لهم : ان الفرصة قد سنحت للفتك بمحمد ووجوه أصحابه فاطرحوا عليه حجارة من سطح الحصن واقتلوه بها واعتلّوا في تأخرهم بصنع الطعام ليتسع لهم الوقت في تنفيذ المؤامرة ثم

أوعزوا إلى رجل منهم ان يلقي عليه رَحَى عظيمة، فنزل جبريل وأخبر النبي بما تأمر عليه اليهود فقام هو وأصحابه من مجلسهم.

فالمراد تذكير المؤمنين بنعم الله عليهم بدفع الشر والمكروه عن نبيهم فانه لو حصل ذلك لكان من المحن الكبيرة التي تصيب المسلمين. وهذا أيضاً يذكرنا بنعم الله علينا من قوة الإسلام وعظمة شوكة المسلمين فبعد أن كانوا أذلاء مغلوبين على أمرهم بدّل الله الحال غير الحال وأصبحوا أعزّة بعد الذلة وغالبين بعد أن كانوا مهورين، فالنبي ﷺ قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة وأصحابه هم الذين تلقوها عنه وأدوها لمن بعدهم قولاً وعملاً. وهذا التذكير للمتأخر ترغيبه بالتأسي بالسلف في القيام بما جاء به الدين من حق وعدل وبرّ. فاتقوا الله وتوكلوا عليه وحده فقد أراكم عنايته، فالمؤمن إذا همّ أن ييأس تذكر أن الله وليه وهو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو الذي يجبر ولا يجار عليه فتنجدد قوته ويفر من اليأس فينصره الله تعالى ويخذل أعدائه كما حدث لأولئك الكمّلة المتوكلين مع سيد المرسلين أيام ضعفهم وقتلهم وقرهم وتألب الناس كلهم عليهم.



ابتنغاء الوسيلة لمرضاة الله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ
وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ
أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ
وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ المائدة: ٣٥ - ٣٧

انقضاء الله هو انقضاء سخطه وعقابه بعدم مخالفة دينه وشرعه، والوسيلة هي ما يتوصل به إلى مرضاة الله تعالى والقرب منه واستحقاق ثوابه في دار الكرامة.

وروى ابن جرير عن قتادة أنه قال في تفسير الآية أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، وروى احمد والبخاري وأصحاب السنن، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : " من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمدا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة " [وهذا لفظ البخاري - كتاب تفسير القرآن] . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أنه سمع النبي ﷺ يقول : " إذا سمعتم المؤذن ، فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة ، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة" [صحيح مسلم - كتاب الصلاة] . وبهذا يُعلم ان هذه

الوسيلة هي أعلى منازل الجنة فمن دعا الله تعالى أن يجعلها للنبي ﷺ كافاه النبي ﷺ بالشفاعة وهي دعاء أيضاً والجزاء من جنس العمل.

﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ الجهاد من الجهد وهو المشقة والتعب، وسبيل الله في طريق الحق والخير والفضيلة، جاهدوا أيها المؤمنون أنفسكم بكفها عن أهوائها وجاهدوا أعدائي وأعدائكم رجاء الفوز والفلاح والخلود في الجنة.

إن بعض الناس يتوسل بأشخاص الأنبياء والصالحين أي جعلهم وسائل إلى الله تعالى وطلب قضاء حاجات ودفع الضرر وجلب النفع منهم عند قبورهم أو بعيداً عنها. وكثر هذا حتى أصبح الناس يدعون مع الله أصحاب القبور في الحاجات أو يدعونهم من دون الله وزعم أنهم يسمعون ويستجيبون للداعي وهذا العمل منافي لقول الله تعالى : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ الجن: ١٨ وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ الأعراف: ١٩٤ وقوله : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ﴿١٣﴾ إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبتك مثل خير ﴿١٤﴾ فاطر: ١٣ - ١٤ .

ان الوسيلة ما تتقرب به إلى الله وترجو أن تصل به إلى مرضاته بما شرعه لتركية نفسك وقد دل كتاب الله في جملته وتفصيله إلى ان مدار النجاة والفلاح هو الإيمان والعمل الصالح كما قال تعالى : ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ ﴿٤١﴾ النجم: ٣٩ - ٤١ وقال أيضاً: ﴿لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَى﴾ طه: ١٥ وقال : ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ النمل: ٩٠

وقد دلت السنة على انّ دعاء المؤمن قد ينفعه، وثبت أيضاً ان النبي ﷺ كان حريصاً على إيمان عمه أبي طالب فأنزل الله تعالى عليه : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ القصص: ٥٦ .

والحلف بالمخلوقات حرام عند أبي حنيفة والشافعي وقد جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : " من كان حالفاً ، فليحلف بالله أو ليصمت " [وهذا لفظ البخاري - كتاب الشهادات]. عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ، قال : " أَلَا مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفُ إِلَّا بِاللَّهِ " ، فكانت قريش تحلف بأبائها ، فقال : " لَا تَحْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ " [صحيح البخاري - كتاب المناقب].

والحلف بالأشياء ليس بيمين عند مالك وأبي حنيفة والشافعي فلا كفارة فيه وكذلك الحلف بالمخلوقات المحترمة كالعرش والكرسي والكعبة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد النبي ﷺ والملائكة والصالحين والملوك وسيوف المجاهدين وترب الأنبياء والصالحين، ثم أكد الله تعالى ان مدار الفوز والفلاح تقوى الله وتزكية النفس فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَتْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣٦)

أي ان الذين جحدوا ربوبية ربهم وعبدوا غيره من عجل أو صنم أو وثن وهلكوا وهم على هذه الحال قبل التوبة، لو أن لهم ملك ما في الأرض كلها وضعفه معه ليفتدوا به من عقاب الله لا يتقبل الله منهم ذلك فداءً و عوضاً عن عذابهم وعقابهم ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ۝ ١ ﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴾ الشمس: ٩ - ١٠ وهذا هو الفارق بين الإسلام وغيره من الأديان، فالنصارى يعتقدون ان خلاصهم يكون بالمسيح فدية

لهم يفتديهم بنفسه مهما كان حالهم والمسلمون يعتقدون ان العمدة في النجاة هي تزكية النفس بالفضائل والأعمال الصالحة. ثم ذكر الأهوال : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخَرِّجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ المقيم هو الثابت الذي لا يرتحل أبداً أي يتمنون الخروج من النار دار العذاب والشقاء بعد دخولهم فيها وما هم بخارجين منها أبداً.

اللهم أغثنا من عذاب نار جهنم

وأدخلنا الجنة برحمتك وجودك وكرمك



عدم موالاتة اليهود والنصارى

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ المائدة: ٥١ - ٥٣

قال عطية العوفي : جاء عبادة بن الصامت فقال : يا رسول الله، إن لي موالى من اليهود كثير عددهم حاضر نصرهم، وإنى أبوء إلى الله ورسوله من ولاية اليهود، وآوي إلى الله ورسوله. فقال عبد الله بن أبي : إنني رجل أخاف الدوائر، ولا أبرأ من ولاية اليهود. فقال رسول الله ﷺ : " يا أبا الحباب، ما تجلب به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه " فقال : قد قبلت. فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يعني عبد الله بن أبي ﴿يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾ وفي ولايتهم ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

وأخرجه ابن اسحق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي [من لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي].

أي لا يوالي أفراد أو جماعات المسلمين أولئك اليهود والنصارى المعادين للنبي والمؤمنين ويعاهدونهم على التناصر من دون المؤمنين. رجاء أن يحتاجوا إلى نصرهم إذا خذل المسلمون وغلبوا على أمرهم.

قال ابن جرير : إن الله تعالى نهى المؤمنين جميعاً أن يتخذوا النصارى واليهود أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله وأخبر أن من اتخذهم نصيراً وحليفاً وولياً من دون الله ورسوله فهو منهم في التحزب على الله ورسوله والمؤمنين، وإن الله ورسوله منه بريئان .

ثم ذكر الله علّة هذا النهي فقال : ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي اليهود والنصارى ولم يكن للمؤمنين منهم ولي ولا نصير

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ توعّد الله سبحانه وتعالى من يستنصر هؤلاء أعداء الله ورسوله بأنه منهم.

قال ابن جرير فان من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم إن الله لا يهدي أعداء المؤمنين وينصرهم عليهم ولا يرشدهم إلى الخير .

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي ضعاف الإيمان الذي إعتلّ إيمانهم ولم يصل إلى مرتبة اليقين كعبد الله بن أبي وغيره من المنافقين يعاهدوا اليهود بالولاء والعهد ويسارعوا في ذلك حسبهم يزيدوا تمكناً وتثبيتاً، يقولون

بِأَسْنَتِهِمْ نَحْنُ نَخْشَى أَنْ تَصِيْبَنَا دَائِرَةٌ أَيْ مَصِيْبَةٌ مِنْ مَصَائِبِ الدَّهْرِ فَنَحْتَاجُ إِلَى نَصْرَتِهِمْ لَنَا فَعَلِينَا أَنْ نَتَّخِذَ لَنَا أَيْدِيَّ عِنْدَهُمْ فِي السَّرَاءِ نَنْتَفِعَ بِهَا فِي الْعِزَاءِ.

﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصِّحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَأُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِمِينَ ﴾ أي فعل الله بفضلهم وصدق ما وعد به رسوله يأتي بالفتح والفصل بين المؤمنين ومن يعاديهم من اليهود والنصارى أو فضيحة اليهود والإيقاع بهم فيصبحوا نادمين على ما كتموه وأضمره في أنفسهم من اتخاذ الأولياء على المؤمنين وتوقع الدوائر عليهم.

والفتح إما فتح مكة الذي كان به ظهور الإسلام وانجاز الله وعده لرسوله وإما فتح بلاد اليهود في الحجاز كخيبر وغيرها.

والأمر إما الإيقاع باليهود وجلائهم عن موطنهم وإخراجهم من حصونهم وصياصيتهم وإما القهر والتغلب عليهم بالخيال والركاب كبنى قريظة وإما إلقاء الرعب في قلوبهم حتى يعطوا بأيديهم كبنى النضير وإما ضرب الجزية على اليهود والنصارى فيقطع أمل المنافقين ويندمون على ما كان من أسرارهم بالولاء لهم.

ويقول الذين آمنوا لبعضهم متعجبين من حال المنافقين إذ أقسموا بأغظ الأيمان لهم إنهم معكم فلما حلّ بهم ما حلّ أظهروا ما كان يسرونه من موالاتهم لليهود والنصارى كما قال في سورة براءة ﴿ وَخَالِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْقَهُونَ ﴾ التوبة: ٥٦ أي لفرقتهم وخوفهم يظهرهم الإسلام ثقةً.

﴿حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ التي كانوا يتكلفونها كالصلاة والصوم والجهاد معنا
فخسروا ما كان يرجون لها من أجر وثواب.

وفي هاتين الآيتين أخبار بالغيب وقد صدق الله وعده وخذل الكافرين
وفضح المنافقين والعاقبة للمتقين ولكن أتى لهم أن يعتبروا بمثل هذا؟؟

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ النور: ٤٠



المرتدين عن دين الإسلام

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا
يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

المائدة: ٥٤

إن الثبات على الحق والإيمان بالله تعالى مهما حدث من الحوادث والكوارث
شأن المؤمن العاقل، الصحيح العقيدة، فلا يتزحزح إيمانه مهما اختلفت المصالح
أو تعرض للإغراءات والمصائب ويظل ثابتاً على العهد والدين كأنه الجبل الأشم
والصخرة العاتية، أما ضعاف النفوس وضعاف الإيمان والانهزاميون والمتذبذبون
الجنباء فهم الذين لا يصمدون للمحنة أو الأزمة وتراهم سريعي التبدل والتحول من
ساحة الإيمان إلى بؤرة الكفرة ومستتقع الشيطان وأعوانه.

روى ابن جرير عن قتادة قال : أنزل الله هذه الآية وقد علم أنه سيرتد
مرتدون من الناس. فلما قبض الله نبيه محمد ﷺ أرتدّ عامّة العرب عن الإسلام
إلا ثلاثة مساجد - أهل المدينة وأهل مكة وأهل البحرين من عبد القيس - قالوا
(أي المرتدين) : نصلي ولا نزكي والله لا نُغصّب أموالنا، فكلّم أبو بكر في ذلك
فقليل له : إنهم لو قد فقهوا لهذا أعطوها وزادوها فقال : لا والله، لا أفرق بين شيء
جمع الله بينه، ولو منعوا عقلاً مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه. فقاتلهم أبو

بكر على ما قاتل عليه النبي ﷺ حتى سبى وقتل وحرّق بالنيران أناساً ارتدوا عن الإسلام ومنعوا الزكاة فقاتلهم حتى أقرّوا بالزكاة وهم صاغرون مهينين أذلاء. وعلى هذا فالقوم الذي يحبهم الله ويحبونه هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة قال قتادة والضحاك ورجح ابن جرير ان الآية نزلت في قوم أبي موسى الأشعري من أهل اليمن لما روي أن النبي ﷺ لما قرأ هذه الآية قال : هم قوم أبي موسى.

وقد ارتد كثير من القبائل في عهد النبي ﷺ وبعده فقد ارتدت إحدى عشرة فرقة منها ثلاث في عهد النبي ﷺ وهم :

١- بنو مُدَلَج ورئيسهم ذو الخمار وهو الأسود العنسي وكان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بعض بلاده وجعل يدّعي السحر ويدعو إليه الناس فكتب رسول الله ﷺ إلى عامله باليمن : معاذ بن جبل والى سادات اليمن فأهلك الله الأسود العنسي قبيل وفاة رسول الله وأخبر الرسول المسلمين بقتله ليلة قُتِلَ نقلاً عن الوحي فسروا سروراً عظيماً.

٢- بنو حَنِيْفَة : قوم مسيلمة الكذاب بن حبيب، تنبأ باليمامة وكتب إلى رسول الله ﷺ كتاباً يقول فيه : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، أما بعد ، فإنني أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشاً قوم يعتدون . وقدم برسالته إلى المدينة رسولان عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي ، عن أبيه نعيم ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : حين قرأ كتاب مسيلمة الكذاب ، قال للرسولين : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول : كما قال ، فقال رسول الله ﷺ :

" والله لولا أنَّ الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لَصَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمْ " [مسند أحمد بن حنبل] ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم : " من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين " . ، وكان ذلك سنة ستة عشرة للهجرة ثم حاربه أبو بكر بعد وفاة الرسول، بجنود من المسلمين وقتله وحشيًّا قاتل سيدنا حمزة في غزوة أحد بعد إسلامه، وكان يقول : قتلت في جاهليتي خير الناس وقتلت في إسلامي شرَّ الناس .

٣- وبنو أسد : بزعامة طليحة بن خويلد، أدعى أنه نبي ورسول، وأيد دعواه بالتنبؤ بموقع ماء، في يوم كان قومه في موقعة قريبة منه ويكاد الظمأ يقتلهم، فبعث أبو بكر إليه خالد بن الوليد بعد وفاة الرسول فانهزم وفرَّ إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه.

وقد تنبأ في زمن أبي بكر سبع فرق، ومنعوا الزكاة، منهم :

١- بعض بني تميم، الذين بايعوا سجاح بنت المنذر الكاهنة وقد تزوجت مسيلمة ولها معه قصّة ماجنة، وصحّ انها أسلمت بعد ذلك وحسن إسلامها.

٢- فزارة قوم عيبنة بن حصن.

٣- غطفان قوم قرة بن سلمة القشيري.

٤- بنو سليم قوم الفجاءة بن عبد يا ليل.

٥- بنو يربوع قوم مالك بن نؤيرة.

٦- كندة قوم الأشعث بن قيس.

٧- قوم بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد.

وفي المنتبئين في عهد أبي بكر خطب خطبته المشهورة لأنهم منعوا الزكاة قال فيها : والله لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه.

وارتدّ في عهد عمر جَبَلَةُ بن الأيهم، أخر ملوك غسان بالشام لأن أعرابياً وطئ أزاره وهو يطوف بالكعبة، فلطمه جَبَلَةُ فأراد عمر أن يقتص منه فقال جَبَلَةُ أتقتص مني وأنا ملك وهو سوقة، فقال عمر شملك وإياه الإسلام، فسأله جَبَلَةُ التأخير إلى الغد فلما كان من الليل هرب إلى الشام وتصرّ وروي أنه نَدِمَ على ما فعل وأنشد يقول :

تتصرّت بعد الحق عاراً لِلطَّمَةِ ولم يك فيها لو صبرت لها ضررُ
فادركني منها لجأجُ حَمِيَّةٍ فبعثت العينَ الصحيحةَ بِالْعَوْرُ
فيا ليت أُمي لم تلدني وليتني صبرتُ على القول الذي قاله عمر

وهؤلاء المرتدون لم يقاتلهم أحد، فإن أبا بكر هو الذي قاتل جماهير المرتدين بمن معه من المهاجرين والأنصار وقد وصف الله هؤلاء المؤمنين بست صفات :

- (١) أنه تعالى يحبهم، وحبه تعالى لا يوصف لا عن كنهه ولا عن كيفية.
- (٢) أنهم يحبون الله تعالى، وحب المؤمنين لله جاء في غير موضع من القرآن كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ البقرة: ١٦٥ وفي حديث أنس في الصحيحين، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون

الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار " [صحيح البخاري - كتاب الإيمان].

((٣)) ((٤)) الذلة على المؤمنين والعزة على الكافرين وهو بمعنى ما جاء في قوله تعالى : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح: ٢٩ .

((٥)) الجهاد في سبيل الله، وسبيل الله هو طريق الحق والخير الموصلة إلى مرضاته تعالى ومن أعظم الجهاد بذل النفس والمال في قتال الأعداء وهو من أكبر آيات المؤمنين الصادقين.

((٦)) كونهم لا يخافون لومة لائم، إذ لا يرغبون في جزاء أو ثناء من الناس بل يعملون العمل لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ المائدة: ٥٤ أي هذه الصفات من فضل الله يعطيها من يشاء من عباده وبه يمتازون عن غيرهم.

﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ البقرة: ١٠٥ هذا فضل الله ومِنْتَهُ ويقتضي هذا الشكر والإنابة إليه والإحبات في العبادة له.

اللهم اجعلنا من الذين فضل الله عليهم

وأحبهم آمين



عدم موالاتة المستهزئين بآيات الله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمُ إِلَى
الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾

المائدة: ٥٧ - ٥٨

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا ﴾ ... الآية قال ابن عباس : كان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد أظهر الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله تعالى هذه الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري].

يا أيها المؤمنون لا تتخذوا من اليهود الذين يستهزئون بدينكم ويسخرون منكم حين تؤدون صلاتكم ولا الكفار الذين أشركوا بالله، أصدقاء وأنصاراً وأحباباً بل قاطعوهم، واتقوا الله، فلا تضعوا الموالاتة في غير موضعها إن كنتم مؤمنين إيماناً صادقاً وتودون أن تحافظوا على كرامة هذا الإيمان ولا تقبلوا مهانته.

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمُ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ﴾ الآية

قال الكلبي : كان منادي رسول الله ﷺ إذا نادى إلى الصلاة فقام المسلمون إليها قالت اليهود : صوموا صلوا، اركعوا على طريق الاستهزاء والضحك فانزل الله تعالى هذه الآية.

قال السدي : نزلت في رجل من نصارى المدينة، كان إذا سمع المؤذن يقول : أشهد أنّ محمداً رسول الله قال : حرق الكاذب، فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم وأهله نيام، فطارت منها شرارة في البيت فاحترق هو وأهله. اوقال آخرون : إن الكفار لما سمعوا الأذان حضروا رسول الله ﷺ والمسلمون على ذلك وقالوا : يا محمد، لقد أبدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأمم. فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت (فيما أحدثت من هذا الأذان) الأنبياء من قبلك، ولو كان في هذا خير كان أولى الناس به الأنبياء والرسل من قبلك، فمن أين لك صياح كصياح البعير؟ فما أقبح من صوت ولا أسمع من كفر. فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأنزل ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ فصلت: ٣٣ الآية [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري].

هؤلاء اليهود، لعبتهم وسوء أدبهم إذا أذن مؤذن للصلاة قالوا : لقد ابتدع محمد شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأمم ثم يتضحكون ويتغامزون، ذلك العبث بسبب إنهم قوم لا يعقلون حقيقة الدين ولو كان عندهم عقل لخشعت قلوبهم كلما سمعوا الأذان والمؤذن يكبر الله تعالى ويمجده بصوته الندي ويدعوا إلى الصلاة له والفلاح بمناجاته وذكره فهو يؤثر في النفوس لا تخفى محاسنه على من يعقل الحكمة في إرسال الشرائع ويؤمن بالله العلي الكبير.



عدم تحريم الطيبات

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ المائدة: ٨٧ - ٨٨

عن ابن عباس ، قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ، قال : هم رهطٌ من أصحاب النبي ﷺ قالوا : نقطع مذاكيرنا ، ونتركُ شهواتِ الدنيا. ونسيخُ في الأرض كما تفعلُ الرهبان . فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فأرسل إليهم فذكر ذلك لهم . فقالوا : نعم ، فقال رسول الله ﷺ : " لكني أصومُ وأُفطرُ ، وأصلي وأنامُ ، وأنكحُ النساءَ ، فمن أخذ بسنتي فهو مني ، ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

قال ابن جريج عن عكرمة : إن عثمان بن مظعون ، وعلي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، والمقداد بن الأسود ، وسالما مولى أبي حذيفة ، في أصحاب نَبَلُوا ، فجلسوا في البيوت واعتزلوا النساءَ ولبسوا المُسُوحَ وحرّموا طيباتِ الطعامِ واللِّباسِ ، إلا ما أكلَ ولبسَ أهلُ السياحةِ من بني إسرائيل ، وهموا بالاختصاء ، وأجمَعُوا لقيام الليلِ وصيامِ النهارِ ، فنزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ، يقول : لا تَسْتَنُوا بغيرِ سنّةِ المسلمين ، يريد ما حرّموا من النساءِ والطعامِ واللِّباسِ ، وما أجمَعُوا له من صيامِ

النهارِ وقيامِ الليلِ ، وما همُّوا له من الإخفاء . فلما نزلتْ فيهم بَعَثَ إليهم رسولُ الله ﷺ فقال : " إِنَّ لَأَنْفُسِكُمْ حَقًّا ، وَإِنَّ لَأَعْيُنِكُمْ حَقًّا ، صُومُوا وَأُفْطِرُوا ، وَصَلُّوا وَنَامُوا ، فَلَيْسَ مَنْأً مِنْ تَرْكِ سُنَّتِنَا " قالوا : اللهم أسلمنا واتبعنا ما أنزلتْ [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

فالطيبات هي الأشياء التي تستلذها النفوس وتميل إليها القلوب ، أي لا تحرّموا على أنفسكم ما أحل الله لكم من الطيبات ولا تعتدوا وتتجاوزوا حد الاعتدال إلى الإسراف الضار بالجسد بأن تزيدوا على الشبع والرّي ولا تجعلوا التمتع اكبر همّكم .
والآية بمعنى : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) والاعتداء يشمل أمرين الاعتداء في الشيء نفسه بالإسراف فيه ، والاعتداء بتجاوزه إلى غيره مما ليس من جنسه إلى الخبائث .

إن الله لا يحب المعتدين الذين يتجاوزون الحدود أي حدود ما شرّعه الله سواءً بقصد عبادته وتحريم طيبات ما أحلّ لنا أو التحريم غير الالتزام بيمين أو نذر .

وتحريم الطيبات والزينة وتعذيب النفس من العبادات المأثورة عند قدماء اليهود واليونان وقلدهم فيها أهل الكتاب خصوصاً النصارى فإنهم قد شددوا على أنفسهم وحرموا عليها ما لم تحرمه الكتب المقدسة على ما فيها من الشدة والصرامة والمبالغة في الزهد .

ولمّا جاء الإسلام وأرسل الله تعالى نبيه محمداً ﷺ خاتم النبيين بما فيه السعادة للبشر في دنياهم وآخرتهم أباح للبشر على لسانه الزينة والطيبات

وأرشدهم إلى إعطاء البدن حقه والروح حقها فالإنسان روح وجسد فيجب العدل بينهما.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ البقرة: ١٧٢ وقال أيضاً: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ المائدة: ٨٨ ، أي كلوا مما رزقكم من الحلال في نفسه لا من المحرمات كالميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير ، ومن الحلال في كسبه لا رياءً ولا سحتاً ولا سرقة مع كونه غير مستقذر لذاته أو لطارئ يطرأ عليه من فساد أو تغير لطول مكث ونحوه.

والأكل في الآية يراد التمتع الشامل للشرب ونحوه من حلال غير مكرر ولا ضار ومن كل طيب غير مستقذر في ذاته أو لطارئ يطرأ عليه.

وانتقوا الله في الأكل واللباس والنساء وغيرها ولا تتعدوا حدود الله فيما أحل

وما حرم ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف: ٣١.

فالفطرة تقتضي الاعتدال في الطيبات والالتزام بالحلال والاعتدال هو

الصراط المستقيم.

والمعروف عن سيرة الرسول ﷺ أنه كان يأكل ما وجدته : فتارة يأكل الطعام

كاللحوم والأنعام والطيور والدجاج ، وتارة يأكل أخشنه كخبز الشعير بالملح أو

الزيت أو الخل وحيناً يجوع وأخرى يشبع فكان قدوة للموسر والمعسر.

وما كان يهيمه أمر الطعام لكنه كان يعنى بأمر الشراب ، ففي الحديث ،
عن عائشة قالت : " كان أحب الشراب إلى رسول الله ﷺ الحلو البارد " [سنن
الترمذي الجامع الصحيح - كتاب الأشربة]

اللهم اجعلنا ممن أحلّ ما أحلّه الله
وحرّم ما حرّمه الله .. آمين



حكم الخمر وبيان مزارها

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصِدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ المائدة: ٩٠ - ٩٣﴾

التدرج في التشريع في صدر الإسلام من خصائص التشريع الإسلامي أخذ بالمبدأ التربوي الذي يعالج الأمر شيئاً فشيئاً لإعداد النفس على تقبل الأحكام، والانتقال تدريجياً من الأيسر والأسهل إلى الوسط ثم إلى الأشد وهكذا كان تحريم الخمر فإنها حرمت بالمدينة وكانت تصنع من العسل والزبيب والتمر والشعير والقمح وأنزل الله في الخمر آيات أربعاً تدرجت بالعرب لتنقلهم مما ألقوه إلى حكم الشرع النهائي وأول آية بدأت بالتعرض بالخمير قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ النحل: ٦٧ .

وصف تناول العنب والتمر على سبيل التفكه الطازج بالحسن ولم يوصف السكر بذلك مما يدل على التفرقة بينهما ثم جاء عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل

ونفر من الأنصار إلى رسول الله فقالوا أفتنا في الخمر والميسر فإنها مذهب للعلقل
مسلبة للمال فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ
وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ البقرة: ٢١٩ . ثم منع المصلين من أداء
الصلاة حال السكر لأنهم لا يعقلون ما يقولون ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ
وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ النساء: ٤٣ . ثم أنزل الله آية تحريم الخمر
تحريماً قاطعاً مع بيان أسباب التحريم فقال سبحانه تعالى : ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا
الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ
أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ .

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : " مُدْمِنُ الْخَمْرِ ، كَعَابِدِ وثنٍ " [سنن ابن ماجه - كتاب الأشربة] وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله ﷺ : " الْخَمْرُ أُمُّ الْخَبَائِثِ " [سنن الدارقطني - كتاب الأشربة وغيرها] والكبائر ، و عن ابن عمر بن الخطاب ، قال : ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ ، قال : " كلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ ، وكلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ " [صحيح مسلم - كتاب الأشربة] ، و عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : " ما أسكر كثيره ، فقليله حرامٌ " [سنن أبي داود - كتاب الأشربة] وعن عبد الله بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه ، أن النبي ﷺ قال : " لعن الله الخمر ، ولعن شاربها ، وساقها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وأكل ثمنها " [مسند أحمد بن حنبل] .

عن أبي هريرة ، قال : حرمت الخمر ثلاث مرات ، قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر ، ويأكلون الميسر ، فسألوا رسول الله ﷺ عنهما ، فأنزل الله على نبيه ﷺ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ إلى آخر الآية ، فقال الناس : ما حَرَّمَ عَلَيْنَا ، إِنَّمَا قَالَ : ﴿ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ ، وكانوا يشربون الخمر . حتى إذا كان يوم من الأيام ، صلى رجل من المهاجرين ، أم أصحابه في المغرب ، خلط في قراءته ، فأنزل الله فيها آية أغلظ منها : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ ، وكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مُفِيقٌ . ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ، فقالوا : انتهينا ربنا ، فقال الناس : يا رسول الله ، ناسٌ فُتِلُوا في سبيل الله ، وماتوا على فُرُشِهِمْ كانوا يشربون الخمر ، ويأكلون الميسر ، وقد جعله الله رجساً ، من عمل الشيطان ، فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ﴾ إلى آخر الآية ، فقال النبي ﷺ : " لو حُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ لَتَرَكُوهَا كَمَا تَرَكْتُمْ " [مسند احمد بن حنبل]

وفي مسند احمد ومسند أبي داود والترمذي ، عن عمرو بن شرحبيل أبي ميسرة ، عن عمر بن الخطاب ، أنه قال : " اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ " ، فنزلت التي في البقرة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ ﴾ ، فدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ : " اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ " ، فنزلت التي في النساء : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ ، فدُعِيَ

عمر فُقِرَتْ عَلَيْهِ ، ثم قال : " اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء " ، فنزلت
 التي في المائدة : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ
 وَالْمَيْسِرِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ فَهَلْ أَنتم مُنهون ﴾ فَدُعِيَ عمر فُقِرَتْ عَلَيْهِ فقال : " "
 انتهينا انتهينا " [سنن الترمذي الجامع الصحيح]

أيها المؤمنون : إن المسكر : الذي يخامر العقل ويغطيه من أنواع
 الأثرية. والميسر : هو القمار على كافة أنواعه وصوره، وعبادة الأَنْصاب : وهي
 الأصنام التي ينصبها المشركون ويقيمونها للعبادة من دون الله سواءً كانت مصورة
 أو غير مصورة، والاستقسام بالأزلام هي ثلاثة قذاح كان العرب يستعملونها
 لمعرفة ما قسمه الله لهم من أمور الغيب إذا أرادوا سفراً أو زواجاً أو نحوهما
 مكتوب على احدهما : أمر ربي، وعلى الثاني : نهاني ربي، والثالث لا كتابة
 عليه، ذلكم فسق كل هذا عمل أثم يزينه لكم الشيطان ويريد أن يوقع بينكم العداوة
 والبغضاء فإن شارب الخمر متى سكر فقد عقله وهذى فصدر من فلتات لسانه
 من الأقوال ومن حركاته من الأفعال ما يسوء لغيره فيؤدي إلى التشاحن والتشاجر
 أو يجزّ إلى معصية وكذلك شرب الخمر ولعب الميسر يصرفان الإنسان عن ذكر
 الله وعن الصلاة فيدخل فيمن عناهم الله : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ ٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ
 صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿ الماعون: ٤ - ٥

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ في جميع ما أمر به واحذروا مخالفته وما على
 رسولنا إلاّ البلاغ المبين.

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ : الأحياء منهم والأموات الغائب
منهم والشاهد الذين شربوا الخمر قبل تحريمها إثم ولا ذنب إذا اتقوا وآمنوا بما أنزله
الله تعالى وعملوا الأعمال الصالحة واستمروا على الإيمان واتقوا المعاصي
وابتعدوا عن الحرام والله يحب المحسنين.



الابتلاء والطاعة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ
وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝۹۴﴾

المائدة: ٩٤

في عام الحديبية سنة ست للهجرة، أذن رسول الله ﷺ في المسلمين بالحج، فخرج في أول ذي القعدة، ومعه من المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من العرب ألف وأربعمائة، فلما كانوا عند ذي الحليفة وهي قرية بينها وبين المدينة نحو سبعة أميال، وهي ميقات أهل المدينة أحرموا عندها، فلما غادروها في طريقهم إلى مكة محرمين، كانت طوائف الوحوش وأسراب من الطير تغشاهم، والصيد أذ الطعام وأطيبه والحاجة في السفر الطويل الشاق إليه شديدة وسهولة تناوله تغري به فنزلت هذه الآيات.

يا أيها المؤمنون من ذكر وأنثى، لنعاملنكم معاملة من يختبركم بشيء من الصيد، ليتبين المطيع من المخالف منكم ولنعودنكم الثبات عند المحن، فنرسل إليكم الصيد فيتمكن القريب منه من صيده بيده ويتمكن البعيد منه من صيده برمحه أو إحدى آلاته. ولينمى الخائف من الله وهو من يستطيع الصيد منكم في موضع بعيد عن الرقباء ولا يقع عليه نظر الناس، ومع ذلك لا يحاول صيد شيء منه مع إنه في تناول يده أو رمحه ويؤثر طاعة الله وشطف العيش على تناول شهية الطعام ليتبين هذا ممن لا يخاف الله، ويجترئ على اصطيد صيد محرّم

فمن اعتدى بعد ذلك الابتلاء واصطاد شيئاً مما حرّمه الله عليه فله عذاب أليم،
لان من لا يملك زمام نفسه ولا يراعي حكم الله تعالى في امتثال هذا الابتلاء،
يستحق غضب الله وعذابه.



الشيخة العمومية
صليبه

النهي عن الصيد للمحرم بحج أو عمرة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ، مَتَعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ المائدة: ٩٥ - ٩٦

الصيد : ما صيد من حيوان البحر ومن حيوان البر الوحشية للأكل.
 وقوله تتاله أيديكم ورماحكم : يراد من كثرته وسهولة أخذه وروي عن ابن عباس إن ما يؤخذ بالأيدي صغاره وفراخه، وما يؤخذ بالرماح كباره.
والحُرْم : واحدة حرام للذكر والأنثى، نقول هو رجل حرام وامرأة حرام أي مُحْرَمَةٌ بحج أو عمرة.

يا أيها الذين صدقوا بالله ورسوله لا تقتلوا الصيد الذي تريدون أكله وأنتم محرمون بحج أو عمرة وهو صيد البر دون صيد البحر.

فمن قتل شيئاً من الصيد وهو محرم قاصداً قتله جزاء من الأنعام مماثل لما قتله من هيئته وصورته إن وجد فقد روى الدار قطني عن جابر ، عن النبي ﷺ ، قال : " في الضَّبِّ إذا أصابه المُحْرِمُ كَبِشٌ وفي الطَّبْيِ شاةٌ وفي الأَرْزَبِ عَنَاقٌ : (الأنثى من ولد المعز قبل ان تبلغ سنة) وفي اليرْبُوعِ جَفْرَةٌ : (الأنثى من ولد الضأن

التي بلغت أربعة أشهر) . قال : والجفرة التي قد ارتعت [سنن الدارقطني - كتاب الحج].
 عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنهما ، قال: قال رسول الله ﷺ : " الضَّبُعُ
 صَيْدٌ فَإِذَا أَصَابَهُ الْمُحْرِمُ فِيهِ جَزَاءٌ كَبْشٍ مُسِنَّةٍ وَيُؤْكَلُ " [المستدرک علی الصحیحین
 للحاکم].

وفي النعامة ناقة أو بغير وفي بقر الوحش وحمار الوحش بقرة، وإن لم
 يوجد المماثل فقيمته تدفع للمساكين كالعصفور والجراد. يكون الجزاء على ما ذكر
 أو يكون بكفارة فيطعم عدداً من المساكين على حسب القدر الذي قُدِّرَ. فالجاني
 مخير أن يشتري هدياً مماثلاً لما قتل يهدي به إلى الكعبة أو يشتري بقيمته طعاماً
 ويتم تقدير الجزاء من قبل شخصين مؤمنين عدلين، ويوزع على مساكين الحرم
 لقوله تعالى : ﴿ هَدِيًّا بَلِغَ الْكَعْبَةِ ﴾

ويخير قاتل الأنعام (الإبل والبقر والغنم ونحوهما) بين تقديم مماثل من
 النعم وبين إخراج كفارة : وهي طعام مساكين بأن يُقَّوم الصيد الذي أصابه وينظر
 كم ثمنه من الطعام (الحنطة) فيطعم كل مسكين مُدّاً أو يصوم مكان كل مدّ يوماً.
 ويتضح من ذلك إن للجاني أن يختار بين الهدى والإطعام والصيام وهو
 مذهب أبي حنيفة وإنما أوجب ذلك الجزاء من الهدى أو الإطعام أو الصيام ليزوق
 مضرة عمله ووخامة عاقبته (وقتل المحرم بحج أو عمرة للصيد حرام بالإجماع
 لنفس الآية وأكل المحرم مما صاده من ليس بمحرم جائز لما روي إن النبي ﷺ
 والصحابة أكلوا مما أهدى إليهم من لحم الحمار الوحشي. عفا الله عما مضى من
 الصيد قبل تحريمه ومن عاد ففعل متعمداً وهو مُحْرِمٌ بعد أن أوجب عليه الله
 الجزاء، فإنه ينتقم منه في الآخرة لان الجزاء في الدنيا إنما يمنع العقاب في

الآخرة، إذا لم يتكرر الذنب، فإن تكرر استحق مرتكبه الجزاء في الدنيا والعقاب في الآخرة والله غالب على أمره ذو انتقام ممن عصاه.

أحلَّ الله لكم صيد الحيوانات المائية سواء كنتم محرمين أم غير محرمين فلكم أن تصطادوها في الحل والحرم وتستمتعوا بأكلها في الإقامة والسفر وأحلَّ الله لكم الطعام المتخذ منها سواء أصدتموه أم صاده غيركم أم ألقاه البحر إليكم ميتاً وحرَّم الله عليكم صيد البرِّ ما دتم محرمين واستثنى رسول الله ﷺ خمسة ليس على المحرم في قتلها جناح وهي (العقرب، والفأرة، والغراب، والحدأة، والكلب العقور) وألحق مالك بالكلب العقور الذئب والسبع والنمر والفهد لأنها أشد منه ضرراً. واتقوا الله الذي إليه تحشرون يوم القيامة بطاعته فيما أمركم به من فرائضه وفيما نهاكم عنه من جميع ما تقدم من الخمر والميسر والأنصاب والأزلام وأصابه صيد البر وقتله في حال إجرامكم فإن إليه مصيركم فيعاقبكم بمعصيتكم ويثيبكم على طاعتكم.



كثرة السؤال

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ
وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْءَانُ بُدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا
كٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ المائدة: ١٠١ - ١٠٢

عن ابن عباس قال : كان قومٌ يسألون النبي ﷺ امتحاناً له أحياناً، واستهزاءً أحياناً أخرى، فيقول له بعضهم من أبي ؟ ويقول آخر إذا ضلت ناقته أين ناقتي ؟ ونحو ذلك. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

روى مسلم عن أبي هريرة ، قال : خطبنا رسول الله ﷺ ، فقال : " أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ ، فَحُجُّوا " ، فقال رجلٌ : أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فسكتَ حتى قالها ثلاثاً ، فقال رسول الله ﷺ : " لَوْ قُلْتُ : نَعَمْ لَوَجَبْتُ ، وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ " ، ثم قال : " نَرُونِي مَا تَرَكْتُمْ ، فَإِنَّمَا هَلِكُ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سَوْءَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا أَمَرْتُمْ بِشَيْءٍ فَأَتَوْا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعَوْهُ " [صحيح مسلم - كتاب الحج]

روى احمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وغيرهم عن أنس بن مالك ؓ ، قال : خطبَ رسول الله ﷺ خطبة ما سَمِعْتُ مثلاً قطُّ ، قال : " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً " ، قال : فغطى أصحاب

رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين : (ضرب من البكاء دون الانتحاب، وأصل الخنين خروج الصوت من الأنف) ، فقال رجل : من أبي ؟ قال : فلان ، فنزلت هذه الآية:

﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ [وهذا لفظ البخاري - كتاب تفسير القرآن]

روى البخاري عن أنس ؓ : سألوا رسول الله ﷺ حتى أحقوه المسألة ، فغضب فصعد المنبر ، فقال : " لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينت لكم " فجعلت أنظر يمينا وشمالاً ، فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي ، فإذا رجل كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير أبيه ، فقال : يا رسول الله من أبي ؟ قال : " حذافة " ثم أنشأ عمر فقال : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولاً ، نعوذ بالله من الفتن ، فقال رسول الله ﷺ : " ما رأيت في الخير والشر كالיום قط ، إنه صوّرت لي الجنة والنار ، حتى رأيتهما وراء الحائط " وكان قتادة ، يذكر عند هذا الحديث هذه الآية : ﴿ يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ [صحيح البخاري - كتاب الدعوات]

يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله لا تسألوا عن أشياء من أمور الدين دقائق التكاليف أو من الأمور الغيبية أو الأسرار الخفية أو غير ذلك مما يحتمل أن يكون إظهارها سبباً في شدة التكاليف وكثرتها، وإما بظهور حقائق تفضح أهلها. وإن تسألوا عنها بعد نزول القرآن بأن لها أحكام خاصة بها، عفا الله عن مسألتكم عما لا يعينكم فلا تعودوا لمثلها أبداً والله غفور حلیم، لا يعاجلكم بعقوبة ما فرط منكم.

قد سأل قوم من قبلكم أنبياءهم مثل هذه الأسئلة فأجيبوا إلى سؤالهم ثم صاروا بسببها كافرين، كقوم صالح سألوا نبيهم أن يأتي لهم بناقة من السماء فأنزلها الله عليهم ثم كفروا بها، فاستحقوا العذاب في الدنيا والآخرة.



الشيخة العمومية
صليبه

أُطْلِحُوا أَنْفُسَكُمْ وَأُطْلِحُوا غَيْرَكُمْ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ^ج
إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِيمَنبِتِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

المائدة: ١٠٥

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا
اهْتَدَيْتُمْ ﴾ الآية .

قال الكلبي، عن ابن عباس : كتب رسول الله إلى أهل هجر وعليهم منذر
بن ساوى يدعوهم إلى الإسلام فإن أبوا فليؤدوا الجزية، فلما أتاه الكتاب عرضه
على من عنده من العرب واليهود والنصارى والصابئين والمجوس، فأقروا الجزية
وكرهوا الإسلام، وكتب إليه رسول الله ﷺ " أما العرب فلا تقبل منهم إلا الإسلام
أو السيف وأما أهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية". فلما قرأ عليهم كتاب
رسول الله ﷺ أسلمت العرب. وأما أهل الكتاب والمجوس فأعطوا الجزية، فقال
منافقوا العرب : عجباً من محمد يزعم أن الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى
يسلموا، ولا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، فلا نراه إلا قبل من مشركي أهل
هجر مارد على مشركي العرب. فأنزل الله تعالى : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن
ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ يعني من ضلَّ من أهل الكتاب. [أسباب النزول للإمام الواحدي

النيسابوري]

أمر الله تعالى المؤمنين أن يهتموا بإصلاح أنفسهم والعلم والعمل الصالح وأبان لهم أنهم إذا أصلحوا أنفسهم وقاموا بما أوجب الله عليهم من علم وعمل وتعليم وإرشاد فلا يضيرهم بعد ذلك ضلال من ضل وحاد عن الصراط السوي فاحفظوا أنفسكم من المعاصي وانظروا فيما يقربها من ربها وبخلصها من عقابه، ولا يضركم ضلال غيركم إذا اهتديتم ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الأنعام: ١٦٤.

إلى الله رجوعكم ورجوع من ضل فينبئكم عند الحساب بما كنتم تعملون في الدنيا ويجزيكم به.

روى ابن كثير ((إن أبا بكر قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ وإنكم تضعونها على غير موضعها واني سمعت رسول الله ﷺ يقول : "إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه يوشك أن يعمهم الله بعقاب")

وروى الترمذي عن أبي أمية الشعباني ، قال : أتيت أبا ثعلبة الخشني ، فقلت له : كيف تصنع بهذه الآية ؟ قال : أيّة آية ؟ قلت : قوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ لا يضرُّكم من ضلَّ إذا اهتديتم ﴿ قال : أما والله لقد سألت عنها خبيراً ، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : " بل انتمروا بالمعروفِ وتناهوا عن المنكرِ ، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبَعاً ، ودنيا مؤثرةً ، وإعجاب كلِّ ذي رأيٍ برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ودع العوامَ ، فإن من ورائكم أياماً الصبرِ فيهنَّ مثل القَبْضِ على الجَمْرِ ، للعاملِ فيهنَّ مثل أجرِ خمسين رجلاً يعملون مثل عملِكُمْ " [سنن الترمذي الجامع الصحيح]

عن سفيان بن عقال ، قال : قيل لابن عمر : لو جلست في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ﴾ ، فقال ابن عمر : إنها ليست لي ولا لأصحابي ، لأن رسول الله ﷺ قال : " أَلَا فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ " ، فَكُنَّا نَحْنُ الشُّهُودَ وَأَنْتُمْ الْغَائِبَ ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْآيَةُ لِأَقْوَامٍ يَجِئُونَ مِنْ بَعْدِنَا إِنْ قَالُوا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُمْ " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

إن الرواة من السلف متفقون على إن المؤمن لا يكون مهتدياً إذا أصلح نفسه ولم يهتم بإصلاح غيره بأن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر وأن ذلك مرض لا هوادة فيه.

ولكن هذه الفريضة تسقط إذا فسد الناس فساداً لا يرجى معه تأثير الوعظ والإرشاد، أو فساداً يؤدي إلى إيذاء الواعظ المرشد بأن يعلم أو يظن ظناً قوياً بأن لا فائدة من نصحه أو بأنه سيؤذى إذا هو أمر بمعروف أو نهى عن منكر ويحرم عليه ذلك إذا أدى إلى الوقوع في التهلكة.



الشهادة على الوصية

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهْدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ
 الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي
 الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مَصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ
 بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا
 إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُرِيَ عَلَيْهِمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ
 مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَّانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدْنَا
 أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتَيْهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَدَّى أَنْ
 يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ آيْمَانِهِمْ ۗ وَأَتَقُوا اللَّهَ
 وَاسْمَعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ۝ المائدة: ١٠٦ - ١٠٨

الشهادة : قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة.

ضربتم في الأرض : سافرتم.

سبب نزول هذه الآية فيما رواه البخاري عن ابن عباس - هو تميم الداري وأخوه عدي النصرانيان حين خرجا إلى الشام للتجارة ومعهما بُدَيْل بن أبي مریم مولى عمرو بن العاص، الذي كان مسلماً مهاجراً فمات في الطريق وقبل موته أوصى بوصية من غير أشهاد عليها فأخذ رفيقاه إناءً فضياً منقوشاً بالذهب وأنكرا أخوه وردّه إلى بُدَيْل المتوفي، فترافعا إلى النبي ﷺ فأمر أن يستحلفوهما في دبر

صلاة العصر بالله الذي لا إله إلا هو ما قبضنا غير هذا ولا كتمناه فمكتنا ما شاء الله أن يمكتنا ثم ظهر معهما الإناء من فضة منقوش بالذهب فقال أهله هذا متاعه قالوا نعم ولكننا اشتريناه منه ونسينا أن نذكره حين حلفنا فترافعوا إلى النبي ﷺ فنزلت الآية ﴿ فَإِنَّ عُرْعَلَ أَنْهَمَا اسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾ فأمر النبي ﷺ رجلين من أهل البيت أن يحلفا على ما كتما وغيبا.

ثم ان تميم الداري أسلم وبايع النبي ﷺ وكان يقول صدق الله ورسوله أنا أخذت الإناء ثم قال رسول الله إن الله يظهرك على أهل الأرض كلها فهب لي قرية عينون في بيت لحم وهي القرية التي ولد فيها عيسى، فكتب له بها كتاباً فلما قدم الشام أتاه تميم بكتاب رسول الله ﷺ فقال عمر أنا حاضر ذلك فدفعتها إليه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهْدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ أي المشروعة بينكم هي شهادة اثنين من رجالكم من ذوي العدل والاستقامة يشهدهما الموصي على وصيته فيشهدان بذلك عند الحاجة وقوله ﴿ مِّنكُمْ ﴾ أي من المؤمنين.

﴿ أَوْءَاخْرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴾ أي من غير المسلمين إن كنتم مسافرين ونزلت بكم مقدمات الموت وعلاماته وأردتم الإيضاء ولا يخفى ما في الآية من تأكيد الوصية والإشهاد عليها.

﴿ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ﴾ المراد بها صلاة العصر لان النبي ﷺ حلف عدياً وتميماً بعدها إذ يكون الناس قد فرغوا من معظم أعمال النهار، وتستقسمون الشاهدين وتطلبون أن يحلفا بالصدق لا تشتري بيمين الله ثمناً ولا كان المقتسم له من أقاربنا أي لا نجعل يمين الله سلعة ينتفع بها في الدنيا.

ونحو الآية قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ النساء: ١٣٥ .

ويقول الحالف : أنه يشهد لله بالقسط ولا يصدّه عن ذلك ثمن بينغيه لنفسه ولا مراعاة قريب له ان فرض ان في اقراره وقسمه نفعاً له، ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّٰهِ﴾ أي يقولان في يمينهما أيضاً ولا نكتم الشهادة التي أوجبها الله وأمر أن تقام له كما قال : ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلّٰهِ﴾ الطلاق: ٢

﴿إِنَّا إِذَا لَلْنَا الْأَيْمِينَ﴾ أي إنا إذا فعلنا ذلك نكون من المستحقين الجزاء على إثمنا.

﴿فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَّانِ﴾ أي فان اتفق وحصل الاطلاع على ان الشهيدين الحالفين استحقا إثماً لكذب في شهادتهما فالواجب أن تردّ اليمين إلى الورثة بان يقوم رجلان آخران مقامهما من أولياء الميت الورثين له فيقسمان بالله لأيماننا أحقّ وأصدق من أيمانها وإنهما ما اعتديا عليهما بتهمة باطلة، وإذا كان ذلك فإننا نكون قد عرضنا نفسنا لسخط الله وغضبه.

ذلك أدنى ان يقوم الشاهد على مرأى من الناس ويشهد بعد الصلاة ويقسم بالأيمان المغلظة تعظيماً لله ورهبة من عذابه.

واتقوا الله وراقبوه في أيمانكم فإن لم تتقوا كنتم فاسقين مطرودين من رحمة الله وهدايته مستحقين لعذابه.



الفرار من الزحف من كبائر المعاصي

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ
 الْأَدْبَارَ ۗ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقَالٍ أَوْ مَتَحَرِّزًا
 إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ
 الْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٥ - ١٦]

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " اجْتَنِبُوا السَّبْعَ
 الموبقات " ، قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : " الشُّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسَّحْرُ ،
 وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلَّى
 يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَفُذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ " [وهذا لفظ البخاري- كتاب
 الوصايا]

بعد أن أحرز المسلمون في بدر وهم فئة قليلة النصر على المشركين وهم
 فئة كثيرة بإذن الله، فرض الله عليهم أن يثبتوا في القتال وأوجب عليهم أن يلاقوا
 العدو على كثرته ونهاهم عن الفرار حين لقائه قائلاً لهم : أيها المؤمنون ، إذا
 خرجتم إلى القتال، ولقيتم جيش الكفار كثيراً فيرى لكثرتهم كأنه جسم واحد يتحرك
 بطيئاً ويدنو قليلاً قليلاً وإن كان يسير في الواقع في غاية السرعة، إذا لقيتم الكفار
 على هذه الحال وأنتم أقل عدداً فإن الله ينهاكم أن ترجعوا عن ملاقاتهم وتعطوهم
 ظهوركم، وتولوهم الأدبار، فما بالكم بالفرار ؟ إنه ممنوع ومحظور عليكم فيجب

أن تقابلوهم وتقاتلوهم وجهاً لوجه وإن كنتم أقلّ عدداً، فكم من فئة مؤمنة صابرة، غلبت فئة كثيرة بإذن الله وليس الفرار والانهزام من صفة المؤمنين لأن الله معهم يؤيدهم بروح من عنده وقد نهى عن الفرار وتولية الأعداء إذا كان خوفاً من العدو أما إذا كان الفرار وتولية الأعداء حسب خطة حربية تديرونها لتهاجموا على طائفة أخرى أو لتخادعوهم وتكرّوا عليهم الكرّة وتوقعوا بهم الهزيمة فهذا ليس محظوراً عليكم، ولكنه في الحرب مستحبٌ منكم. وقد توعد الله كل من يولي في الحرب الأعداء بأنه سيرجع مستحقاً لغضب الله مطروداً من رحمته وقد أعدّ له جزاء فراره من القتال منزلاً في جهنم وبئس المصير الذي ناله بالفرار

عن علي بن أبي طالب ، قال : " الفرار من الزحف من الكبائر " [مصنف

ابن أبي شيبة - كتاب الجهاد]

روى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " مَنْ فَرَّ مِنْ ثَلَاثَةٍ فَلَمْ

يَفِرَّ ، وَمَنْ فَرَّ مِنْ اثْنَيْنِ فَقَدْ فَرَّ " [كتاب السير]



إِطَاعَةُ اللَّهِ وَالرَّسُولِ وَاجِبَةٌ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتُّمَّ
 تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾
 ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبِكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ
 اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾
 الأنفال: ٢٠ - ٢٣

أيها المؤمنون، عليكم بطاعة الله ورسوله في كل ما تؤمرون به ولا تعرضوا
 عن طاعة الله والرسول لأنكم مؤمنون تسمعون بأذانكم وتصدقون بقلوبكم ما جاء
 به القرآن من حجج وبراهين موجبة لطاعته ومواعظ زاجرة من مخالفته.

ولا تكونوا كالمناققين والكفار والمشركين، الذين قالوا : سمعنا وهم لا
 يسمعون، لأنهم سمعوا بأذانهم ولكن لم تصدق قلوبهم، ولم تفهم عقولهم ما سمعوا
 فكأنهم صمّ وبكمّ، لا يفهمون ولا يعقلون.

وإن الذين لا يعقلون ما يسمعون ولا يفهمون ما يلقي عليهم من الآيات
 البينات كالصمّ البكم، الذين لا يسمعون ولا يتكلمون وما دامت لهم آذان تسمع
 وقلوب لا تفهم فهم بهائم تدب على الأرض بل هم شرّ أنواع الدوابّ والبهائم عند
 الله وفي حكمه، لأنه خلق لهم السمع وخصهم دون سائر البهائم بوسيلة الفهم
 والعقل لكنهم لا يفهمون ولا يعقلون.

ولو علم الله فيهم شيئاً من الخير وأنّ فيهم صدقاً ورغبة إلى معرفة الحق
وإتباع الهدى ... لأسمعهم البراهين والمواعظ والآيات الموجبة لطاعة الرسول
بسماع تفهم وتدبر ولكن الله لم يعلم فيهم خيراً، لفساد نفوسهم وخبث ضمائرهم فلم
يسمعهم سماع التدبر لأن لو أسمعهم وأفهمهم ونفوسهم غير مستعدة لقبول الخير،
لم ينتفعوا بما سمعوا وما فهموا، وانصرفوا عن الحق وأعرضوا عنه بقلوبهم،
﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ الزمر: ٢٢

اللهم أشرح صدورنا للإسلام، ونور قلوبنا بالقرآن



الامتثال لأوامر الله والرسول

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَذُكِّرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأنفال: ٢٤ - ٢٦

أيها المؤمنون : عليكم أن تحببوا الله وتطيعوا رسوله وتمتثلوا لأمره إذا حثكم على عمل وطاعة أو خروج للجهاد أو إتباع لأحكام الدين لأن ذلك يحيي قلوبكم بالإيمان ويوجهكم إلى الخير ويكسبكم العزة والقوة فتصير إليكم الغلبة والفوز وتحيون حياة طيبة واعلموا أن الله أقرب إلى المرء من قلبه الذي هو مناط الحياة والموت، ومنبع الأمن والخوف، وأنه وحده هو الذي يصرف من حال إلى حال وهو أملك له من صاحبه فيستطيع أن يكون حائلاً بين المرء وقلبه ويمكن فيه على حسب مشيئته : الإيمان والطاعة أو الكفر والمعصية، ويبدله من الخوف أمناً أو من الأمن خوفاً وهو الذي يبعثكم يوم القيامة وتجمعون إليه يوم الحساب ليجازي كل نفس بما كسبت.

وقد أمركم أن تتقوا الفتنة وتجتنبوا العمل الذي يعم ضرره وينتشر خطره والفتنة من أشد الذنوب وأخطر الجرائم لان ضررها لا يقتصر على من أثاروها. ولا تصيب فريق الظالمين والأتمين خاصة ولكنه يعم البريء والمذنب والمصلح والمفسد ولهذا أعقب الله التحذير منها بتهديد أصحابها تهديداً مؤكداً بأشد العقاب فقال تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

والمقصود بالفتنة في الآية : جميع الأعمال التي تصيب المجتمع بضرر أو خسارة أو توقع شقاقاً أو كارثة أو تقرّ منكراً أو تروج إشاعات ضارة أو أخباراً كاذبة توهن من قوته وتضعع من عزمه أو تقته وتبعث فيه الرعب والفرع وينبغي أن يضرب على أيدي هؤلاء وأن يؤخذوا بأشد العقوبات.

واذكروا أيها المؤمنون حالكم في مكة قبل الهجرة، وقت إن كنتم عدداً قليلاً أذلة مستضعفين بالنسبة إلى قريش وقوتهم وبطشهم يعيشون في رعب وفرع لا أمن لكم ولا أطمأنناً فمن الله عليكم وآواكم في المدينة وجعلها لكم مأوى تنزلون فيه وتتحصنون من أعدائكم وشدّ أزركم بالأنصار وأيدكم بالملائكة في بدر وقواكم بنصركم عليهم وجعل لكم من الغنائم طيبات من الرزق لتشكروه على عظيم فضله كما قال الله تعالى : ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ العنكبوت: ٦٧ .



" الخيانة " لمن لا عهد له

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٧) وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَتَنَةٌ مِّنَ اللَّهِ

عِنْدَهُ ۗ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ الأنفال: ٢٧ - ٢٨

الله سبحانه وتعالى ينهاكم أيها المؤمنون عن أن تخونوا الله ورسوله فتعطلوا أحكام دينية أو تقولوا بألسنتكم ما ليس في قلوبكم أو تظهروا غير ما تخفون وينهاكم عن أن تنقضوا العهود وتخونوا الأمانات التي أوثمتكم عليها من أموال الناس وأعراضهم وأسرارهم وأنتم تعلمون أنكم مؤتمنون عليها أو انتهاك الأعراض أو إفشاء الأسرار كأن يقول محدثك : هل يسمعنا أحد ؟ أو فعلية كالالتفاف لرؤية من عساه يجيء، وأكثر الأمانات وأحقها بالحفظ ما يكون بين الزوجين .

والخيانة من صفات المنافقين، والأمانة من صفات المؤمنين، عن أنس بن مالك قال : قَلَّمَا خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا قَالَ : " لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ " [مسند أحمد بن حنبل]

روى الشيخان عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ " [وهذا لفظ البخاري - كتاب الإيمان]

والخيانة لغة : تدل على الإخلاف والخيبة بنقص ما كان يُرَجَى ويؤمل من الخائن فقد قالوا خانه سيفه إذا لم يستطيع الضرب به، وخانته رجلاه إذا لم يقدر

على المشي، ومنه قوله تعالى : ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ البقرة: ١٨٧ ، أي تنقصونها بعض ما أحل لها من اللذات.

والأمانة كل حق ماديّ أو معنوي يجب عليك أدائه إلى أهله قال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ، وَلْيَسْتَقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْفُرُوا الشَّهَادَةَ ﴾ البقرة: ٢٨٣.

رُوي أنّ أبا سفيان خرج من مكة : (وكان لا يخرج إلا في عداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين) فأعلم الله رسوله بمكانه، فكتب رجل من المنافقين إلى أبي سفيان : إن محمداً يريدكم فخذوا حذرکم فأنزل الله ﴿ لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ ... الآية

وروي أنها نزلت في (أبي لبابة) وكان حليفاً لبني قريظة من اليهود ، فلما خرج إليهم النبي ﷺ بعد إجلاء إخوانهم من بني النضير حيث حاصرهم الرسول إحدى وعشرين ليلة ، فسأله صلحاً كصلح بني النضير وهو أن يتركهم يسيرون إلى إخوانهم بأذرعات وأريحا من الشام فأبى ألا ينزلوا على حكم سعد بن معاذ الأنصاري سيد الأوس ، وكان حليفهم وكان حكمه أن تقتل المقاتلة وتقسم الأموال وتسبى الذرية والنساء فأبوا ذلك ثم طلبوا أن يرسل إليهم أبا لبابة وكان مناصحاً لهم لأن ماله وعياله كانا في أيديهم فبعثه الرسول إليهم فقالوا : ما ترى ؟ هل ننزل على حكم سعد ؟ فقال : لا تفعلوا فإنه الذبح ، وأشار إلى حلقه ، فنزلت الآية : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ ، قال أبو لبابة : فما زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله ورسوله حزن أبو لبابة وقام فشدّ نفسه على

سارية في المسجد وقال : والله لا أدوق طعاماً ولا شرباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ ... فمكث سبعة أيام حتى خرّ مغشياً عليه ثم تاب الله عليه فقيل له : يا أبا لبابة قد تيب عليك فحلّ نفسك ، فقال : لا والله لا أحلّها ، حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني ، فجاء فحلّه بيده ، فقال : إني من تمام توبتي أن أهرج دار قومي التي أصبتُ فيها الذنب ، وأن أنزع من مالي فقال ﷺ : " **يجزئك الثلث أن تصدق به** " . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

﴿ **وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ أي إن فتنة الأموال والأولاد عظيمة لا تخفى على ذوي الألباب، إذ أموال الإنسان عليها مدار معيشتة وتحصيل رغائبه وشهوته ودفع كثير من المكاره عنه، من أجل ذلك يتكلف في كسبها المشاق ويركب الصعاب ويكلفه الشرع فيها التزام الحلال واجتناب الحرام ويرغبه في القصد والاعتدال ويكلف العناء في حفظها وتتنزعه الأهواء في إنفاقها ويفرض عليه الشارع فيها حقوقاً معينة وغير معينة كالزكاة ونفقات الأولاد والأزواج وغيرهم.

وأما الأولاد فحبهم مما أودع في الفطرة ، فهم ثمرات الأئدة وأفلاذ الأكباد لدى الآباء والأمهات، ومن ثم يحملها ذلك على بذل كل ما يستطاع بذله في سبيله من مال وصحة ورعاية وراحة، وقد روي عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ ، قال : " **الولد ثمرة القلب ، مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ** " [المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني- كتاب الأدب] .. وفي رواية للبيهقي، عن يعلى الثقفي : " **أَنَّ الْوَلَدَ مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ مَحْزَنَةٌ** " .

فحب الولد قد يحمل الوالدين على اقتتراف الذنوب والآثام في سبيل تربيتهنم والإنفاق عليهم وجمع الثروة لهم، وكل ذلك قد يؤدي إلى (الجبن) عند الحاجة إلى الدفاع عن الحق أو الأمة أو الدين والى (البخل) بالزكاة والنفقات المفروضة والحقوق الثابتة، كما يحملهم ذلك على (الحنن) على من يموت منهم بالسخط على المولى والاعتراض عليه إلى نحو ذلك من المعاصي كَنُوح الأمهات وتمزيق الثياب ولطم الوجوه، ففتنة الأولاد أكثر من فتنة الأموال فالرجل يكسب المال الحرام ويأكل أموال الناس بالباطل لأجل الأولاد.

فيجب على المؤمن أن يتقي الفتنتين (الأموال والأولاد) وإن الله عنده أجر عظيم لمن اتقى خطر الأموال بكسب الحلال وإنفاقه في سبيل البر والإحسان وخطر الأولاد من حسن التربية وتعويدهم على الالتزام بالدين والفضائل وتجنب المعاصي والردائل.



تقوى الله (بترك الذنوب والآثام)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾
الأنفال: ٢٩

التقوى : ترك الذنوب والمعاصي، وفعل الطاعات والواجبات الدينية .

والفرقان : أصله الفرق والفصل بين الشئيين أو الأشياء، ويراد هنا به نور البصيرة الذي يفرق بين الحق والباطل والضار والنافع وقد أطلق هذا اللفظ على التوراة والإنجيل والقرآن وغلب على القرآن قال تعالى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١ .

يا أيها الذين آمنوا أن تتقوا الله وتتبعوا أوامر دينه يجعل لكم في نفوسكم ملكة من العلم تفرقون بين الحق والباطل وهذا النور في العلم الذي لا يصل إليه طالبه إلا بالتقوى هو الحكمة التي قال الله تعالى فيها : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ البقرة: ٢٦٩ .

فالمتقي الله يميز بين الحق والباطل والشر والخير ولهذا كان الخلفاء والحكام من الصحابة والتابعين من أعدل حكام الأمم في الأرض حتى لقد قال بعض المؤرخين من الإفرنج : ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب.

وَيَمْحُ اللهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْفَرْقَانَ مَا كَانَ مِنْ دَنَسِ الْآثَامِ فِي النُّفُوسِ وَعَدَمِ الْعُودَةِ إِلَيْهَا وَيُغْطِيهَا اللهُ وَيَسْتُرُهَا عَلَيْكُمْ فَلَا يَأْخُذُ بِهَا وَيَكْفُرُ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ لَهُ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى غَيْرِكُمْ مِنْ خَلْقِهِ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ إِيْمَاءٌ وَتَنْبِيْهُهُ إِنْ مَا وَعَدَ بِهِ الْمُتَّقِينَ مِنَ الْمَثُوبَةِ فَضْلٍ مِنْهُ وَإِحْسَانٍ وَتَفَضُّلٍ بَدُونَ وَاسْطَةِ وَبَدُونَ أَلْتَمَاسٍ عَوْضٍ.



الثبات في الحرب

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا
فَنَفْسَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا
تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ الأنفال: ٤٥ - ٤٧

إرشادات ووصايا من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين المصدقين بالله ورسوله حتى ولو كانوا قلة ضعفاء فالإيمان يمنح القوة ويرفع المعنويات والكفر شأن الجبن وضعف المعنويات حتى وإذا انتصروا أحياناً.

أول هذه القواعد الحربية : الثبات أمام العدو فإذا حاربتهم العدو والتقيتم به في ميدان القتال فالواجب عليكم أن تثبتوا في قتالهم وتصمدوا للقائهم، وإياكم والفرار من الزحف والفرار موجب للعقاب، ثبت في الصحيحين عن سالم أبي النضر ، مولى عمر بن عبيد الله ، وكان كاتباً له ، قال : كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما ، فقرأته : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَتْ فِيهَا ، انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قام في الناس خطيباً قال : " أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَاقِبَةَ ، فَإِذَا لَقِيتُمْوَهُمْ فَاصْبِرُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ " [صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير].

والقاعدة الثانية : ذكر الله كثيراً في القلب واللسان والتضرع والدعاء بالنصر والظفر لان النصر لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى وذكر الله في أثناء القتال معنى العبودية لله، ويرفع الروح المعنوية ويكون عوناً على تحقيق النصر. لذا ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ أي إن هذا الثبات وذكر الله من وسائل الفوز بالأجر والثواب، والنصر على الأعداء.

وذكر الله هنا ذكر خفي لأن رفع الأصوات في مواطن القتال رديء مكروه، فأما إذا كان من الجميع عند الحملة فحسن يهدى ويفت في عضد العدو.

وروى أبو القاسم الطبراني عن زيد بن أرقم ، عن النبي ﷺ قال : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الصَّمْتَ عِنْدَ ثَلَاثٍ ، عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعِنْدَ الرَّحْفِ وَعِنْدَ الْجِنَازَةِ " [المعجم الكبير للطبراني]، وكان الصحابة يكرهون الصوت في هذه المواطن.

والقاعدة الثالثة : طاعة الله والرسول في كل ما أمر به ونهى عنه وهذا يتبعه طاعة القائد لأن الطاعة من أسباب النصر في القتال فهي وسيلة الانضباط وقمع الفوضى وتوقيت الأحداث بحسب ما يناسبها.

والقاعدة الرابعة : وحدة الصف والكلمة والهدف وترك التنازع والاختلاف فانه مدعاة للفشل والخيبة والهزيمة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُومٌ﴾ الصف: ٤.

والقاعدة الخامسة : الصبر على الشدائد والمحن وتحمل بأس العدو فإن الصبر سلاح القوي المقدم والله يؤيد الصابرين ويعينهم وينصرهم لذا قيل : ((الشجاعة : صبر ساعة)).

والقاعدة السادسة : ترك التكبر والبطر وهو الأشر وإهمال الشكر وترك الرياء وهو المباهاة والتصنع بما يراه غيرك. وقد نهى الله المؤمنين عن التشبه بالكفار الذين خرجوا متبخترين متكبرين مرانين للقتال في بدر دفعاً للحق وصدأً عن سبيل الإسلام وإظهاراً للفخر والاستعلاء بنعمة القوة والغنى والزعامة ومن أجل المفاخرة والتكبر يتمثل في قول أبي جهل لما قيل له : أن العير (إبل الميرة) قد نجت فارجعوا، فقال : لا والله، لا نرجع حتى نرد ماء بدر وننحر الجُر، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، وتتحدث العرب بمكاننا في يومنا أبدأً.

هذه النصائح من الله ﷻ دليل على الإخلاص في النية تكفل النصر للمسلم أبدأً لذا تقيدت الآية بزجر المؤمنين عن التشبه بخصال الكفار وذلك بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي عالم بما جاءوا به ولأجله فيجازيهم على أعمالهم في الدنيا والآخرة.



ترك الآباء والأخوة غير المسلمين

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِن
 اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الظَّالِمُونَ ﴾ التوبة: ٢٣

قال الكلبي : لما أمر رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه وأخيه وامراته إنا قد أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه ، ومنهم من يتعلق بزوجه وعياله وولده فيقولون : نشدناك الله أن تدعنا إلى غير شيء فنضيع ، فيرقّ فيجلس معهم ويدع الهجرة ... فنزلت يعاتبهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِن اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ﴾ الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

لما أمر المسلمون بمكة أن يهاجروا، قالوا : إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشيرتنا ، وذهبت تجارتنا، وهلكت أموالنا، وخربت ديارنا، وبقينا ضائعين فنزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ إلى آخر الآية، فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا يوادّه، ولا ينزله منزله ولا ينفق عليه ثم رخص بعد ذلك جواز الإحسان والهبة فقط للأقارب المشركين إذا جاؤوا إليهم يطلبون مساعدتهم كما رخص

لأسماء بنت أبي بكر في الإحسان والهبة لأمها المشركة حينما جاءت إليها من مكة ... وفي هذه الآية يجعل الله الرابطة بين أفراد المسلمين التي تستوجب الموالاة والتعاون والتناصر، هي الالتقاء عند وحدة العقيدة والدين وموازرتها والانتصار لها وذلك ((بالإيمان والهجرة والجهاد)) فهذه الأمور الثلاثة هي الأواصر التي كانت تربط بين المسلمين، لا القرابة ولا العشيرة ولا الوطن إلى ما قبل فتح مكة، ولهذا خاطب الله المؤمنين بأن يقطعوا ولايتهم ويقضوا على أسباب الروابط بينهم وبين الكافرين مهما كانت بينهم من القرابة وحضهم على الهجرة وترك آبائهم وإخوانهم وجميع أقاربهم وعدم موالاتهم إن اختاروا الكفر وأصرّوا عليه إصراراً لا يرجى عنه أصلاً، وآثروا الإقامة في ديارهم، وقد نسب الله الظلم والكفر لمن يواليهم ويناصرهم لأن المسلم الذي يُعين الكافر ويؤثر مخالفته وموادته والإقامة معه لقرابته ويقاطع المسلمين ويجافيهم .. كافر مثلهم، وفي معنى هذه الآية آيات كثيرة منها : ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنَّاكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٨) ﴿ وَإِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٩)

الممتحنة: ٨ - ٩ .

اللهم لا تجعلنا مع القوم الظالمين



المشركون نجس^٥

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا
 الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَدْ نَلَأُوا
 الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى
 يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ التوبة: ٢٨ - ٢٩

النجس / من نجس الشيء إذا كان قدراً غير نظيف، وقال الراغب :
النجاسة : القذارة وهي ضربان، ضرب يُدرك بالحاسة وضرب يُدرك بالبصيرة،
 وهذا ما وصف الله به المشركين فقال : ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ .

روى البيهقي أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : بعثني أبو بكر رضي الله
 عنه فيمن يؤذن يوم النحر بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ، وأن لا يطوف
 بالبيت عريان ، ويوم الحج الأكبر يوم النحر ، وإنما قيل الحج الأكبر من أجل
 قول الناس الحج الأصغر ، فنبت أبو بكر رضي الله عنه إلى الناس في ذلك العام
 فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة
 الوداع مشرك ، وأنزل الله عز وجل في العام الذي نبذ فيه أبو بكر إلى المشركين :

يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام إلى قوله : عليم حكيم ، فكان المشركون يوافون بالتجارة فينتفع بها المسلمون ، فلما حرم الله على المشركين أن لا يقربوا المسجد الحرام وجد المسلمون في أنفسهم مما قطع عنهم من التجارة التي كان المشركون يوافون بها ، فقال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ ﴾ ، ثم أحلّ في الآية التي تتبعها الجزية ، ولم تكن تؤخذ قبل ذلك ، فجعلها عوضا مما منعهم من موافاة المشركين بتجاريتهم فقال : قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، فلما أحلّ الله ذلك للمسلمين عرفوا أنه قد عوضهم أفضل مما كانوا وجدوا عليه مما كان المشركون يوافون به من التجارة . [السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الجزية]

عن عكرمة القرشي الهاشمي ، في قوله : ﴿ يَتَأَيُّهَا الذِّينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ قال : كان المشركون يجيئون إلى البيت ، ويجيئون معهم بالطعام ويتجرؤون فيه ، فلما نهوا أن يأتوا البيت قال المسلمون : من أين لنا طعام ؟ فأنزل الله : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ ﴾ فأنزل عليهم المطر ، وكثر خيرهم حين ذهب عنهم المشركون " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

المشركون أنجاس فاسدوا الاعتقاد يشركون بالله ويعبدون الرجس من الأوثان والأصنام ويدينون بالخرافات والأوهام ويأكلون الميتة والدم وهي أقدار حسية

ويستحلون القمار والزنا ويستبيحون الأشهر الحرم وهي أرجاس معنوية من أجل هذا لا تمكنوهم هذا العام أن يدخلوا المسجد الحرام بدخول أرض الحرم فضلاً عن دخولهم البيت وطوافهم فيه عراة يشركون بربهم في التلبية وإذا صلّوا لم تكن صلاتهم إلا مكاءً وتصدية.

وبلاد الإسلام في حق الكفار أقسام ثلاثة :

١- **الحرم** : ولا يجوز لكافر أن يدخله بحال من الأحوال وبذلك قال الشافعي وأحمد ومالك، فلو جاء رسول من دار الكفر والإمام في الحرم لا يُأذن له في دخوله بل يخرج إليه بنفسه أو يبعث إليه من يسمع رسالته خارج الحرم وأبو حنيفة يجيز للمعاهد دخول الحرم بإذن الخليفة أو نائبه.

٢- **الحجاز** : وهو ما بين عدن إلى ريف العراق في الطول، ومن جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام عرضاً، ويجوز للكافر دخولها بالأذن ولكن لا يقيمون فيها أكثر من ثلاثة أيام.

عن جابر بن عبد الله ، قال : أخبرني عمر بن الخطاب ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " **لأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ ، وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدَعَ إِلَّا مُسْلِمًا** " [صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير]

وفي رواية لمسلم، عن سعيد بن جبير، قال : قال ابن عباس : قال رسول

الله ﷺ : " **... أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، ...** " [صحيح مسلم -

كتاب الوصية]

قال مالك : قال ابن شهاب : أن رسول الله ﷺ قال : " لا يجتمع دينان في جزيرة العرب " فأجلى يهود خيبر ، قال مالك : " وقد أجلى عمر بن الخطاب يهود نجران وفدك ،... " [موطأ مالك - كتاب الجامع]
وعن جابر ، عن النبي ﷺ قال : " إن إبليس قد يؤس أن يعبدَه الْمُصَلُّونَ ، ولكنهُ في التحريش بينهم " [صحيح ابن حبان - كتاب الحظر والإباحة]

٣- سائر بلاد الإسلام : ويجوز للكافر أن يقيم فيها بعهد وأمان ولكن لا يدخل المساجد إلا بإذن مسلم.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾ : أي فقراً بسبب قلة جلب الأوقات وضروب التجارة التي كان يجلبها المشركون من أرباب المزارع والبساتين فسوف يغنيكم الله من فضله الكثير فقد صاروا بعد الإسلام ومنع المشركين من الحرم أغنى مما كانوا من قبل ، وصدق الله وعده فأسلم أهل اليمن وصاروا يجلبون الطعام لهم ، وأسلم أولئك المشركون ولم يبقَ أحد منهم يمنع من الحرم ثم جاءتهم الثروة من كل جانب عليهم فكثرت الغنائم وتوجّه الناس إليهم من كل فج عميق ومهدّ الله لهم سبل التجارة وأمن طرقهم التجارية.

كل ذلك بمشيئة الله تعالى لتقوية إيمانهم بريهم واتكالهم عليه إن الله عليم بما يكون في المستقبل ، حكيم في شرعه.

روى ابن المنذر عن ابن شهاب قال : أنزلت في كفار قريش والعرب الآية

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ... حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾ فكان أول من أعطى الجزية أهل نجران قبل وفاته عليه الصلاة والسلام.

عن الحسن بن أبي الحسن البصري ، قال : " قَاتَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ هَذِهِ
الْجَزِيرَةِ مِنَ الْعَرَبِ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ غَيْرُهُ، وَكَانَ أَفْضَلَ الْجِهَادِ، وَكَانَ
بَعْدَهُ جِهَادٌ آخَرَ عَلَى هَذِهِ الطُّغْمَةِ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ " [مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الجهاد]

قاتلوا أهل الكتاب إذ هم جمعوا أربع صفات ذكرها الله سبحانه وتعالى في
هذه الآية الكريمة ويجب خضوعهم لحكم الإسلام ما داموا في دار الإسلام إذ لو
أجيز لهم حمل السلاح لأفضى ذلك إلى قتال المسلمين في دارهم ومساعدة من
يهاجمهم فيها كما فعل يهود المدينة وما حولها بعد تأمين النبي ﷺ وجعلهم حلفاء
له، وأجاز لهم الحكم فيما بينهم بشرعهم وسمح لهم بالعبادة على النحو الذي
يريدونه، وكذلك فعل مع نصارى الروم في حدود البلاد العربية.

هذه الأمور الأربعة أو الصفات الأربعة هي أصول كل دين إلهي ومن ثم
أمر بقتال الذين لا يقيمونها وهي :

١. إنهم لا يؤمنون بالله / وقد شهد القرآن بأن اليهود والنصارى فقدوه بهدم أساسه
وهو التوحيد، إذ هم قد اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله يشرعون
لهم العبادات ويحرمون ويحللون فيتبعوهم، وبذا أشركوهم في الربوبية ومنهم
من أشرك به في الألوهية كالذين قالوا : ﴿ عَزَّيْبُ بْنُ اللَّهِ ﴾ والذين قالوا :
﴿ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ .

٢. إنهم لا يؤمنون باليوم الآخر / إذ هم يقولون إن حياة الآخرة حياة روحانية
محضة يكون فيها الناس كالملائكة لكننا نؤمن بأن الإنسان لا تتقلب حقيقته

بل يبقى مؤلفاً من جسد وروح ويتمتع بنعيم الأرواح والأجساد، ولا يوجد لديهم أي النصرى واليهود دليلاً أو نص صريح في البعث والجزاء بعد الموت بل إشارات غير صريحة في ذلك.

٣. إنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله / فاليهود لا يحرمون ما حرم في شرعهم الذي جاء به موسى ونسخ بعضه عيسى ولا يلتزمون العمل بما حرم فقد استحلوا أكل أموال الناس بالباطل كالربا وغيره، واتبعوا عادات المشركين في القتال والنفي ومفاداة الأسرى، والنصارى استباحوا ما حرم عليهم في التوراة ما لم ينسخه الإنجيل فأباحوا جميع محرّمات الطعام والشراب إلا ما ذبح للأصنام، فقد ثبت في كتبهم أن الله حرم عليهم الشحوم فأذابوها وباعوها وأكلوا أثمانها وحرم عليهم أشياء أخرى فأحلوها.

٤. إنهم لا يدينون دين الحق / إذ أنهم يدينون بدين تقليدي وضعه لهم أسأقتهم وأحبارهم بآرائهم واجتهاداتهم المذهبية لا دين الحق الذي أوحاه الله إلى عيسى وموسى عليهما السلام ... فاليهود لم يحفظوا ما استحفظوا من التوراة التي كتبها موسى وكان يحكم بها هو والنبيون من بعده إلى أن عاقبهم الله بتسليط البابليين عليهم فجاسوا خلال الديار وأحرقوا الهيكل وما فيه من الأسفار وأجلوهم عن وطنهم إلى ارض من استعبدهم فدأنوا لشرعية غير شريعتهم، ولما عادوا إلى أوطانهم وكانوا قد فقدوا نصوص التوراة وحفظوا بعضها دون بعض كتبوا ما حفظوا من شريعة الرب ممزوجاً بما دانوا به من شريعة ملك بابل كما أمرهم كاهنهم عزرا (عزير) ثم هم بعد ذلك حرّفوا وبدلوا، والنصارى لم يحفظوا كل ما بلغهم عيسى عليه السلام من العقائد والوصايا

والأحكام القليلة الناسخة لبعض أحكام التوراة الشديدة. وكتب كثير منهم تواريخ أودعوا فيها ما عرفوه من ذلك ومن غيره وجاءت المجامع الرسمية بعد ثلاثة قرون فاعتمدت أربعة أناجيل من نحو نيف وسبعين إنجيلاً رفضتها وجعلتها غير قانونية، فهم لا يدينون بالدين الحق الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ آل عمران: ٨٥ ﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَّةً يُحْزِنُونَ أَلْكَامَ الْعَرَبِ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّوْا أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَاعْرِضْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ المائدة: ١٣ - ١٤ .

من هذه الآيات نعلم أن كلاً من اليهود والنصارى نسي حظاً مما ذكرهم به نبيهم ولم يعملوا بالبعض الآخر فأكثر عبادتهم من وضع أعباءهم ورهبانهم. ولقب أهل الكتاب، والذين أوتوا الكتاب وإن كان عاماً خصّ به اليهود والنصارى لأنهم هم الذين جاؤوا الأمة العربية ومعروفين لديهم كما قال تعالى مخاطباً مشركي العرب : ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْأَلْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴾ الأنعام: ١٥٦ .

﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ أي قاتلوا الذين ذكروا حين وجود ما يقتضي القتال كالاغتداء عليكم أو على بلادكم أو اضطهادكم وفتنتكم

عن دينكم أو تهديد لأمنكم وسلامتكم كما فعل (الروم) وكان ذلك سبباً لغزوة تبوك، إلى أن تأمنوا عدوانهم بإعطائكم الجزية بشرط أن تكون صادرة عن قدرة واسعة فلا يُظلموا ولا يُرهبوا وأن يخضعوا لسيادتكم وحكمكم، وبهذا يسهل السبيل إلى الإسلام بما يشاهدونه من عدلكم وفضائلكم التي يرونها رأي العين.

ويحرم ظلمهم وإرهابهم بتكليفهم ما لا يطيقون، ويسمّون حينئذٍ أهل الذمّة إذ كل هذه الحقوق تكون لهم بمقتضى ذمة الله وذمة رسوله. أما الذين يعقد بيننا وبينهم صلح بعهد أو ميثاق يعترف به الطرفان فيسمّون المعاهدّين أو أهل العهد.

اللهم أنر قلوبنا وأبصارنا بنور كتابك العزيز



أَكَلَ أَمْوَالَ النَّاسِ وَعَدِمَ الْإِنْفَاقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾ التوبة: ٣٤ - ٣٥ ﴾

يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأجبار والرهبان اشربت قلوبهم حب المال والجاه ... من أجل حب المال أكلوا أموال الناس بالباطل، ومن أجل حب الجاه صدوا عن سبيل الله.

وأكل أموال الناس : أخذها بغير حق شرعي ويكون ذلك بطرق مختلفة أولها (الرشوة) لأجل المساعدة على إبطال حق أو إحقاق باطل ، وثانيها (الربا) وهو فاش عند اليهود حيث يفتي أحبارهم بأكل الربا من غير الإسرائيليين مستحلين ذلك بنص توراتهم المحرفة وكذلك عند النصارى، وقد وضع لهم الأساقفة أحكاماً للربا والقروض يسمونه اللاهوت الأدبي فأباحوا بعض الربا دون غيره، وثالثها زيارة قبور الأنبياء والصالحين والمعابد التي بنيت بأسمائهم مع هدايا

ونذور والوقف على الدير أو الكنيسة عندهم والبدعة الوثنية أن يوضع في المعبد قبراً أو صورة أو تمثال فيه صاحبه ، مع الله تارة ومن دونه أخرى فهذه البدع تتبرأ منها الأديان والنفقة فيها من الباطل.

والرابع بذلها لمن يعتقدون فيهم الصلاح والزهد ويشفون المرضى اعتقاداً منهم أن الله يستجيب لدعائهم أو لشفاعتهم.

وخامسها أخذ المال إلى ما يسمونه (الاعتراف) فيأتي الرجل أو المرأة لدى القسيس أو الراهب لسماع أسرار الاعتراف ومغفرة الذنوب ويعتقدون أن ما يغفره هؤلاء يغفره الله.

والسادس أخذهم الأموال على فتاوي لتحليل الحرام وتحريم الحلال إرضاءً لشهوات الملوك وكبار الأغنياء.

والسابع أخذ أموال مخالفيهم في الدين سرقة وخيانة، كما قال تعالى :

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ

إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ آل عمران: ٧٥ ، وصددهم عن السبيل هو منعهم الناس من معرفة الله معرفة صحيحة وعبادته على الوجه الذي يرتضيه منهم مشركون غير موحدين لا يعبدون الله بما شرَّعه الله بل بما شرَّعه البشر .

والذين يكتزون الذهب والفضة ولا يخرجون منها الحقوق الواجبة سواءً أكان

من الأحرار والرهبان أم كان من المسلمين، ومعنى قوله : لا ينفقونها في سبيل الله : أي لا يؤدون زكاتها.

أخرج الشافعي والطبري، عن ابن عمر، قال: " ما أَدَّيْتَ زَكَاتَهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ وَإِنْ كَانَ تَحْتَ سَبْعِ أَرْضِينَ ، وما لم تُؤدَّ زَكَاتَهُ فَهُوَ كَنْزٌ وَإِنْ كَانَ ظَاهِراً "

وأخرج أبو داود والحاكم والبيهقي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال :
لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ كَبُرَ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَقَالُوا : ما يستطيع أحدنا أن يترك ما لا لولده يبقى بعده . فقال عمر رضي الله عنه : أنا أفرج عنكم ، قال : فانطلقوا وانطلق عمرُ واتبعه ثوبان فاتوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه : يا نبيَّ الله ، قد كَبُرَ على أصحابِكَ هذه الآية . فقال نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليُطَيَّبَ بها ما بقي من أموالكم ، وإنما فَرَضَ المَوارِثَ في أموالٍ تبقى بعدكم " قال : فكَبَّرَ عمر رضي الله عنه ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم : " ألا أخبرُك بخيرٍ ما يَكُنْزُهُ المرءُ المرأَةَ الصالحةَ ، إذا نظر إليها سرَّتَهُ ، وإذا أمرها أطاعتَهُ ، وإذا غاب عنها حفظتَهُ " [المستدرک على الصحيحين للحاكم - كتاب التفسير] ... وعن ثوبان، قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تَباً لِلذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ " ، قالوا : يا رسول الله فأَيُّ المَالِ كَنْزٌ ؟ قال : " قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وزوجةً سالحةً " [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

يوم يحمى على هذه الكنوز لأن الله قادر على إعادتها فتكوى جباههم وجنوبهم وظهورهم، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ ، لا يُؤدِّي منها حقَّها ، إلا إذا كان يومَ القِيامَةِ ، صَفَّحَتْ له صَفائحٌ من نارٍ ، فأحميَ عليها في نارِ جهنمَ ، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهْرُهُ ، " [صحيح مسلم - كتاب الزكاة]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " من آتاه الله مالا ، فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا (بالضم والكسر نكز الحية) أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك ، ثم تلا : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴾ " الآية [صحيح البخاري - كتاب الزكاة]

وذكر الأعضاء التي تكوى وهي : جباههم لأن بالوجه يستقبلون الفقير معبسين ليحجموا عن السؤال، ولأن الجنوب والظهور يتقبلون فيها على سرر النعمة ويعرضون عن المساكين وطالبي الحاجات ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ دُفُؤًا مَسَّ سَقَرَ ﴾ (٤٨) القمر : ٤٨ ... فتقول لهم ملائكة العذاب الذين يتولون كيهم : هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا وبال أمركم وإمساكم عن النفقة في سبيل الله.



غزوة تبوك

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَنَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا نَنْفِرُوا يُعَذِّبَكُمْ
 عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ
 لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْدَاهُ
 يَجُودُ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى
 وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَّا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

التوبة: ٣٨ - ٤٠

النفر والنفور : الفرار من الشيء أو الإقدام عليه بخفة ونشاط، يقال :
 نفرت الدابة والغزال نفوراً، ونفر الحبيج من عرفات نفراً، واستنفر العسكر إلى
 القتال، وأعلن النفير العام والتناقل : التباطؤ.

لا خلاف أن هذه الآيات نزلت عتاباً على تخلف من تخلف عن رسول الله
 ﷺ في غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة بعد الفتح (فتح مكة) بعام واحد،
 غزا فيها الروم في عشرين ألفاً بين راكب وراجل وسُمي جيش العسرة.

وتخلف عنه قبائل من الناس منهم مؤمنون ومنهم منافقون، وقد اشترك مع الروم قبائل عربية متحصرة من لحم وجذام وغيرهم حيث جهزوا جيشاً كثيفاً من أربعين ألفاً لغزو المدينة.

لقد دعا الرسول ﷺ إلى غزوة تبوك وكانوا في عسرة وضيق وشدة حر، وقد حان قطاف التمر عندهم حين طابت الثمار فشُقَّ عليهم فبين الله لهم أنه لا يصح ترك سعادة الآخرة والخير الكثير الخالد من أجل ترف الدنيا وطيبيتها وأنفق في هذه الغزوة أبو بكر لتجهيز الجيش جميع ماله، وقدم عثمان ثلاثمائة بغير محملة طعاماً وألف دينار.

روى الطبري، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه للجدِّ بن قيس أخي بني سلمة: "هل لك يا جدُّ العام في جلاء بني الأصفر؟" فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي ما رجلٌ أشدُّ عجباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيتُ نساء بني الأصفر أن لا أصبرَ عنهن، فأعرضَ عنه رسولُ الله ﷺ، وقال: "أذنتُ لك"، ففي الجد بن قيسٍ نزلت هذه الآية ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَكْفُرُ أَتَدْنُ لِي وَلَا تَفْتِنِي﴾ : ٤٩ الآية "... وتخلف عبد الله بن أبي ومن تبعه من حزب المنافقين فنزل في شأنهم: ﴿لَقَدْ ابْتِغَوْا لُفْتِنَةً مِنْ قَبْلُ وَكَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ : ٤٨ وتخلف ثلاثة من أعيان الأنصار، وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، فقال رسول الله ﷺ:

" لا يكلمنَّ أحدٌ أحدًا من هؤلاء الثلاثة " لقد أمر النبي باعتزالهم خمسين ليلة حتى ضاقت عليهم الدنيا في وجوههم ثم تاب الله عليهم وأنزل فيهم قوله :

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ : ١١٨ الآية.

ووصل النبي ﷺ إلى الحجر وهي أرض ثمود قرب الشام، نهاهم الرسول عن ورود ماء مدين، ووصل إلى تبوك وهي مدينة بين الحجر وأول الشام وأقام بها عشرين ليلة، ثم رجع رسول الله إلى المدينة في رمضان ولم يجد من يقاتله. لقد وجّه الله عتاباً لمن تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ولم يخفوا إلى القتال معه ولم ينهضوا للجهاد، ومعنى الآية : ما لكم تتناقلون وتتباطئون إذا طلب إليكم لتخرجوا إلى العدو والجهاد في سبيل الله وتميلون إلى الخمول والكسل والقعود في دياركم ؟ هل تفضلون الدنيا الفانية وما فيها من شهوات ولذات زائلة وراحة مع ذل وبؤس وفقر على الآخرة وما فيها من نعيم دائم؟

ثم تَوَعَدَ اللهُ تَعَالَى من ترك الجهاد فقال : ﴿ إِلَّا نَفَرُوا يُعَذِّبُكُمْ ﴾ أي إن تخرجوا مع النبي إلى ما دعاكم إليه يعذبكم الله في الدنيا بالقحط وغلبة العدو ويستبدل قوماً غيركم لنصرة نبيه وإقامة دينه كما قال : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ محمد: ٣٨ لأنه القاهر في عباده والقادر على كل شيء.

ثم رَغِبَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ لِلجِهَادِ مَرَّةً ثَانِيَةً وَحَثَّهُمْ عَلَى مَنَاصِرَةِ النَّبِيِّ لِنَجَاحِ الْهَجْرَةِ، فَقَالَ : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ ﴾ ...

أي إن لم تنصروه أو تركتم نصره فإله متكفل بذلك، فقد نصره في موضع القلة والانفراد وكثرة العدد ونصره اليوم يوم الهجرة أخرى بذلك وذلك حين أخرجه المشركون من مكة إلى المدينة وفي صحبته أبو بكر ؓ فدخلا وهما في طريقهما إلى المدينة غار ثور ومكثا فيه ثلاثة أيام ليرجع الباحثون عنه إلى ديارهم ثم يسيروا بعدها إلى المدينة فخاف أبو بكر على صاحبه رسول الله فقال له النبي : " لا تحزن إن الله معنا " يؤيدنا بنصره وحفظه ولطفه، فأنزل الله طمأنينته وتأييده على رسوله وعلى أبو بكر وأحاطه بجنود من الملائكة لم يرها أحد من الناس بعينه وصرفت عيون المشركين عنه ودكّ الشرك وأحبط عمله وكلمته وهوى بها إلى الدرك الأسفل ... وأعلى الدين ورفع رأيته والله عزيز لا يغلبه غالب حكيم في تأييده وتدبيره.



الصدق ... ومراقبة الله ﷻ

﴿ بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

التوبة: ١١٩

يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله اتقوا الله وراقبوه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه، وكونوا في الدنيا من أهل ولايته وطاعته تكونوا في الآخرة مع الصادقين في الجنة. ولا تكونوا مع المنافقين الذين يتصلون من ذنوبهم بالكذب ويؤيدونه بالحلف.

أخرج الحاكم ، عن عبد الله بن مسعود، رفع الحديث إلى النبي ﷺ : " **إِنَّ الْكُذْبَ لَا يَصْلُحُ مِنْهُ جِدٌّ وَلَا هَزْلٌ ، وَلَا أَنْ يَعِدَ الرَّجُلُ ابْنَهُ ثُمَّ لَا يُنْجِزُ لَهُ ،** " [المستدرک علی الصحیحین للحاکم]

وروى البيهقي، عن عبد الله بن مسعود ، قال : " **إِنَّ الْكُذْبَ لَا يَصْلُحُ مِنْهُ جِدٌّ وَلَا هَزْلٌ ، اقرعوا إن شئتم : ﴿ بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾** . "

وأخرج البيهقي، عن عبد الله بن مسعود، رفع الحديث إلى النبي ﷺ قال : " ، **إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْكُذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، إِنَّهُ يُقَالُ لِلصَّادِقِ صِدْقٌ وَبِرٌّ ، وَيُقَالُ لِلْكَاذِبِ كَذَبٌ وَفَجْرٌ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا ، وَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا** "

ولا رخصة في الكذب إلا لضرورة من خديعة حرب أو إصلاح بين اثنين أو رجل يحدث امرأته ليرضيها أي في التحبب إليها يوصف محاسنها ورضاه عنها لا في مصالح الدار والعيال وغيرها.

أخرج الإمام احمد والطبري، عن أسماء بنت يزيد ، أنها سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول : " كل الكذب يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا ثَلَاثَ خِصَالٍ رَجُلٌ كَذَبَ امْرَأَتَهُ لِيَرْضِيَهَا ، أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ فِي خَدِيعَةِ حَرْبٍ ، أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ امْرَأَيْنِ مُسْلِمِينَ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا " [مسند أحمد بن حنبل]



بعض أحكام وقواعد الجهاد

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة: ١٢٣)

بين الله سبحانه وتعالى للمؤمنين أحكام الجهاد في الآيات السابقة منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٢).

فهذه الآية لا توجب الجهاد على جميع المؤمنين في أحوال الاستقرار وإنما يجب على المؤمنين طلب العلم لان الجهاد يعتمد على العلم ولأن نشر الإسلام يتوقف على البيان والإقناع بالحجة والبرهان وما رفع السيف إلا لنشر الدعوة، فمتى قام البعض في الجهاد سقط الإثم عن الباقين وليس هو فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل وإنما يصبح فرض عين إذا خرج الرسول للجهاد وأستنفر الناس إليه.

ثم أوضح الله تعالى بعض قواعد الجهاد قبل الأمر بقتال الأعداء كافة على سبيل التدرج في التشريع في أول الإسلام، وأول هذه القواعد أن يبتدئ المجاهدون بالأقرب فالأقرب، ثم ينتقلوا إلى الأبعد فالأبعد وطبق النبي هذه الخطة فبدأ بقتال قومه في قلة ثم قاتل سائر العرب ثم أنتقل إلى قتال الروم في الشام ثم أتجه أصحابه لدخول العراق.

فيا أيها المؤمنون قاتلوا الأقرب فالأقرب منكم إلى ديار الإسلام فان فيه التحصن وهم أولى بالرعاية والهداية، واتقوا شرهم وأمنوا ظهوركم بالقضاء عليهم ولا ينبغي أن تتركوهم كالشوكة في ظهوركم وحاربوا المتأخمين لكم والضاربيين على حدودكم وخذوهم بالشدة والتخويف وليجدوا فيكم غلظة وخشونة وقوة وحمية وصبراً على القتال وجرأة في خوض المعركة وهذه طبيعة الحرب ومصلحة القتال، واعلموا أن الله مع المتقين بالنصر والحراسة والإعانة والمتقون هم المتبعون وأمر الله عز وجل والمجتبون نواهيته.

اللهم أنصر دينك الحق والإسلام والمسلمون



من شرائع الله وأحكامه

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ
وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ
جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مِلَّةَ أَبِيكُمْ
إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا
عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا
بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ الْحَج: ٧٧ - ٧٨

يا أيها الذين آمنوا : أدوا صلاتكم لأنها أهم أركان الدين، واطمننوا في ركوعكم وسجودكم لأنها مظهر من مظاهر خضوعكم وعبوديتكم وابدوا ربحكم وتحروا ما هو خير في أفعالكم كصلة الرحم ومكارم الأخلاق والتصدق على الفقراء، وإغاثة المحتاجين ومعاملة الناس بالحسنى لتفوزوا بنعيم الجنة وجاهدوا حباً في الله ومن أجل إرضائه جهاداً خالصاً لوجهه الكريم، والجهاد ثلاثة أنواع : جهاد النفس والهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الأعداء، ويكون الجهاد باللسان والنفس والمال.

أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن أنس بن مالك ، أن النبي ﷺ قال : " جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ " [سنن أبي داود - كتاب الجهاد]

روى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ سُئِلَ : أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : " إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ " . قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : " الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : " حَجُّ مَبْرُورٌ " [صحيح البخاري- كتاب الإيمان]

عن سلمان الفارسي، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ ، وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ ، وَأَمِنَ الْفِتَانَ " [صحيح مسلم - كتاب الإمامة]

عن فضالة بن عبيد، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مَرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ " [سنن الترمذي الجامع الصحيح - أبواب فضائل الجهاد]

عن معاذ بن جبل ، عن النبي ﷺ قال : " مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فُوقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً ، فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَعْزَرٍ مَا كَانَتْ لَوْنُهَا الزَّعْفَرَانُ وَرِيحُهَا كَالْمِسْكِ " [سنن الترمذي الجامع الصحيح - أبواب فضائل الجهاد]

وما جعل لكم في الدين من حرج وضيق بتكليفكم وما يشق عليكم القيام به بل سهله لكم عند الضرورات، كالتييم وقصر الصلاة وأكل الميتة، والفطر عند السفر والمرض، عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : " فَإِذَا أَمَرْتُمْ بِشَيْءٍ فَأَتَوْا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، ... " [صحيح مسلم - كتاب الحج] ونحو الآية

﴿ فَانْفَعُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ النعابن: ١٦ وقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا

يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴿ البقرة: ١٨٥ وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ البقرة: ٢٨٦ .

إن الله تعالى اجتباكم واختاركم أيها المسلمون من بين سائر الأمم للقيام بهذه المهمة السامية وخصكم بأكرم الرسل .

وجعل الله ملتكم هي ملة إبراهيم الخليل أبيكم وهي ملة الحنفية السمحة القائمة على التوحيد ونبد الشرك والوثنية .

إن الله تعالى أو إبراهيم الخليل هو الذي سماكم المسلمين أي المنقادين لأمر الله في الكتب القديمة من قبل وفي آي القرآن الكريم .

والراجع أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الحج: ٧٨

يعود إلى الله تعالى بدليل قوله : ﴿ وَفِي هَذَا ﴾ الحج: ٧٨ أي في القرآن فهذه اللفظة تضعف قول من قال الضمير يعود إلى إبراهيم، وهذه التسمية تتصف بها أمة الإسلام وتمتاز بالوسطية والاعتدال ويكون الرسول محمد ﷺ شهيداً على أمته بتبليغها ما أُرسلَ به إليهم، وليكون المسلمون شهداء على الناس في أن الرسل بلغتهم رسالة ربهم وشهادة الرسول على أمته علة في الحكم وهو تسميتها أمة مسلمة وقبول شهادة المسلمين على غيرهم فيه تشريف لأمة الإسلام .

فإذا كانت الأمة الإسلامية لها هذه المكانة، فعلى المؤمنين مقابلة هذه النعمة الجليلة بشكرها، وشكرها بإقامة الصلاة وأدائها تامة الأركان والشرائط بخشوع كامل وخضوع تام لله سبحانه وتعالى وإيتاء الزكاة التي هي طهارة للنفس والمال والاعتصام بالله أي الثقة به والالتجاء إليه والاستعانة بقوته الفائقة على

دفع الضرر ودفع كل مكروه وهو ناصركم على من يعاديكم فنعم المولى أي
الحافظ والناصر والمالك والخالق المتولي أمور الخلائق ونعم الناصر المعين وهو
الله تعالى.

حمداً لله على نعمه الظاهرة والباطنة



الكتبخنة العامة
صليبه

التحذير من وساوس الشيطان

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا يُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

النور: ٢١ - ٢٢

يا أيها المؤمنون لا تتبعوا مسالك الشيطان ومذاهبه التي يدعوكم إليها بإشاعة الفاحشة ومن يسلك طريق الشيطان ويصغ إلى وساوسه كان عاصياً مثله، لأن الشيطان يوسوس إلى من يستضعفهم فيوعز إليهم بارتكاب الأخطاء وما ينكره الشرع وتأبى النفوس الطاهرة فتتفر منه ولا ترضاه كقذف عائشة رضي الله عنها ولو لا فضل الله عليكم أيها القاذفون ورحمته بكم بتوفيقكم إلى التوبة التي محت ذنوبكم وتشريع الحدود المكفرة لآثامكم، ما صلح ولا تطهر أحد منكم من دنس المعصية، ولا بلغ مبلغ رضا الله عنه ولكن الله لطيف بعباده ﴿ وَلَا

يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ النحل: ٦١

ومن فضل الله تعالى أن يظهر من يشاء من ذنبه بقبول توبته ومن ذلك قبول توبة حسان ومسطح وغيرهما من أهل الأفك والله سميع لأقوال عباده، عليم بمن يستحق الهدى والضلال.

والآية: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ ﴾ نزلت في أبي بكر الصديق حيث حلف على ألا ينفق على قريبه وابن خالته الفقير مسطح، وقد كان يتيماً في حجره وكان ينفق عليه وعلى أقرابه.

والمعنى: لا يحلف ذو الفضل منكم في الدين والسعة في المال والمراد قلنا أبا بكر الصديق ألا يعطوا ذوي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ما تعودوه من النفقة عليهم لجناية ارتكبوها، وليعفوا عما فرط منهم وليصفحوا عن أساء إليهم. ألا تحبون أن يغفر الله لكم في مقابل عفوكم وصفحكم، فلما قرأ رسول الله ﷺ على أبي بكر الآية قال: بلى، أحب أن يغفر الله لي وقد تجاوزت عما كان مني وأعاد إلى مسطح نفقته وكفر عن يمينه.

فكلما يصفح المرء عن المسيء يصفح الله عنه والله تام الرحمة واسع المغفرة لذنوب عباده الطائعين التائبين.

اللهم اغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم



آداب الاستئذان في الإسلام

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا
وَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا
أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرِجِعُوا فَآرِجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ
لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ
مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

النور: ٢٧ - ٢٩

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾ الآية حدثنا
قيس عن أشعث بن سوار عن ابن ثابت قال : جاءت امرأة من الأنصار فقالت :
يا رسول الله إنِّي أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا
ولد، فيأتي الأب فيدخل عليّ ، وانه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على
تلك الحال، فكيف أصنع ؟ فنزلت الآية، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ
بُيُوتِكُمْ ﴾ الآية

قال المفسرون : فلما نزلت هذه الآية قال أبو بكر الصديق ﷺ يا رسول الله
أفرايت الخانات والمسكن في طرق الشام، ليس فيها ساكن ؟ فأنزل الله تعالى :
﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾ الآية [أسباب النزول للإمام الواحدي

[النيسابوري]

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم المعدة للسكنى ولو كان ملكاً لكم ولأقربائكم إلا بعد أن تستأذنوا أهلها بالدخول حسب العرف الشائع لديكم كطرق الباب بغير عنف أو استعمال جرس التنبيه أو غير ذلك فان تكرر الطرق على الباب أو استعمال جرس التنبيه ثلاث مرات فلم يأذن لكم أحد فارجعوا فان ردَّ عليكم أحد فاذكروا أسمكم ولقبكم ولا تقولوا (أنا) فان أذن لكم بالدخول فحيوا من يلقاكم حين دخولكم وسلموا عليهم ولا يجوز أن تدخلوا مساكن غيركم بدون استئذان. وقد روي عن عطاء بن يسار ، أن رسول الله ﷺ سأله رجل ، فقال : يا رسول الله ، أستأذن على أمي ؟ فقال : " نعم " ، قال الرجل : إني معها في البيت ، فقال رسول الله ﷺ : " استأذن عليها " ، فقال الرجل : إني خادمتها ، فقال له رسول الله ﷺ : " استأذن عليها ، أتحبُّ أن تراها عُرْيَانَةً ؟ " قال : لا ، قال : " فاستأذن عليها " [موطأ مالك - باب الاستئذان]

وإن بدا لسكان البيت أن يعتذروا لعدم مناسبة الوقت للزيارة أو انشغالهم بأمر خاص، فينبغي أن لا نلحَّ في الدخول أو نقف على الأبواب، والرجوع خير وأفضل، والله عليم بأعمالكم.

لقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ، قال : كنت في مجلس من مجالس الأنصار ، إذ جاء أبو موسى الأشعري كأنه مدعورٌ ، فقال : استأذنتُ على عمرَ ثلاثاً ، فلم يُؤذَن لي فَرَجَعْتُ ، فقال : ما مَنَعَكَ ؟ قلت : استأذنتُ ثلاثاً فلم يُؤذَن لي فَرَجَعْتُ ، وقال رسول الله ﷺ : " إذا استأذَنَ أَحَدُكُمْ ثلاثاً فلم يُؤذَن له فليُرجِعْ " [صحيح البخاري - كتاب الاستئذان]

والزيارة تؤدي إلى تقوية روابط المحبة والمودة للناس ولاسيما في الأعياد والمناسبات وينبغي للزائر غض البصر عما يلقاه من البيوت مما يؤذيهم قال رسول الله ﷺ فيما رواه أحمد والشيخان والترمذي عن سهل بن سعد : " ...، إِنَّمَا جُعِلَ الاستِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ البَصْرِ " [وهذا لفظ البخاري- كتاب الاستئذان]

ولا حرج عليكم أيها المؤمنون في دخول الأمكنة التي ليست معدة للسكنى من غير استئذان وإنما هي معدة لمصالح الناس كافة، كالحوانيت والفنادق والمقاهي، إذا كان دخولها منفعة لكم كالشراء والجلوس أو المبيت. والله يعلم سركم وإعلانكم، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.



آداب الزيارة والاستئذان

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا
 الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهْرِ
 وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ
 بَعْدَهُنَّ طَوَفَاتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
 الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا
 كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ
 عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ
 عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن
 يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ النور: ٥٨ - ٦٠

رُوي أن سبب نزول الآية : ((ان رسول الله ﷺ بعث وقت الظهيرة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه غلاماً من الأنصار يقال له (مُدلج) وكان عمر نائماً فدق عليه الباب ودخل فاستيقظ وجلس فانكشف منه شيء، فقال : لوددت أن الله تعالى نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا عن الدخول علينا في هذه الساعة إلا بأذن فانطلق معه إلى رسول الله ﷺ فوجد الآية قد نزلت فخرّ ساجداً. وهذا أحد موافقات رأيه الصائب رضي الله عنه)) [صفوة التفاسير]

وقيل ان السبب ما روي أن أسماء بنت أبي مرثد دخل عليها غلام كبير لها في وقت كرهت دخوله فيه، فأتت رسول الله ﷺ فقالت : ان خدمنا وغلماطنا يدخلون علينا في حال نكرها فنزلت الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

تقدمت آية الاستئذان في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ... الآية ﴾ في الصفحة التي سبقتها. وهي آية عامة تشمل جميع المستأذنين في جميع الأوقات وقد خص الله هنا في هاتين الآيتين بعض المستأذنين في بعض الأوقات، فلا يدخل الإنسان فيها عبد أو أمة صغيراً كان أم كبيراً وكذلك الصبيان من الأقرباء الذين فوق أربع سنوات ولم يحتلموا لأن من دونهم في السن لا يدركون ما يرون، إلا بعد الاستئذان فيستأذن العبيد والإماء على سادتهم والصبيان على أهلهم قبل الدخول عليهم في الأوقات الثلاثة الآتي بيانها :

١- قبل الفجر : حيث يكون الإنسان في وضع لا يجب أن يراه أحد.

٢- وقت القائلة : عند التجرد من الثياب بسبب اشتداد الحر.

٣- بعد صلاة العشاء لاستعداد الإنسان لراحته وحرته في النوم.

هذه ثلاث مرات في الخلوة، قد ينكشف فيها منكم من العورة ما يجب ستره عن الغير.

وليس عليكم معاشر أرباب البيوت والمساكن ولا على الذين ملكت أيمانكم من عبيد وإماء، والذين هم فوق أربع السنوات ولم يحتلموا إثم في الدخول من غير استئذان بعد هذه الأوقات إلى حلول ما بعدها.

فالمماليك والصبيان طوافون يدخلون على مواليتهم وأقاربهم وأنتم طوافون عليهم من غير اذن كذلك بين الله أحكام الاستئذان في هذه الآية كما بين شرائع دينه والله عليم بما يصلح لعباده، حكيم في تدبير أمورهم.

وإذا بلغ الصبيان من أولادكم وأقاربكم الذين أمروا بالاستئذان في الأوقات الثلاثة إذا بلغوا الحلم أي مبلغ الرجال جروا على سنة البالغين فليستأذنوا عند الدخول في كل وقت كما استأذن من قبلهم الرجال الذين فرض الله عليهم الاستئذان في كل وقت في الآية العامة السابقة فيدخلون تحت حكم ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ... الآية﴾.

عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رجلين سألاه عن الاستئذان في الثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن ، فقال لهم ابن عباس : إِنَّ اللَّهَ سَتِيرٌ يُحِبُّ السُّتْرَ . [تفسير ابن أبي حاتم]

والنساء العجائز اللاتي قعدن عن الحيض وإنجاب الأولاد ولا يطمعن في مباشرتهن لكبرهن ولا مأرب للرجال منهن فليس عليهن إثم أن يضعن ثيابهن من جلباب أو رداء أو قناع على أن لا يظهرن زينتهن كقلادة أو سوار واخلخال ولا يبيدين نحورهن وسيقانهن وتعفن عن خلع ثيابهن الظاهرة واستتارهن بها خير لهن والله سميع بمقالهن للرجال ومحادثتهن وقصدهن وما في قلوبهن.

عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما : ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهن ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ...﴾ إلى

آخر الآية، والآية التي في سورة النساء ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ...﴾
الآية ، والآية التي في الحجرات ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنَكُمْ﴾ . [ابن كثير]

اللهم أستر علينا بسترِكَ وأعفو عنا برحمتِكَ

واغفر لنا ذنوبنا وهيئ لنا من أمرنا رشدا



غزوة الأحزاب أو الخندق في السنة الخامسة للهجرة

نزلت في سورة الأحزاب آيات بينات في شأن غزوة الخندق وما أتصل بها من أمر بني قريظة في السنة الخامسة من الهجرة.

وهذه الآيات القرآنية سوف نقسمها إلى ثلاث مواضيع حيث جاء في وصف هذه الغزوة الآيات الآتية :

قصة الغزوة

كان اليهود بعد هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، أشد كراهة له من قريش، ولأسيما بعد إجلائه بني النضير، فأخذوا يؤلبون القبائل العربية على محاربة المسلمين، خرج جماعة منهم على رأسهم حُيي ابن أخطب إلى قريش بمكة، وحرصوهم على الاشتراك معهم في محاربة محمد وأصحابه ثم ذهبوا إلى قبائل غطفان، وبني مُرّة، وبني عامر، وبني فزارة، وأشجع، وسُلَيم، والى كل من لهم ثأر عند المسلمين، فأخذوا يحرضوهم على الأخذ بثأرهم ويذكرون لهم موافقة قريش على إعلان الحرب، وبهذا استطاعوا أن يؤلبوا جمعاً حاشداً، كان مؤلفاً من نحو ستة آلاف من قريش، على رأسهم أبو سفيان وخرج عدد كبير من غطفان وبني فزارة، وبني مُرّة، وبني عامر، وأشجع، وسُلَيم، وانحاز إليهم بنو سعد وبنو كنانة وأسد، فصار هؤلاء الأحزاب أكثر من عشرة آلاف مقاتل، قصدوا جميعاً إلى

المدينة تحت راية أبي سفيان. فلما وصلوا إليها تداول زعماء هذه القبائل في الرياسة عليهم في أثناء الحرب فانفقوا على أن يكون لكل زعيم يومٍ على التوالي.

بلغ ذلك النبي ﷺ وأصحابه بالمدينة، فهاهم ما سمعوا عن هؤلاء الألواف المؤلفة، من جند وخيل وإبل وميرة، وعُدَّة وذخيرة، وكان سلمان الفارسيّ ﷺ يعرف من أساليب الحرب حين كان بفارس ما لم تكن تعرفه العرب، فأشار عليهم بحفر خندق حول المدينة فعمل المسلمون بنصيحته، وحفروا حول المدينة خندقاً. اشترك في حفره وفي حمل التراب منه رسول الله ﷺ، حتى لقد كان الغبار يغطيه، وتباطأ عن العمل في حفره رجال من المنافقين معتذرين بالضعف عن العمل، وجعلوا يتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ولا إذن منه وتمّ حفر الخندق في ستة أيام، وأخليت المساكن التي كانت قريبة من الخندق.

أقبلت قريش ومن معها من الأحزاب، ففاجأهم الخندق وعاقهم عن الهجوم على المدينة، ورأوا أن لا سبيل إلى اجتيازه، فعسكروا خلفه وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين وجعلوا ظهورهم إلى سلع (جبل بالمدينة) فأقام هناك معسكره، والخندق بينه وبين طوائف الأحزاب، وتبادل الفريقان بالنبال عدة أيام.

كان ذلك في الشتاء، والبرد القارص، وكانت الأحزاب تظن أن سيحاربون زمناً يسيراً يقضون فيه على المسلمين، ثم يعودون فائزين مكللين بأكاليل النصر ففوجئوا بما لم يكونوا يتوقعونه، ورأى حُيي بن أخطب أن هذه الفرصة إن أفلتت فلن تعود، فقصد كعب بن أسد سيد بني قريظة من اليهود، وهم على مقربة من المدينة في الجنوب الشرقي منها وبينهم وبين المسلمين معاهدة، فأخذ حُيي بن أخطب يذكر لكعب بن أسد ما أصاب اليهود من محمد، وما ينتظر أن يصيبهم

منه إذا لم تتجح الأحزاب في القضاء عليه وطلب منه أن ينقض عهد المسلمين، ويقطع المسيرة والمدد عنهم، ويفتح الطريق للأحزاب من ناحيتهم ومازال به حتى قَبِلَ ما طلبه حُيي ونقض المعاهدة وبريء ما كان بينه وبين رسول الله من عهد.

عَلِمَ رسولُ الله والمسلمون انضمام بني قريظة إلى الأحزاب ففزعوا وأرسل إليهم وفداً منهم سعدُ بن معاذ سيد الأوس حلفائهم، فأخذ اليهود يخوضون في أمر الرسول وقال كعب : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد وتشاتم الفريقان وخرج سعد بن معاذ غضبان أسفاً.

عاد حُيي بن أخطب إلى الأحزاب وأخبرهم بانضمام بني قريظة إليهم على أن يمهلوهم عشرة أيام تُعد فيها عُدتها، وألقت الأحزاب ثلاث كتائب، فكانت كتيبة ابن الاعور السلمي من فوق الوادي من جهة الشرق، وكتيبة عيينة بن حصن الفزاري من أسفل الوادي من جهة الغرب، وأقام أبو سفيان على كتيبة أمام الخندق.

أشدت الفزع بالمسلمين وبلغت القلوب الحناجر، وزلزلوا زلزلاً شديداً، فقد آتاهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم وظن أهل المدينة كل ظن وأبدى المنافقون ما كانوا يضمرونه من اليهود للمسلمين.

قال أحدهم : كان محمد يعدنا أن نستولي على كنوز كسرى وقيصر وأن أحدنا لا يأمن على نفسه أن يخرج ليتبرز وقال آخر للرسول على ملأ من قومه : إن بيوتنا عورة، معرضة لهجمات العدو، فأذن لنا أن نرجع إلى دورنا لندافع عنها، وسمت الروح المعنوية في الأحزاب حتى اندفع جماعة منهم فقصدوا مكاناً ضيقاً

من الخندق، فاجتازوه بخيلهم، منهم عمرو بن عبد ود العامري الذي كان يُعدّ بألف فارس وعكرمة بن أبي جهل حتى صاروا بين الخندق وسلع، فخرج من صفوف المسلمين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فبارز عمرو بن عبد ود فقتله وولى الأدبار رفقاًؤه.

رأى رسول الله ﷺ أن يلجأ إلى الحيلة والحرب خدعة فقال لنعيم بن مسعود : إنما أنت فينا رجل واحد من غطفان فخذل عنا القوم ان استطعت، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديماً في الجاهلية، ولم يكونوا يعرفون أنه أسلم. فذكروهم بما بينه وبينهم من مودة ثم قال لهم : إنكم ظاهرتم قريشاً وغطفان على محمد، وربما لا تطيق قريش وغطفان المقام طويلاً فترتحلان فتواجهون محمداً وحدكم ولا قبل لكم به فينكل بكم، ونصح لهم ألا يقاتلوا حتى يأخذوا من قريش وغطفان رهناً من أشرفهم، يكونون عندهم، حتى لا يتتحوا عنهم فاقتنع بنو قريظة بما قال نعيم، ثم ذهب إلى قريش فقال لهم قد عرفتم ودي لكم، وإنكاري دين محمد وقد علمت أمراً رأيت حقاً على أن أبلغكموه نصحاً لكم، فاكتموا عني، قالوا : نفعل، قال : اعلموا أن بني قريظة قد ندموا على ما فعلوا من نكث عهد محمد وأنهم عاملون على استرضائه وكسب مودته، بان يقدموا له من أشرف قريش من يضرب أعناقهم على ان يكونوا معه حتى يستأصلكم، ونصح لهم : ان بعث بنو قريظة إليهم يطلبون منهم رهناً، ألا يبعثوا أحداً، ثم ذهب إلى غطفان وقال يا معشر غطفان، أنتم أهلي وعشيرتي، وأحب الناس إلي ولا أظنكم تتهمونني، قالوا : صدقت، قال : فاكتموا عني، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم أن يبعثوا رهناً، ثم أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى كعب سيد بني

قريظة، من يقول له : قد طالَّت إقامتنا وطال حصارنا فرأينا أن تفاجئوا المسلمين في الغداة، ونحن من ورائكم، فعاد الرسل وقالوا : ان كعباً يقول : إنَّ غداً السبت، ولا نستطيع القتال فيه ولسنا بالذين يقاتلون، حتى تعطونا زُهناً من أشرافكم، يكونون بأيدينا، ثقةً منا وبكم، فقالت قريش وغطفان: إذن والله إن الذي أخبركم به نعيم بن مسعود لحقّ.

فلما كان الليل، هبت ريح شديدة وهطل مطر غزير، وقصف الرعد وأومض البرق، فانحلت خيام الأحزاب من شدة العاصفة وانقلبت قدورهم، وأخذ الرعب منهم كل مأخذ، وكبّر الملائكة في جوانبهم فخيّل إليهم أن المسلمين انتهزوها فرصة فأغاروا عليهم، فنادى أبو سفيان الرّحيل، الرّحيل، وحمل قومه ما استطاعوا حمله من متاع وتبعهم بقية الأحزاب، وأصبح المسلمون فلم يجدوا منهم أحداً ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ الأحزاب: ٢٥.

أخذ رسول الله ﷺ بعد رحيل الأحزاب يفكر في أمر بني قريظة ونقضهم العهد الذي كان بينه وبينهم، وأنه لو لا ارتحال الأحزاب لانحازوا إليهم فلما كان الظهر، أمر مؤذناً فأذن في المسلمين من كان سميعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة ومع ما كان عليه المسلمون من نصّب وبعد طول الحصار فقد نفروا إلى القتال سريعاً وحاصروا حصون بني قريظة خمساً وعشرين ليلة، لم يقع في خلالها إلا تراشق بالنبال، حتى جهد بنو قريظة، ولم يجروء أحد منهم أن يخرج من حصونهم، فلما أيقنوا أن حصونهم لا تجديهم نفعاً مع طول الحصار، وأنهم لا بد واقعون في قبضة المسلمين، تشاوروا فيما بينهم على ما ينتهي إليه مصيرهم،

وإذ كان الأوس حلفاءهم فقد ظنوا أنهم سيدفعون عنهم ما قد يصيبهم من شرِّ وكان الأمر كما ظنوا، فقد سار جماعة من الأوس إلى رسول الله وقالوا : يا رسول الله، بنو قريظة حلفاؤنا وسألوه إطلاقهم، كما أطلق بني قينقاع حلفاء الخزرج فقال لهم ترضون ان يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى، قال : فقولوا لليهود فليختاروا من شاءوا منكم، فاختار اليهود سعد بن معاذ، ونسوا انه هو الذي فاوضهم في عدم نقض عهدهم فأغلظوا له وخاضوا في حق الرسول أمامه وسبوا المسلمين، فأخذ سعد عليهم العهود والمواثيق أن يقبلوا حكمه فأمر سعد بني قريظة أن ينزلوا من حصونهم، ويُلقوا سلاحهم ففعلوا، فحكم فيهم بأن تقتل الرجال، وتسبى الذراري والنساء وتقسم أموالهم فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة حبس الرجال في بعض دور الأنصار، ثم أمر فحفرت لهم خنادق ثم جيء باليهود أفواجاً فضربت أعناقهم، ومنهم حُيي بن أخطب الذي رحل إليهم بعد فرار الأحزاب، وكعب بن أسد، وكانوا نحو سبعمائة ثم دفنوا في هذه الخنادق، وفرق رسول الله ﷺ أموالهم ونساءهم وأولادهم على المسلمين بعد أن أخرج منها الخمس.

وبهذا تم للمسلمين على من ظاهروا الأحزاب النصر ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٣٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٣٧﴾ الأحزاب: ٢٦ - ٢٧ .

(١) أحداث غزوة الخندق تجمع الأحزاب والمنافقين

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُيِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ إِلَّا ذُبُرًا وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ الأحزاب: ٩ - ١٥

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية

أخرج البيهقي في الدلائل عن حذيفة قال لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعوداً وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريظة أسفل منا نخافهم على ذرارينا وما أتت علينا ليلة أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ إن بيوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذن أحد منهم إلا أذن له

فيتسللون إذا استقبلنا النبي ﷺ رجلاً رجلاً حتى أتى عليّ فقال أنتني بخبر القوم فجئت فإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً فوالله إنّي لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريح تضربهم وهم يقولون الرحيل، الرحيل فجئت أخبرته خبر القوم وأنزل الله ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ﴾ .. الآية. [باب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

يا أيها المصدقون بالله ورسوله اذكروا نعمة الله عليكم بالشكر والحمد حيث وقعتم في حصار جنود وحشود هائلة من قريش وغطفان واليهود وغيرهم الذين جاءوا لإبادتكم فأرسلنا عليهم ريحاً باردة في ليلة شاتية وجنوداً ملائكة لم تروها، أربعتهم فقلبت بيوتهم وقبورهم وآثروا فك الحصار والنجاة وكان الله مطلعاً على أعمالكم في حفر الخندق والتعرض للشدائد والاستعداد للقتال.

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا

عُرُورًا﴾ .

أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن عبد الله بن عمرو المزني عن أبيه عن جدّه قال خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب فأخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة فأخذ رسول الله ﷺ المعول فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتي المدينة فكبر وكبر المسلمون ثم ضربها الثانية فصدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها فكبر وكبر المسلمون ثم ضربها الثالثة فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها فكبر وكبر المسلمون فسئل عن ذلك فقال ضربت الأولى فأضاعت لي ما بين الحيرة ومدائن كسرى وأخبرني جبريل أنّ أمّتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثانية فأضاعت لي قصور

الحر من أرض الروم وأخبرني جبريل أنّ أمّتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فأضاعت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل أنّ أمّتي عليها. فقال المنافقون ألا تعجبون ويحدثكم يمينكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها ستكون لكم وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزل القرآن ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ ... ﴾ الآية.

وأخرج جويبير عن ابن عباس قال أنزلت هذه الآية في معتب ابن قشير الأنصاري وهو صاحب هذه المقالة/ وأخرج ابن اسحق والبيهقي أيضاً عن عروة بن الزبير ومحمد ابن كعب القرظي وغيرهما قال : قال : معتب بن قشير كان محمد ﷺ يرى أن يأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط وقال أوس بن قبيص في ملأ من قومه ان بيوتنا عورة وهي خارجة من المدينة ائذن لنا فرجع إلى نساءنا وأبنائنا فأنزل الله على رسوله حين فزع عنهم ما كانوا فيه من البلاء يذكرهم نعمته عليهم وكفايته إياهم بعد سوء الظنّ منهم ومقالة من قال من أهل النفاق ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾ . [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

واذكروا حين جاءتكم الأحزاب من أعلى الوادي جهة المشرق ومن أسفل الوادي جهة المغرب ومالت الأبصار عن موازينها وصرتم في حال رهبة من شدة الخوف والفزع وتظنون الظنون الحسنة والسيئة، وتقولون ما هذا الخلف للوعد؟؟ وحينها ظهر المؤمن من المنافق.

واذكروا حين قال المنافقون ما وعدنا الرسول إلاّ خداعاً ووعداً باطلاً زائفاً.

واذكروا أيضاً حين قالت طائفة من المنافقين لا مجال لإقامتكم مع محمد وعسكره ولا فرار لكم فارجعوا إلى بيوتكم في المدينة لتسلموا من القتل والاستئصال. ويطلب في هذه الحال الرهيبة فريق من المنافقين الإذن في العودة إلى بيوتهم في المدينة قائلين إن بيوتنا عورة ليست محصنة قصدهم الهرب والفرار. والواقع أنهم ضعاف الإيمان فلو دخل عليهم العدو من جوانب المدينة ونواحيها (الأقطار - النواحي) ثم طلب منهم العودة إلى الكفر لفعلوا ذلك سريعاً ﴿سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ أي محاربة الرسول ﷺ .

ولقد كان هؤلاء المنافقون وهم بنو حارثة عاهدوا الله يوم أحد قبل هذه المخاوف ألا يولوا الأدبار وألا يفرّوا من الزحف وكلهم نقضوا عهدهم مع ربهم ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ يسألهم ويجازيهم على أعمالهم.

ان هذا الوصف لهذا التجمع القرشي حول المدينة يقتضي تذكر الأهوال وإدراك المخاطر ثم المبادرة إلى الشكر وحمد الله على نعمته وفضله إذ نجّى الله المؤمنين وهزم الكافرين الأحزاب وحده تعالى.



غزوة الخندق (٢)

توبيخ المنافقين

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ الْأَحْزَابُ: ١٦ - ٢٠

هذه تهديدات وتوبيخات لأولئك الذين نافقوا ولم يؤمنوا أخبرهم أيها النبي ان الفرار لا ينجي من القدر وإنهم لا يمتعون في عالم الدنيا إلا متاعاً قليلاً وقل لهم يا محمد لا أحد يستطيع أن يمنعكم من مراد الله بكم أو دفع السوء عنكم إذا قدره الله عليكم أو جلب الخير والنفعة إن أَرَادَهُ اللهُ لَكُمْ. ولن يجدوا هؤلاء المنافقين

نصيراً ينصرهم أو يشفع لهم. ثم حذرهم الله تعالى بدوام علمه بالخائنين الذين يعوقون الناس عن نصره الرسول، ويمنعوهم بالأقوال والأفعال ويعلم القاتلين لإخوانهم من أهل المدينة: تعالوا إلى ما نحن فيه من الإقامة في البساتين تحت الظلال والثمار واتركوا محمداً والحرب معه ولا يأتي المنافقون الحرب والقتال إلاّ زمناً قليلاً إذا اضطروا خوفاً من الموت أو القتل.

وقد وصف الله المنافقين بصفات قبيحة وهي: البخل والشح بأنفسهم وأموالهم ولا يقدمون منفعة للمؤمنين ولا لغيرهم بحق، وهم أيضاً جنباء فإذا بدأ القتال في المعركة رأيتهم أيها النبي ينظرون إليك نظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت، حذراً وضعفاً. فإذا ذهب الخوف العظيم بدت منهم سلاطة اللسان وتفاخروا بأنهم لا خير فيهم ولا منهم وقد جمعوا بين الجبن والكذب وقلة الخير وسبب هذه الأخلاق الرذيلة أنهم فقدوا الإيمان بالله ورسوله ولم يظهروا الإيمان إلاّ لفظاً فأبطل الله أعمالهم.

وهذه الصفات ملازمة لهم فهم يظنون من شدة الخوف والفرع إن الأحزاب لم يذهبوا ولم يرحلوا عن المدينة وإنهم عائدون إلى الحصار، وإذا أستعد الأحزاب لقتال المؤمنين تمنوا أن لا يكونوا حاضرين معهم في المدينة وبين المقاتلين الصامدين، يتمنون أنهم في البادية يترقبون الهزيمة للمؤمنين ويسألونهم عن أخبارهم غرضهم الشماتة والجبن والخوف ولو كانوا موجودين مع المقاتلين لما قاتلوا إلاّ قليلاً وهذا إيناسٌ للنبي ﷺ وتحقير لشأن المنافقين.

(٣) غزوة الخندق

حال المؤمنين في القتال وغيره

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
 الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا
 اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۝٢٢ مِّنَ
 الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ
 مَّن يَنْتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۝٢٣ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ
 الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٢٤ وَرَدَّ
 اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ
 اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ۝٢٥ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَلَهُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ
 صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۖ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝٢٦
 وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعَمُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرًا ۝٢٧﴾ الأَحْزَابُ: ٢١ - ٢٧

أوجب الله على كل مسلم أن يقتدي بالنبي ﷺ حين قاتل وصبر وجاد بنفسه في واقعة الأحزاب وغيرها. فهو مثل أعلى لكم في الشجاعة والإقدام إذا كنتم تذكرون الله كثيراً وتخشوه وتذكرونه ذكراً كثيراً حباً وتعظيماً وخشية وطمعاً في فضله ورحمته.

فموقف المؤمنين غير موقف المنافقين فحينما شاهد المؤمنون فئات الأحزاب وجموعهم الحاشدة قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله من الأخبار بمجابهة العدو وصدق الله ورسوله الوعد بالنصر .

ويختلف موقف المؤمنين عن المنافقين بالوفاء بالعهد فقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الصبر فمنهم من انتهى أجله واستشهد كيوم بدر وأحد ومنهم من ينتظر قضاء الله والشهادة وفاءً بالعهد وما بدلوا عهدهم وما غيره بخلاف المنافقين الذين ولوا الأدبار .

قوله تعالى : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ الآية

أخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن أنس بن مالك قال : غاب عمي أنس بن النضر عن بدر فكبر عليه فقال : أول مشهد قد شهد رسول الله ﷺ غبت عنه، لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أُحُدٍ، فقاتلَ حتى قُتِلَ، فوُجِدَ في جسده بضعٌ وثمانون ما بين ضربةٍ وطعنةٍ ورميةٍ وما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه ونزلت هذه الآية. [أسباب النزول للحافظ المتقن]

وان تعرض المؤمنين للمحن والبلايا واختبارهم بالخوف وملاقاة الأعداء من أجل تمييز الخبيث من الطيب ومكافأة الصادقين في إيمانهم بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه. إن الله تعالى كان ولا يزال كثير المغفرة حيث ستر ذنوب عباده ورحمهم ورزقهم الإيمان ووفقهم للتوبة ولم يعاقبهم على ما مضى. وكانت نهاية معركة الأحزاب أو الخندق تحقيق النصر للمؤمنين وهزيمة الكافرين.

وقوله تعالى : ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ الآية

روى الإمام أحمد والنسائي عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال :
شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس وذلك قبل أن
ينزل في القتال ما نزل فأنزل الله عز وجل ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ فأمَرَ
رسول الله ﷺ بلالاً فأقام لصلاة الظهر فصلاها كما كان يصليها لوقتها ثم أقام
للعصر فصلاها كما كان يصليها في وقتها ثم أدن للمغرب فصلاها كما كان
يصليها في وقتها . [أسباب النزول للحافظ المتقن]

وكفى الله المؤمنين القتال أي كفاهم الله وحده شرمهم، ونصر عبده وأعز
جنده وهزم الأحزاب وحده. والله صاحب القدرة ومصدرها وتحقيق هذا النصر
يستدعي الشكر والحمد لله جلَّ وعلا وزيادة الإيمان، ثم ذكر الله هزيمة بني قريظة
الذين تواطؤوا مع قريش في الغزوة فأنزلهم من صياصبيهم وحصونهم وقلاعهم
وأجلاهم عنها وألقى في نفوسهم الخوف والذعر وجعل الله أراضيهم المزروعة
ومنازلهم المعمورة وأموالهم المدخرة وأرضاً أخرى لم تطأها أقدام المؤمنين في عهد
النبوة، وهي التي ستفتح في المستقبل جعلها الله كلها للمسلمين مثل خيبر ومكة
وفارس والروم، والله تام القدرة على كل شيء ينصر من يشاء ويذل من يشاء.



ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَّاَصِيلاً ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَّاَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ الأَحْزَابُ: ٤١ - ٤٤

الآية تبين فضيلة الذكر وثواب الذاكرين، فيجب ترطيب اللسان بذكر الله تعالى واستحضار القلب عظمة الله ليستقيم الإنسان على أمر الله وضموا إلى الذكر التسبيح في الصباح والمساء وفي كل الأوقات التي تبدأ بطرفي النهار والليل وإنما خص هذان الوقتان بالذكر لكونهما مشهودين بملائكة الليل والنهار.

عن قتادة : قولوا : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وخص الأمر بالذكر في المزدلفة عند المشعر الحرام فقال الله تعالى : ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ﴾ البقرة: ١٩٨ وفي أداء مناسك الحج في قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ البقرة: ٢٠٣ وبعد زهاب الخوف من العدو : ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٣٩، وعند ذبح الأنعام : ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ الحج: ٣٦ وعند الصيد : ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤.

ووصف الله المؤمنين بالذاكرين في الأوقات كلها في قوله سبحانه :
﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ آل عمران: ١٩١ وقوله تعالى :
﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب:
٣٥.

ثم بين الله سبحانه وتعالى فضيلة الذكر وسببه وثوابه بقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي
يُصَلِّي عَلَيْكُمْ ﴾ أي ان الله يرحمكم وصلاة الله على عباده هي رحمته لهم وبركته
لديهم. والملائكة تستغفر لكم لان صلاة الملائكة الدعاء للمؤمنين وكان الله رحيمًا
بعباده في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فيهديهم إلى الحق ويبعدهم عن الكفر والابتداع الضال وأما
في الآخرة : فيؤمنهم الله من الفزع الأكبر وتبشرهم الملائكة بالفوز بالجنة والنجاة
من النار رافة بهم ومحبة لهم.

وسبب نزول هذه الآية ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ ﴾ ما أخرجه عبد بن حميد
عن مجاهد قال : لما نزلت آية ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾
الأحزاب: ٥٦ قال أبو بكر ؓ : يا رسول الله، ما أنزل الله تعالى عليك خيراً إلا
أشركنا فيه، فنزلت ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ [الباب النقول في أسباب النزول
للسيوطي]

ومن بشارات رحمته استقبال الملائكة بالتحية والسلام فتحيتهم فيها من الله
تعالى بواسطة الملائكة يوم لقائه في الآخرة هو السلام. وأعد الله لهم ثواباً حسناً

وهو الجنة وما فيها من أوان النعيم والمناظر الحسنة مما لا عين رأت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال الله تعالى : ﴿ سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾ يس: ٥٨ وقال سبحانه :

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ ﴿٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾

الرعد: ٢٣ - ٢٤.



أحكام طلاق المرأة غير المدخول بها

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسِرَّوَهُنَّ سَرَاحًا

جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ الأَحْزَابُ: ٤٩

النكاح هنا : العقد، والمس : المراد بقربان المرأة، ومن أدب القرآن الكريم التعبير عنه باللامسة والتماسة والقرب والتغشي والإتيان، والعدة : الشيء المعدود وعدة المرأة الأيام التي بانقضائها يحل بها التزوج، فمتعوهنّ : أي أعطوهن المتعة. يا أيها المصدقون بالله ورسوله إذا تزوجتم النساء المؤمنات ثم طلقتموهن قبل الدخول بهن فليس لكم عليهنّ عدة تستوفون عددها. ولكن قدّموا لهن بعد الطلاق تطبيبا لخاطرن متعة وهي كسوة كاملة تليق بهن وبحسب الزمان والمكان، وطلقوهن طلاقاً لا ضرر فيه كما إنه متصف بجمال التسريح، وتخصيص المؤمنات بالذكر ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ إرشاد الى الحرص على الزواج بالمؤمنات فإنهن أشدّ تحصيناً للدين.

وهذه الآية آيتان : إحداهما : ﴿ وَالْمُطَلَّقاتُ يَرَبِّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ البقرة: ٢٢٨ فهذه الآية من لم يدخل بها وكذلك خصصت من ذوات الثلاثة الأشهر: المرأة اليائسة من الحيض والصغيرة التي لم تحض قبل الدخول في آية ﴿ وَالَّتِي بَلَغَتْ مِنَ الْمَحِيضِ ﴾ الطلاق: ٤ فهاتان قبل الدخول لا عدة عليهما.

آداب دخول البيت النبوي

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْزِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِبِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحِيءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِيءُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفِّفُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ بَرُّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾ الأَحْزَابُ: ٥٣ - ٥٥

كان من عادة العرب إذا أولم أحدهم وليمة ودعا القوم إليها أن يبكر من شاء منهم إلى منزل الداعي ينتظر نضج الطعام. فإذا فرغوا منه جلسوا يتحدثون، أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : " لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ دَعَا النَّاسَ ، طَعِمُوا ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ " قال : " فَأَخَذَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُمْ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ ، فَلَمَّا قَامَ قَامَ مِنْ قَامٍ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ وَبَقِيَ ثَلَاثَةٌ ، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ لِيَدْخُلَ فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا فَاَنْطَلَقُوا " قال : " فَجِئْتُ

فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل ، فذهبتُ أدخُلُ فأرختُ الحجاب بيني وبينه " وأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ - إلى قوله - ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [صحيح البخاري- كتاب الاستئذان]

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي التي أعدها لزوجاته وكان لكل زوجة حجرة حول المسجد فلما تُوفينِ ضمت إلى المسجد.

إلا وقت أن يؤذن لكم إلى طعام فادخلوا وقت نضوجه ثم كلوا واخرجوا وهذا أدب أدب الله به من يتناقل في الانصراف، لان جلوسكم قبل نضج الطعام وجلوسكم بعد أن أكلتم يضيق على النبي فيستحيي منكم.

وقد قالت عائشة رضي الله عنها : (حسبك من الثقلان أن الله لم يحتملهم).

وإذا سألتم زوجات النبي ﷺ شيئاً تستعبرونه من مواعين أو غيرها فاسلوهن من وراء حجاب ذلك أظهر لقلوبكم وقلوبهن وأبعد عن الشبهة والأمر عام يشمل نساء النبي وغيرهن.

ولا يليق بكم أن تفعلوا ما يكرهه رسول الله في حياته ولا أن تتزوجوا زوجاته من بعد وفاته لأنهن أمهات المؤمنين إذا كانت قد دخل بهنّ أمّا التي لم يدخل بها منهنّ فيجوز التزوج بها.

عن ابن عباس ان رجلاً أتى بعض أزواج النبي ﷺ فكلمها وهو ابن عمها فقال له النبي ﷺ : " لا تقومنّ هذا المقام بعد يومك هذا " فقال : يا رسول الله،

إنها ابنة عمي والله ما قلت لها منكراً ولا قالت لي، فقال رسول الله ﷺ: " قد عرف ذلك إنه ليس أحدٌ أُغِيرَ من الله وإنه ليس أحدٌ أُغِيرَ مني " فمضى الرجل ثم قال : ينعني من كلام ابنة عمي ؟ لأتزوجنها من بعده، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ الآية، قال ابن عباس : فأعتق ذلك الرجل رقبة وحمل على عشرة أبعرة في سبيل الله، وحج ماشياً توبةً من كلمته. [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

إن تبدوا شيئاً كالعزم على زواج إحدى زوجات رسول الله أو تخفوه في صدوركم فإن الله كان به عليماً فيجازيكم عليه.

لا إثم على زوجات النبي في مقابلة آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نساءهن المؤمنات ولا ما ملكت أيماهن من العبيد والإماء فلهن أن يرينهم ولا يكلمهن من غير حجاب، أما النساء الكافرات فيجب على نساء النبي أن يحتجبن عنهن وأتقين الله يا نساء النبي فيما أمرتن به، ان الله كان على كل شيء شهيداً، لا تخفى عليه خافية.



حكم إيذاء النبي والمؤمنين

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ٥٦ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ الأحزاب: ٥٦ - ٥٧

هذه الآية قد شرف الله بها رسوله في حياته وبعد موته وبين منزلته عنده
والصلاة من الله رحمته ورضوانه ومن الملائكة الاستغفار والدعاء ومن المؤمنين
الدعاء والتعظيم فانه جل شأنه يثني على النبي عليه الصلاة والسلام ويضفي
عليه رحمته ورضاه وملائكته يدعون له ويستغفرون ليعتقوا عليه ولم يقل الله
((والملائكة)) بل أضافهم إلى ذاته العليا بقوله ﴿ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ إشارة إلى عظيم
قدرهم ومزيد شرفهم وأمر الله عباده أن يصلوا عليه دون سائر أنبيائه تشريفاً له.

روى البخاري عن كعب بن عُجْرَةَ رضي الله عنه ، قيل : يا رسول الله ، أما السلام
عليك فقد عَرَفْنَاهُ ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : " قولوا : اللهم صلِّ على مُحَمَّدٍ ،
وعلى آلِ مُحَمَّدٍ ، كما صليت على آل إبراهيم ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللهم بارك
على مُحَمَّدٍ ، وعلى آلِ مُحَمَّدٍ ، كما باركت على آل إبراهيم ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ " [صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن] ، كما أمر الله عباده أن يسلموا على نبيه في
الصلاة عند أداء التشهد وعند اللقاء في حياته وعند زيارتهم قبره بعد وفاته، بأن
يقولوا : السلام عليك أيها النبي وأن ينفادوا لأوامره انقياداً مذعنين له ولشريعته.

وشأن التشريف والتعظيم للنبي من الله وملائكته والأمر بالصلاة عليه يستوجب تحريم الأذى والإخلال بقدره. لذا أعقب الله ذلك بالتهديد بالعقاب لكل مؤذٍ فإن الذين يصدر عنهم إيذاء الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وطردهم من رحمته وأبعدهم عن كل خير وأعد لهم عذاباً ذا إهانة وإذلال وتحقير في نار جهنم وإيذاء الله معناه : الكفر به ونسبة الصاحب والولد والشريك إليه ووصفه بما لا يليق به.

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " قال الله : كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ : لَنْ يَعِيدَنِي ، كَمَا بَدَأَنِي ، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ : اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كَفْءًا أَحَدٌ " [صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن]

وإيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم يكون بما يؤذيه من الأقوال والأفعال كان يقال عنه ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون وروى عن ابن عباس ان الآية نزلت في الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم في تزوجه صفية بنت حيي بن أخطب.

ثم ذكر الله تعالى عقاب المؤذنين لأهل الإيمان فإن الذين يصدر عنهم الأذى للمؤمنين والمؤمنات بالأفعال والأقوال القبيحة والبهتان والكذب الفاحش المختلق سواء فيما يمس العرض أو الشرف أو المال بأن ينسبوا إليهم ما لا علم لهم به ولم يفعلوه فانهم تحملوا البهتان أي الفعل الشنيع ما يوجب الوقوع في الإثم والذنب الواضح.

روى أبو هريرة ، أن رسول الله ﷺ ، قال : " أتدرون ما الغيبة ؟ " قالوا :
الله ورسوله أعلم ، قال : " ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ " قيل أفرأيت إن كان في أخي ما
أقول ؟ قال : " إن كان فيه ما تقول ، فقد اغتبتَهُ ، وإن لم يكن فيه فقد بهتَهُ " [صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب]

وروي عن عائشة ، قالت : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : " أخبروني ما
أزبى الرِّبَا ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : " فإن أزبى الرِّبَا عند الله عزَّ وجلَّ
استِحْلَالُ عِرْضِ الْمُسْلِمِ ، ثم قرأ : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا
اَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [شعب الإيمان للبيهقي - التاسع والثلاثون
من شعب الإيمان]

ومن أشد أنواع الأذى للمؤمنين ، الطعن بالصحابة والغيبة واستباحة عرض
المسلم والتعيب والتحقير والإنقاص والهمز واللمز والإتلاف والاعتداء على النفس
والمال .

إنَّ صَوْنَ حَرَمَةِ الْمُؤْمِنِ وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ وَأَدَبٌ أَخْلَاقِيٌّ كَرِيمٌ لِأَسِيْمَا فِي أَثْنَاءِ
الْغَيْبَةِ ، وَإِنَّ إِيْذَاءَ اللَّهِ بِالْكَفْرِ بِهِ وَإِيْذَاءَ الرَّسُولِ بِالطَّعْنِ بِشَيْءٍ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِ أَوْ
الإِسَاءَةِ لِأَهْلِهِ جَرْمٌ عَظِيمٌ وَفِعْلٌ شَنِيعٌ .



تحريم إيذاء الأنبياء

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ

عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (الأحزاب: ٦٩)

تميزت هذه الآية بأدب الخطاب الإلهي لابتدائها بوصف المخاطبين بالإيمان فيما أيها المصدقون بالله ورسوله لا تؤذوا رسول الله ﷺ بالقول ولا بالعمل مما يكرهه فتكونوا كالذين آذوا موسى عليه السلام وهم قوم بني إسرائيل فبرأه الله من اتهاماتهم الباطلة له وكان عند الله وجيهاً أي مكرماً الوجه.

وإيذاء موسى : هو ما تضمنه حديث النبي المشهور الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً ، لا يرى من جلده شيء استحياء منه ، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا : ما يستتر هذا التستر ، إلا من عيب جلده : إما برص (البرص: بياض يصيب الجلد) وإما أدرّة (أدرّة : انتفاخ الخصية) : وإما آفة (الآفة : كل ما يصيب شيئاً فيفسره من عاهة أو مرض أو قحط) ، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى ، فخلا يوماً وحدّه ، فوضع ثيابه على الحجر ، ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها ، وإن الحجر عدا بثوبه ، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر ، فجعل يقول : ثوبي حجر ، ثوبي حجر ، حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل ، فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله ، وأبرأه مما يقولون ، وقام الحجر ، فأخذ ثوبه قلبسه ، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه ، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ،

ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى

فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٦﴾ " [صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء]

روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود ، قال : قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا قِسْمَةً ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ ، قُلْتُ : أَمَا وَاللَّهِ لَأَتَيْنَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي مَلَأٍ فَسَارَرْتُهُ ، فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْهَهُ ثُمَّ قَالَ : " رَحْمَةً اللَّهُ عَلَى مُوسَى ، أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ " [وهذا لفظ البخاري - كتاب الاستئذان]

وروى احمد عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه: " لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا ؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُخْرَجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ " ، قال : وأتى رسول الله ﷺ مَالٌ ، فَقَسَمَهُ . قال : فمررتُ برجلين ، وأحدُهُما يقولُ لصاحبه : والله ما أرادَ مُحَمَّدٌ بِقِسْمَتِهِ وَجْهَ اللَّهِ ، ولا الدارَ الآخرةَ ، فَتَنَبَّأْتُ ، حتى سمعتُ ما قالوا ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ : يا رسول الله ، إنك قُلْتَ لَنَا : " لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا " ، وإني مَرَرْتُ بِفُلَانٍ وَفُلَانٍ ، وهما يقولان كَذَا وَكَذَا ، قال : فَاحْمَرَّتْ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وشقَّ عليه ، ثم قال : " دَعْنَا مِنْكَ ، فَقَدْ أُوذِيَ مُوسَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، ثم صبر " [مسند أحمد بن حنبل]

ومن هذا يتبين ان ايذاء موسى كان بالقدح في أعماله وتصرفاته لا بالعيب في

بدنه كما روي فقط..... اللهم أجعلنا ممن أطاعوا الله ورسوله بالقول والفعل



الفوز العظيم

﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

﴿٧١﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

القول السديد : القول الصدق الذي يراد به الوصول إلى الحق، من قولهم سدده سهمه إذا وجهه للغرض المرمى إليه.

إرشاد للمؤمنين المصدقين بالله ورسوله بتقوى الله عز وجل وان لا يعصوه فيستحقوا العقوبة منه والقول في رسوله والمؤمنين قولاً صادقاً غير جائر حقاً غير باطل، يوفقكم لصالح الأعمال، ويغفر ذنوبكم فلا يعاقبكم عليها.

ومن يطع الله ورسوله فيعمل بما أمره به وينته عما نهاه عنه ويقول السديد من القول فقد ظفر بالمتوبة العظمى والكرامة يوم العرض الأكبر.

لقد أوصانا الله تعالى بالصدق في الأقوال والخير في الأفعال واتقاء الله والخوف من عقابه.

ثم وعدهم على هذه الأفعال بإصلاح العمل والعمل يرفع صاحبه إلى أعلى عليين ويجعله يتمتع بالنعيم المقيم في الجنة خالداً فيها ومغفرة الذنوب وستر العيوب والنجاة من العذاب العظيم.

اللهم أجعلنا من الفائزين بجنات الخلد وأجرنا من نار جهنم

الله ناصر المؤمنين

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصَرُّوْا بِاللَّهِ يَصْرِكُمْ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۗ ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ
 أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن
 قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ
 الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾ محمد : ٧ - ١١

يخبر الله تعالى الذين آمنوا بالله ورسوله ، انهم ان عملوا على نصره دين
 الله بالجهاد في سبيله وينشره بالدعوة اليه ويتحمل الاذى من أجله وبعدد المبالاة
 بأعدائه ، يؤيدهم بالنصر والتوفيق ، وتثبيت قلوبهم على الايمان والخير في السلم
 والحرب ثم يحسن لهم الجزاء في الآخرة.

والكافرون الذين لا يستجيبون للرسول ولا يؤمنون به مقضي عليهم بالخيبة
 والفشل وسوء الحال وقبح المال ، وبين أعمالهم التي يعملونها ان تكن شرّاً فشرّها
 واقع عليهم ولاحق بهم ، وان تكن خيراً فانها لا تنفعهم فلا ثواب لكافر يبني
 مسجدا او مستشفى او مدرسة ولا فائدة له من صدقته ان يتصدق وهكذا كل عمل
 صالح يؤدّيه لا ثواب عليه عند الله لان الكفر يحق كل حسنة ويُبطل ثواب كل
 عمل.

وكان عليهم ان يعتبروا حين يسيرون في الارض ويرتحلون ويمرون ببلاد
من سبقوهم ويقفون على آثار ديارهم وما اصابهم من عذاب ، بسبب كفرهم فان
الله أهلكهم واستأصلهم وهؤلاء اذا اصرّوا على كفرهم ولم يؤمنوا فان لهم مثل ما
لامثالهم من السابقين من العذاب والاستئصال ، ذلك لان الله ينصر المؤمنين
ويأخذ بيدهم ، أما الكافرون فانهم لا ينصرهم أحد ولا يخلصهم من عقاب الله
والهتهم التي عبدوها لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعاً ولا ضرراً.



اطاعة الله والرسول

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا
 أَعْمَالَكُمْ ۗ ﴾ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ
 فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۗ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ
 وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ۗ ﴿٣٥﴾ محمد: ٣٣ - ٣٥

عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قَدِمَ
 وفدُ بني أسدٍ على رسول الله ﷺ فنكَلَمُوا ، فقالوا : قاتلتكِ مُضَر ، ولسنا بأقلهم
 عدداً ، ولا أكلهم شوكةً ، وَصَلْنَا رَحِمَكَ ، فقال لأبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما
 : "تكلّموا هكذا" قالوا : لا ، قال : " انّ فقه هؤلاء قليلٌ ، وانّ الشيطان ينطقُ
 على ألسنتهم " قال عطاءٌ في حديثه : فأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ
 اسَلَّمُوا ﴾ [الحجرات : ١٧ الآية .] [السنن الكبرى للنسائي]

يا ايها الذين صدقوا بالله ورسوله أطيعوا الله وأطيعوا رسوله بامتنال الأوامر
 واجتنب النواهي ولا تبطلوا حسناتكم بالردة أو بالمعاصي الكبائر أو الرياء
 والسمعة والمن والأذى أو بالشرك والنفاق أو العجب والتكبر.

وأخرج ابن أبي حاتم ، محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة ، عن أبي العالية ، قال : " كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع لا اله الا الله ذنب ، فخافوا أن يبطل الذنب العمل " [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي] .

عن ابن عمر قال : " كنا معاشر أصحاب النبي ﷺ نرى أنه ليس من حسناتنا الا مقبولا ، حتى نزلت هذه الآية : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ فتأملنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا ، فقال:الكبائر الموجبات والفواحش ، حتى نزلت ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ النساء: ٤٨ فلما نزلت كففنا عن القول ، وكنا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها " . [مشكل الآثار للطحاوي]

عن قتادة ، قوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اللَّهُ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا يُبْطِلُوا أَعْمَالَهُمْ ﴾ الآية ، " من استطاع منكم أن لا يبطل عملا صالحا عمله بعمل سيء فليفعل ، ولا قوة الا بالله ، فان الخير ينسخ الشر ، وان الشر ينسخ الخير ، وان ملاك الأعمال خواتيمها " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

ثم بيّن سبحانه أنه لا يغفر لمن أصرّ على الكفر والصد عن سبيل الله فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ محمد: ٣٤ .

وقيد سبحانه عدم المغفرة بالموت على الكفر لأن باب التوبة وطريق المغفرة لا يغلقان على من كان حياً .

ثم ذكر سبحانه أن لا حرمة للكافر في الدنيا والآخرة فأمر بقتالهم وأرشد أن النصر حليف المؤمنين فقال : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالِكُمْ ﴾ (٢٥)، أي لا تضعفوا ايها المؤمنون عن جهاد المشركين ولا تجنبوا عن قتالهم وتدعوهم الى الصلح والمسالمة خوفاً أو اظهاراً للعجز وأنتم العالون عليهم والله معكم بالنصر لكم عليهم ولا يظلمكم أجور أعمالكم. وإذا بطلت أعمال المكلف ففضل الله باقٍ يغفر لمن يشاء ما لم يمت على الكفر.



تقديم الكتاب والسنة والأدب مع رسول الله

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ الحجرات: ١

أخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها أن أناساً كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبي ﷺ فأُنزل الله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

وأخرج بن جرير عن قتادة قال ذكر لنا أن أناساً كانوا يقولون لو أنزل الله في كذا فأنزل الله ﴿لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

أمر الله عز وجل بالالتزام أحكام القرآن والسنة ونهى عن تقديم شيء على كلام الله ورسوله ، وألزم المؤمنين بتعظيم النبي ﷺ وأن لا يتقدموه ولا يسبقوه بالقول والحكم.

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، لا تقدموا بقول أو حكم قبل حكم الله ورسوله فربما أخطأتم واتقوا الله في أموركم وراقبوه في تجاوز ما لم يأذن لكم به

الله ورسوله فان الله سميع لأقوالكم عليم بأفعالكم ونياتكم ، وهذا نهى صريح عن مخالفة القرآن والسنة.

عن الحارث بن عمرو ابن أخي المغيرة بن شعبة ، عن أناس من أهل حمص ، من أصحاب معاذ بن جبل ، أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذًا الى اليمن قال : " كيف تقضي اذا عَرَضَ لك قضاء ؟ " ، قال : أقضي بكتاب الله ، قال : " فان لم جد في كتاب الله ؟ " ، قال : فَبِسُنَّةِ رسول الله ﷺ ، قال : " فان لم تجد في سنته ﷺ ، ولا في كتاب الله ؟ " قال : أجتهد رأيي ، ولا ألو (ألو: أقصر وأدخر جهدي) فَضَرَبَ رسول الله ﷺ صدره ، وقال : " الحمد لله الذي وَفَّقَ رسولَ الله لِمَا يُرْضِي رسولَ الله " [سُنن أبي داود-كتاب الأفضية].

فتراه قد أحرَّ رأيه واجتهاده الى ما بعد الكتاب والسنة ، ولو قدّمه لكان من المتقدمين بين يدي الله ورسوله.

وخلاصة القول انه طلب اليهم ان ينقادوا لأوامر الله ونواهيه ، ولا يعجلوا بقول أو فعل قبل أن يقول الرسول أو أن يفعل. فلا يذبحوا يوم عيد الأضحى قبل أن يذبح ولا يصوم أحدٌ يوم الشك وقد نهى عنه.

اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.



لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ الحجرات: ٢ - ٥

يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله إذا نطق رسول الله ﷺ ونطقتم فلا ترفعوا أصواتكم فوق صوته ولا تبلغوا بها وراء الحد الذي يبلغه لأن ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام.

روى البخاري عن ابن جريج ، قال : أخبرني ابن أبي مليكة ، أن عبد الله بن الزبير أخبرهم : أنه " قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَمْرُ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْبِدِ بْنِ زُرَّارَةَ ، قَالَ عُمَرُ : بَلْ أَمْرُ الْأَفْرَعِ بْنِ حَابِسٍ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَا أَرَدْتُ إِلَّا خِلَافِي ، قَالَ عُمَرُ : مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ ، فَتَمَارَيْتَا حَتَّى ارْتَفَعْتَ

أصواتهما ، فنزل في ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا) حتى انقضت. [صحيح البخاري-كتاب المغازي].

فكان أبو بكرٍ بعدها لا يكلم رسول الله ﷺ الا كأخي السرار أي كصاحب السرّ ، وما حدّث عمر النبي ﷺ بعد ذلك فسمع كلامه حتى يستفهّمه مما يخفض صوته.

﴿وَلَا يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٢)

أي اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم ان تبلغوا به الجهر الذي يدور بينكم وأن تقولوا يا محمد ، يا أحمد ، بل خاطبوه بالنبوة مع الاجلال والتعظيم خشية أن يؤدي ذلك الى الاستخفاف بالمخاطب فتكفروا من حيث لا تشعرون.

عن الزهري ، أن ثابت بن قيس بن شماس قال : لما نزلت ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ قال : يا نبيّ الله ، لقد خشيتُ أن أكون قد هلكتُ ، نهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك ، واتي امرؤ جهير الصوت ، ونهى الله المرء أن يحب أن يحمّد بما لم يفعل ، فأجذني أحب أن أحمّد ؛ ونهى الله عن الخيلاء وأجذني أحب الجمال ؛ قال : فقال له رسول الله ﷺ : " يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميداً ، وتقتل شهيداً ، وتدخل الجنة ؟ " فعاش حميداً ، وقتل شهيداً يوم مسيلمة [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

روى احمد في الزهد عن مجاهد قال : كُتِبَ الى عمر ، يا أمير المؤمنين رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل ، أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر رضي الله عنه ، ان الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّفْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الآية.

ثم ذمَّ الله تعالى الذين ينادون رسول الله من خارج الحجات (بيوت نسائه) كما فعل اجلاف العرب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الآية وكانت تسعة لكل منهن حجرة من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود وكانت غير مرتفعة يتناول سقفها باليد وقد أُدْخِلَتْ في عهد الوليد بن عبد الملك بأمره في مسجد رسول الله ﷺ فبكى الناس لذلك.

وقال سعيد بن المسيب يومئذٍ : لوددتُ أنهم تركوها على حالها لينشأ ناسٌ من أهل المدينة ويقدم القادم من أهل الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ في حياته فيكون ذلك مما يزهدهم الناس في التفاخر والتكاثر فيها.

عن جابر بن عبد الله قال : جاء بنو تميم الى النبي ﷺ فنادوا على الباب : يا محمدُ اخرج الينا ، فإنَّ مَدَحَنَا زَيْنٌ وَإِنَّ ذَمَّنَا شَيْنٌ ، فسمعهم النبي ﷺ فخرج عليهم وهو يقول : "انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين" . فقالوا : نحنُ ناسٌ من بني تميم ، جئنا بِشَاعِرِنَا وَحَطِيبِنَا نَشَاعِرَكَ وَنُفَاجِرَكَ . فقال رسول الله ﷺ : " ما بِالشَّعْرِ بُعِثْتُ وَلَا بِالْفَخَارِ أُمِرْتُ ، وَلَكِنْ هَاتُوا " . فقال الزبيرقان ابن بدر لشاب من شبانهم : قم فانكر فضلك وفضل قومك .فقام فقال : الحمدُ لله الذي

جعلنا خَيْرَ خَلْقِهِ ، وآتانا أموالاً نفعَلُ فِيهِ ما نشاء ، فنحنُ من خَيْرِ أَهْلِ الأَرْضِ
ومن أَكْثَرِهِم عِدَّةً ومالاً وسلاحاً ، فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقولٍ هوَ أَحْسَنُ مِن
قولنا ، وفعلٍ هي خَيْرٌ من فِعَالِنَا. فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس :
" قم فَأَجِب ". فقام فقال : الحمدُ لله أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ وَأَمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ
أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وَأَشْهَدُ أن محمداً عبدهُ ورسوله ، دعاء
المهاجرين والأَنْصار من بني عمِّه ، أَحْسَنَ النَّاسِ وجوهاً وأَعْظَمَهُم أعلاماً ،
فأجابوا ، فالحمد لله الذي جعلنا أنصاره ووزراءَ رسوله ، وعِزّاً لِدِينِهِ ، فنحنُ نُقاتِلُ
النَّاسَ حتَّى يشهدوا أن لا اله الا الله ، فَمَنْ قالها منعَ مَنَّا نَفْسَهُ وماله ، وَمَنْ أبأها
قتلناه ، وكان رَعْمُهُ (الرغم: الذلُّ والهوان) من الله تعالى علينا هَيْبَةً ، أقول قولي
هذا وأستغفرُ الله للمؤمنين والمؤمنات.

فقال الزُّبَيْرَانُ بن بدرٍ لشابٍ من شُبَّانِهِم : قم يا فلان ، فقلْ أبياتاً تذكُرُ فيها
فَضْلَكَ وَفَضْلَ قَوْمِكَ. فقام الشاب فقال :
نحنُ الكِرَامُ فلا حيٌّ يُفَاخِرُنَا
فينا الرؤوسُ وفينا يقسمُ الرَّبْعُ
ونطعمُ النَّاسَ عندَ القحطِ كُلَّهُمْ
من السَّدِيفِ إذا لم يُؤنِسِ القَرْعُ
إذا أبينا فلا يَأبى لنا أحدٌ
أنا كذلكُ عندَ الفخرِ نرتفعُ

قال : أرسل رسول الله ﷺ الى حسان بن ثابت ، فانطلق اليه الرسول ،
فقال : وما يُريدُ مِنِّي وقد كُنْتُ عِنْدَهُ ؟ قال جاءت بنو تميمٍ بشاعرِهِم وخطيبِهِم ،
فأمَرَ رسول الله ﷺ ثابت بن قيس فأجابهم ، وتكلَّمَ شاعرُهُم فأرسلَ اليك تُجيبُهُ .
فجاء حسان ، فأمره رسول الله ﷺ أن يُجيبه ، فقال حسان :

نَصَرْنَا رسولَ الله والدينَ عَفْوَةً على رِغْمِ سارٍ من معدٍّ وحاضرٍ

السُّنَا نَحُوضُ الْمَوْتِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى إِذَا طَابَ وَرَدُ الْمَوْتِ بَيْنَ الْعَسَاكِرِ
 وَتَضْرِبُ هَامَ الدَّارِعِينَ وَنَنْتَمِي إِلَى حَسَبٍ مِنْ جِزْمِ غَسَّانِ قَاهِرِ
 فَلَوْلَا حَيَاءُ اللَّهِ قُلْنَا تَكْرُمًا عَلَى النَّاسِ بِالْحَقِيقِينَ هَلْ مِنْ مُنَافِرِ
 فَأَحْيَاؤُنَا مِنْ خَيْرٍ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى وَامَوَاتُنَا مِنْ خَيْرٍ أَهْلِ الْمَقَابِرِ
 قَالَ : فَقَامَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ فَقَالَ : أَنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ جِئْتُ لِأَمْرٍ مَا جَاءَ لَهُ
 هَوْلَاءُ ، وَقَدْ قُلْتُ شِعْرًا فَاسْمَعُهُ . فَقَالَ : " هَاتِ " . فَقَالَ :

أَتَيْنَاكَ كَيْمًا يَعْرِفَ النَّاسُ فَضَلْنَا إِذَا فَاخَرُونَا عِنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ
 وَأَنَا رُؤُوسُ النَّاسِ مِنْ كُلِّ مَعْشَرٍ وَأَنْ لَيْسَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كَوَارِمِ
 وَأَنْ لَنَا الْمَرْبَاعَ فِي كُلِّ غَارَةٍ تَكُونُ بِنَجْدٍ أَوْ بِأَرْضِ التَّهَائِمِ
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " قُمْ يَا حَسَّانُ فَأَجِبْ " . فَقَالَ :

بَنِي دَارِمٍ لَا تَفَاخَرُوا إِنْ فَخَرَكُم يَعُودُ وَبِالْأَمْرِ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ
 هَبَلْتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَإِنْتُمْ لَنَا خَوْلٌ مِنْ بَيْنِ ظُنُورِ وَخَادِمِ
 وَأَفْضَلُ مَا نِلْتُمْ مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلَى رَدَّافَتُنَا مِنْ بَعْدِ ذِكْرِ الْأَكَارِمِ
 فَإِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ لِحَقِّنِ دِمَائِكُمْ وَامْوَالِكُمْ إِنْ تَقَسَّمُوا فِي الْمَقَاسِمِ
 فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نِدَاءً وَاسْلُمُوا وَلَا تَفْخَرُوا عِنْدَ النَّبِيِّ بِدَارِمِ
 وَالْأَوْزَبِ الْبَيْتِ مَالَتْ الْكُفْنَا عَلَى هَامِكُمْ بِالْمُرْهَقَاتِ الصَّوَارِمِ

قال : فقام الاقرعُ بنُ حابسٍ فقال : ان محمداً المولى ، انه والله ما ادري ما هذا الامر ، تكلمَ حَطيْبُنَا فكانَ حَطيْبُهُمْ احسنَ قولاً ، وتكلمَ شاعرُنَا فكانَ شاعرُهُمْ اشعرَ . ثم دنا من النبي ﷺ فقال : أشهد ان اله الا الله ، وانك رسول الله . فقال النبي ﷺ : " ما نصرك ماكان قبل هذا " . ثم أعطاهم رسول الله وكساهم ، وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله ﷺ ، وأنزل الله هذه الآية :

﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ الى قوله : ﴿ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [اسباب النزول للامام الواحدي النيسابوري].

فالذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم جهال بما يجب لك من الاجلال والتعظيم.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ أي هؤلاء الذين ينادونك من وراء الحُجرات صبروا ولم ينادوك حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم عند الله لأنه قد أمرهم بتوقيرك وتعظيمك .

﴿ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ عفوٌ عمّن ناداك من وراء الحُجرات ان هو تاب من معصيته بندائك كذلك وراجع أمره . رحيم به أن يعاقبه على ذنبه ذلك من بعد توبته منه .



نَبَأَ الْفَاسِقِ

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا
بِجَهْلَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَعَلِمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ
يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي
قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾
فَضَلَّ مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ الحجرات: ٦ - ٨

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ الآية

روى احمد في مسنده عن الحارث بن ضرار الخزاعي قال : قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني الى الاسلام فدخلت فيه وأقررت به فدعاني الى الزكاة فأقررت بها وقلت : يا رسول الله أرجع الى قومي فأدعوهم الى الاسلام وأداء الزكاة ، فمن استجاب لي جمعت زكاته فيرسل الي رسول الله ﷺ الابان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة . فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابان الذي أراد رسول الله ﷺ ان يبعث اليه ، احتبس عليه الرسول فلم يأتته فظن الحارث انه قد حدث فيه سخطه من الله ورسوله ، فدعا سراوات قومه فقال لهم : ان رسول الله ﷺ قد كان وقت لي وقتاً ليرسل الي ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ خلف ، ولا أرى حبس رسول الله ﷺ الا من سخطه فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عتبة ابن ابي معيط

الى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة ، فلمّا أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فَرَجَ فرجع فقال : يا رسول الله ، ان الحارث منعني الزكاة واراد قتلي ، فضرب رسول الله ﷺ البعث الى الحارث ، واقبل الحارث بأصحابه فاستقبل البعث وقد فصل من المدينة فلقبهم الحارث ، فقالوا : هذا الحارث ، فلمّا غشيهم قال لهم : الى من بُعِثْتُمْ ؟ قالوا : اليك ، قال : ولمّ ؟ قالوا : ان رسول الله ﷺ كان قد بعث اليك الوليد بن عقبة ، فرجع اليه فزعم أنك منعت الزكاة وأردت قتله. قال : والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته ولا أتاني ، فلمّا أن دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال :

" منعت الزكاة وأردت قتل رسولي " قال : لا والذي بعثك ، ما رأيت رسولك ، ولا أتاني ولا أقبلت إلا حين احتبس عليّ رسولك ، خشية أن يكون سخط من الله ورسوله. قال : فنزلت في الحجرات : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِِنْ جَاءَ كُرْهُ فَاسِقُ بَنِي فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ الى قوله تعالى : ﴿ فَضَلًّا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [أسباب النزول للامام الواحدي النيسابوري]

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : " كان رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن ابي معيط الى بني المُصْطَلِقِ ليأخذَ منهمُ الصدقات ، وأنه لما أتاهم الخبرُ فرحوا وخرجوا لينتلقوا رسولَ رسولِ الله ﷺ ، وأنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا ينتلقونه (حسب انهم جاءوا لقتاله رجع قبل أن يُدركوه) رجع الى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، ان بني المُصْطَلِقِ قد منعوا الصدقة . فَغَضِبَ رسولُ الله ﷺ من ذلك غضباً شديداً ، فبينما هو يُحدِّثُ نفسه أن يغزوهم اذ أتاه الوفد ، فقالوا : يا رسول الله ، انا حدثنا أنّ رسولك رجع من نصفِ الطريق ، وانا خشينا

أن يكون أتما رده كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا ، وأنا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ، وأن رسول الله ﷺ استعذبهم وهم بهم ، فأنزل الله عز وجل عذرهم في الكتاب ، فقال : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَجهَلَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَدِيمِينَ ﴾ [السنن الكبرى للبيهقي-كتاب السير].
أخرجه احمد والطبراني وابن راهويه وقال ابن كثير : هذا من أحسن ما روي في سبب نزول هذه الآية.

وقال الرازي : هذه الرواية ضعيفة لأن اطلاق لفظ الفاسق على الوليد بعيد، لأنه توهم وظن فأخطأ والمخطئ لا يسمى فاسقاً ، كيف والفاسق في اكثر المواضع يراد به من خرج عن الايمان لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾
المائدة ١٠٨

يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم الفاسق بأي نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر ولا تعتمدوا على قوله فمن لا يبالي بالفسق هو أجدر أن لا يبالي بالكذب خشية أصابتكم بالأذى قوماً انتم جاهلون حالهم فتقدموا على فرط منكم وتتمنوا أن لو لم تكونوا فعلتم ذلك ثم قال سبحانه : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ اي بين أظهركم فعظموه ووقروه وتأدبوا معه وانقادوا لأمره فهو أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم كما قال تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ الاحزاب: ٦ .

﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ أي لو سارع الى ما أردتم قبل وضوح الامر وأجاب ما اشترتم به عليه من الآراء لوقعتم في الجهد والأثم . ولكن لا يطيعكم في غالب الأمر ولا يسارع الى العمل مما يبلغه قبل النظر فيه .

ثم خاطب الله المؤمنين المخلصين في ايمانهم الذين لا يكذبون على رسولهم أنه جعل الايمان أحب الاديان اليهم وأدناها ي قلوبهم فأختاروه وفضلوه على سائر الاديان وبغض اليهم الكذب ونقرهم من العصيان والخروج على الطاعة.

وهذا الصنف من المؤمنين هم الذين تثبتهم الله على الايمان ووقفهم اليه فاستمسكوا به وتشددوا فيه ولم يتهاونوا في صغيرة ولا كبيرة بشأنه وقد فعل الله لهم ذلك فضلاً منه ونعمة عليهم.

والله عليم بما يصلح أحوال الناس ، حكيم في تصرفه وتدبيره.



السخرية والتنابز بالألقاب

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا
مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا
تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ الحجرات: ١١

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾ الآية

نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك لأنه كان في أذنه وقر فكان اذا أتى رسول الله ﷺ أوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول ، فجاء يوماً وقد أخذ الناس مجالسهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا فقال له رجل : قد أصبت مجلساً فاجلس فجلس ثابت مغضباً ، فغمز الرجل فقال : من هذا ؟ فقال : أنا فلان . فقال : ثابت : ابن فلانة ؟ وذكر أمأً كانت له يعير بها في الجاهلية ، فنكس الرجل رأسه استحياءً . فأنزل الله تعالى هذه الآية . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

وقال الضحاك : نزلت في وفد تميم اذ كانوا يستهزئون بفقرء أصحاب النبي ﷺ كعمّار وصُهيب وبلال وخبّاب وابن فُهَيْرَة وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة وآخرين غيرهم لما رأوا من رثاءة حالهم.

عن كنانة بن نعيم ، عن صفية رضي الله عنها قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا أبكي ، فقال : " يا بنت حَيِّ ما يُبْكِيكِ ؟ " قلت : بلغني أن حفصة وعائشة ينالان مني ويقولان : نحن خيرٌ منها ، نحن بنات عم رسول الله ﷺ وأزواجه قال : " ألا قلت : كيف تكونان خيراً مني وأبي هارون وعمي موسى وزوجي مُحَمَّدٌ صلوات الله وسلامه عليهم " [المستدرك على الصحيحين للحاكم]

يا ايها الذين آمنوا لا يهزأ ناس من المؤمنين بآخرين ثم ذكر العلة في ذلك فقال : ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ﴾ أي يكون المسخور منهم خيراً عند الله من الساخرين كما جاء في الأثر عن ابي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : " رَبُّ أَسْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ تَنْبُو عَنْهُ أَعْيُنَ النَّاسِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ " [المستدرك على الصحيحين للحاكم]

﴿ وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴾ واتي بالجمع في الموضعين لأن الأغلب في السخرية ان تكون في مجامع النساء وكم من مثلذذ بها وكم من متألم بها .

عن أبي حذيفة ، عن عائشة ، قالت : قلت للنبي ﷺ حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَةِ كَذَا وَكَذَا ، قال غَيْرُ مُسَدِّدٍ : تعني قصيرة ، فقال : " لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ

البحر لَمَرْجَتُهُ " قالت : وحكيتُ له انساناً ، فقال : ما أحبُّ أني حكيتُ انساناً وأنَّ لي كذا وكذا " [سنن أبي داود-كتاب الأدب].

وروى مسلم عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : "إنَّ الله لا ينظرُ الى صُورِكُمْ وأموالِكُمْ ، ولكنَّ يَنظُرُ الى قُلُوبِكُمْ وأعمالِكُمْ " [صحيح مسلم-كتاب البر والصلة والآداب] ، وفي هذا ايماء الى ان المرء لا يقطع بمدح أحد أو عيبه كما يرى عليه من صور أعمال الطاعة أو المخالفة ، فلعل من يحافظ على الأعمال الظاهرة يعلم الله من قلبه وصفاً مذموماً لا تصح معه تلك الأعمال ولعل من رأينا منه تقريظاً أو معصية يعلم الله من قلبه وصفاً محموداً يُغفَرُ له بسببه ، فالأعمال أمارات ظنية لا أدلة قطعية.

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي ولا يعيب بعضكم بعضاً بقولٍ أو إشارة على وجه الخفية وفي قوله ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ تنبيهه إلى أنَّ العاقل لا يعيب نفسه فلا ينبغي أن يعيب غيره لأنه كنفسه ، عن عامر بن شراحيل ، قال : سَمِعْتُهُ يقول : سَمِعْتُ النعمان بن بشير ، يقول : قال رسول الله ﷺ : " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد ، اذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسَّهرِ والحُمى " [صحيح البخاري-كتاب الأدب]، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : " يُبْصِرُ أَحَدُكُمْ الْقَدَاةَ (القذاة :الوسخ ونحوه مما يقع في العين والمراد العيب والنقيصة) في عين أخيه ، وينسى الجذعَ في عينه " [صحيح ابن حبان-كتاب الحظر والاباحة].

وقيل من سعادة المرء ان يشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره قال

الشاعر:

لا تكشفني من مساوي الناس ما ستروا فَيَهْتِكُ اللهُ سِتْرًا عَن مَسَاوِيكَ

واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا وَلَا تَعْبِ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ

﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي لا يدع بعضكم بعضاً باللقب الذي يسوءه ويكرهه

كأن يقول لأخيه المسلم : يا فاسق ، يا منافق ، أو يقول لمن أسلم يا يهودي أو نصراني.

عن أبي جبيرة بن الضحاك قال : " فينا نزلت معشر الأنصار " :

﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ ، " قَدِمَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ وَالرَّجُلُ مَنَا لَهُ الْأَسْمَانُ وَالثَّلَاثَةُ ،

فكان النبي ﷺ ربما دعاهم ببعض تلك الأسماء فيقال : يا رسول الله ، انه

يغضب من هذا " ، فنزلت : ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾

الآية قال : " التنابرُ بالألقاب أن يكون الرجلُ عملَ السيئاتِ ثُمَّ تَابَ مِنْهَا ، وَرَاجَعَ

الْحَقَّ ، فَنَهَى اللهُ أَنْ يُعَيَّرَ بِمَا سَلَفَ مِنْ عَمَلِهِ " [جامع البيان في تفسير القرآن

للطبري].

أما الألقاب التي تكسب حمداً أو مدحاً وتكون حقاً وصدقاً فلا تكره كما قيل

لأبي بكر : عتيق ، ولعمر : الفاروق ، ولعثمان : ذي النورين ، ولعلي : أبو

تراب ، ولخالد : سيف الله.

﴿يَسَّ الْإِثْمَ الْمُسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ أي لبئس الذكر للمؤمنين ان يذكروا

بالفسوق بعد دخولهم في الايمان واشتغارهم به.

وهذا ايماء الى استقباح الجمع بين الأمرين كما نقول بئس الصبوة بعد

الشيخوخة أي معها.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَنْبَأْ فَأَوْلِيكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي من لم يتب عن نبره أخاه بما نهى الله

عن نبره من الألقاب أو لمزه آياه ، وسخريته منه ، فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم

فأكسبوها عقاب الله بعصيانهم آياه.

اللهم اجعل الايمان في قلوبنا زائلاً لهذه الصفات

المنبوذة واهدنا الى سواء السبيل



سوء الظن والتجسس والغيبة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا
تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبُّ إِلَيْكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ
أَخِيهِ مِمَّا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾
الحجرات: ١٢

أدب الله عباده المؤمنين بأداب ان تمسكوا بها دامت المودة والوئام بينهم من هذه الامور الذي ذكرت في المواضيع السابقة ومنها ما سيذكر الآن . فيا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن لأنه قد يكون اثماً محضاً وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : " لا تظنن بكلمة خرجت من فم امرئ مسلم سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً " ، ولا تبحث عن عورات الناس ومعائبهم بالتجسس عليهم ، ولا تذكرهم بما يكرهون في غيبتهم وقد مثل الشارع المغتاب بأكل اللحم وأبي لحم (لحم الميتة) استفظاعاً له.

قال قتادة : كما تكره ان تجد جيفة ممدودة ان تأكل منها كذلك لحم أخيك

وهو حي .

فيا أيها الذين آمنوا ابتعدوا عن الظن بالمؤمنين أي الظن السيئ ، أخرج البيهقي وفي رواية أبي حازم لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة ، قال : " مرحباً

بِكُ مِنْ بَيْتِ مَا أَعْظَمَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتِكَ ، وَلِلْمُؤْمِنِ أَعْظَمَ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ ،
 إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مِنْكَ وَاحِدَةً وَحَرَّمَ مِنَ الْوَمَنِ ثَلَاثًا : دَمَهُ ، وَمَالَهُ ، وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ ظَنٌّ
 السُّوءِ " [شعب الايمان للبيهقي].

ولا يحرم سوء الظن الا ممن شوهد منه الستر والصلاح أما من يُجاهر
 بالفجور كمن يدخل الى الحانات أو يصاحب الغواني فلا يحرم سوء الظن به.

وأخرج البيهقي في شعب الايمان أيضاً عن سعيد بن المسيب ، قال : كتب
 اليّ بعض اخواني من أصحاب رسول الله ﷺ : " أن ضَعَّ أَمْرَ أُخِيكَ عَلَى
 أَحْسَنِهِ مَالٍ يَأْتِكَ مَا يَغْلِبُكَ ، وَلَا تَطُنَّنْ بِكَلِمَةٍ خَرَجْتَ مِنْ أَمْرِي مُسْلِمٍ شَرًّا وَأَنْتَ
 تَجِدُ لَهُ فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا وَمَنْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلتُّهْمِ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ ، وَمَنْ كَتَمَ
 سِرَّهُ كَانَتْ الْخَيْرَةُ فِي يَدَيْهِ ، وَمَا كَافَأَتْ مِنْ عَصَى اللَّهِ فِيكَ بِمَثَلٍ أَنْ تُطِيعَ اللَّهُ
 فِيهِ ، وَعَلَيْكَ بِأَخْوَانِ الصِّدْقِ ، فَكَثُرَ فِي اِكْتِسَابِهِمْ ، فَانْتَهَمَ زِينَةً فِي الرِّخَاءِ ، وَعُدَّةٌ
 عِنْدَ عَظِيمِ الْبَلَاءِ ، وَلَا تَهَاوَنَ بِالْحَلْفِ فَيُهَيِّنَكَ اللَّهُ ، وَلَا تَسْأَلَنَّ عَمَّا لَمْ يَكُنْ حَتَّى
 يَكُونَ ، وَلَا تَضَعْ حَدِيثَكَ إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَشْتَهِيهِ ، وَعَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَإِنْ قَتَلَكَ الصِّدْقُ ،
 وَاعْتَزَلَ عَدُوَّكَ ، وَاحْذَرِ صَدِيقَكَ إِلَّا الْأَمِينَ ، وَلَا أَمِينَ إِلَّا مَنْ خَشِيَ اللَّهَ عَزَّ
 وَجَلَّ ، وَشَاوَرَ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ " [شعب الايمان للبيهقي]

قال ابن عباس في الآية : نهى الله المؤمن ان يظن بالمؤمن سوءا ، ثم لما أمرهم
 سبحانه باجتتاب كثير من الظن نهاهم عن التجسس فقال :

﴿ وَلَا جَسَّسُوا ﴾ أي ولا تتبعوا عورات الناس ولا يبحث عن سرائرهم يبتغي
 بذلك الظهور على عيوبه ولكن اقموا بما ظهر لكم من أمره وبه فاحمدوا أو ذموا
 لا على ما تعملون من الخفايا.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أَيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلَا تَحَسَّسُوا ، وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا تَنَاجَشُوا ، وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا " [وهذا لفظ البخاري-كتاب الأدب]

وعن أبي بَرزَةَ الأَسْلَمِي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلِسانَهُ ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانَ قَلْبُهُ ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يُفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ " [سنن ابي داود-كتاب الأدب] .

وروى الطبراني عن حارثة بن النعمان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ثَلَاثٌ لِأَزْمَاتٍ لِأُمَّتِي : الطَّيْرَةُ ، وَالْحَسَدُ ، وَسَوْءُ الظَّنِّ " . فقال رجل : ما يُذْهِبُهُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّنْ هُوَ فِيهِ ؟ قال : " إِذَا حَسَدَتْ فَاسْتَعْفِرِ اللَّهَ ، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تُحَقِّقْ ، وَإِذَا تَطَيَّرْتَ فَامْضِ " [المعجم الكبير للطبراني]

عن عبد الرحمن بن عوف ، رضي الله عنه قال : " حَرَسْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه الْمَدِينَةَ لَيْلَةً إِذْ شَبَّ لَنَا سِرَاجٌ ، فَمَشِينَا نَحْوَهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى بَابِ مُجَافٍ عَلَى قَوْمٍ قَدْ عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ ، وَكَثُرَ لَعَطُهُمْ ، فَقَالَ : أَتَدْرِي بَيْتَ مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ لَا أَدْرِي قَالَ : هَذَا بَيْتُ رِبِيعَةَ بْنِ أُمِيَةَ بْنِ خَلْفٍ ، وَهَمَّ الْآنَ شَرْبٌ ، فَمَا تَرَى ؟ قُلْتُ : أَرَأَيْتَ إِذَا تَبَاغَضُوا ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ ، وَقَدْ تَجَسَّسْنَا قَالَ : فَارْجِعْ وَتَرَكْهُمْ " [مكارم الاخلاق للخراطي-باب ما يستحب للمرء من ستر عورة اخيه المسلم وماله]

﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمُ بَعْضًا ﴾ أي ولا يذكر بعضكم بما يكره في غيبته والمراد بالذكر صريحاً أو إشارة أو نحو ذلك من أذى المغتاب وتفريق الشمل فهي النار

تشتعل فلا تبقي ولا تذر والمراد بما يكره ما يكرهه في دينه أو دنياه أو خلقه أو خلقه أو ماله أو ولده أو زوجته أو خادمه أو ملبسه أو غير ذلك مما يتعلق به. قال الحسن : الغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله :

الغيبة ، والأفك ، والبُهتان.

فأما الغيبة : فهي ان تقول في أخيك ما هو فيه.

وأما الافك : فان تقول فيه ما بلغك عنه.

وأما البُهتان : فان تقول فيه ما ليس فيه.

ولا خلاف بين العلماء في ان الغيبة من الكبائر وأن على من اغتاب أحداً التوبة الى الله أو الاستغفار لمن اغتابه أو الاسحلال منه . وعن شعبة ، قال : قال لي معاوية بن مُرّة : لو مرّ بك رجلٌ أقطعُ (مقطع اليد) ، فقلت : بيدك ، وأشرت اليه : هذا أقطعُ ، كانت غيبة فذكرت ذلك لأبي اسحاق فقال : صدق.

ثم ضرب سبحانه مثلاً للغيبة والتحذير منها فقال : ﴿ أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ فإذا كنتم لا تحبون ذلك بل تكرهونه لأن النفس تعافه فكذلك فاكروهوا ان تغتابوه في حياته فلو كنتم تكرهون ذلك طبعاً فاكروهوه شرعاً لما فيه من شديد العقوبة.

وقد شُبّهت بأكل اللحم لما فيها من تمزيق الأعراض المشابه لأكل اللحم وتمزيقه وقد جاء هذا على نهج العرب في كلامهم ، قال المقنع الكندي :

فان أكلوا لحمي وفرت لحمهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً

سمع علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلاً يغتاب آخر فقال : أيّاك والغيبة فانها ادم كلاب الناس وقيل لعمر بن عبيد : لقد وقع فيك فلان حتى رحمنك ، قال : أيّاه فارحموا . وقال رجل للحسن البصري : بلغني انك تغتابني فقال : لم يبلغ قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي .

وقد ثبت في الصحيح عن عبدالرحمن بن أبي بكره ، عن أبيه ، ذكر النبي ﷺ قَعَدَ على بغيره ، وأمسك انسانٌ بِخِطَامِهِ -أو بزمامه- قال : " أي يومٍ هذا " ، فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه ، قال : " أليس يوم النحر " قلنا : بلى ، قال : " فأى شهرٍ هذا " فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، فقال : " أليس بذي الحجة " قلنا : بلى ، قال : " فإنَّ دِمَاءَكُمْ ، وأموالكم ، أعراضكم ، بينكم حرامٌ ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا... " [صحيح البخاري- كتاب العلم].

﴿ وَأَنْقُوا اللَّهَ ﴾ أي فاكروها الغيبة واتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه واخشوه .

﴿ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ أي يتوب على من تاب ، رحيم لا يعذب بعد توبة .
أخرج الترمذي والدارمي وأحمد عن عبد الرحمن بن أبي بكره ، عن أبيه ، أن رجلاً قال : يا رسول الله ، أيُّ الناس خيرٌ ؟ قال : " من طال عُمرُه ، وحسُنَ عَمَلُه " ، قال : فأَيُّ الناس شرٌّ ؟ قال : " من طال عُمرُه ، وساءَ عَمَلُه " [مسند أحمد بن حنبل] .

اللهم اطل اعمارنا واحسن اعمالنا



ضعفين من الأجر.....لمن؟؟؟

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنَ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ ۗ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾

الحديد: ٢٨ - ٢٩

خطاب للذين صدقوا بالله ورسوله من أهل الكتابين التوراة والانجيل خافوا الله بأداء طاعته واجتتاب معاصيه وآمنوا بمحمد ﷺ يعطيكم ضعفين من الأجر، لإيمانكم بعيسى والأنبياء قبل محمد ﷺ ثم بإيمانكم بمحمد بعد أن بُعث نبياً، ويجعل لكم هدى تستبصرون به من العمى والجهالة ويغفر لكم ما أسلفتم من الذنوب وما فرطتم في جنب الله والله واسع المغفرة لمن يشاء ، رحيم بعباده يقبل توبتهم متى أنابوا اليه وخشعت له قلوبهم.

ان الله وعد المؤمنين برسوله بعد ايمانهم بالانبياء قبله بأمر ثلاثة أنه يُضاعف لهم الأجر والثواب أولاً ثم يجعل لهم نوراً بين أيديهم وعن شمائلهم يوم القيامة يهديهم ال الصراط السويّ ويوصلهم الى الجنة ثانياً ، ويغفر لهم ما اجترحوا من الذنوب والمعاصي ثالثاً.

روى الشعبي عن أبي بريدة بن أبي موسى ، عن أبيه موسى الأشعري ، أن رسول الله قال : " ثلاثة يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ : رجلٌ من أهل الكتاب آمنَ بنبيِّه ، وأدركَ النبيَّ ﷺ فأمنَ به واتبَعَهُ وصدَّقَهُ ، فله أجران ، وعبدٌ مملوكٌ أدّى حقَّ الله تعالى وحقَّ سيِّده ، فله أجران ، ورجلٌ كانت له أمةٌ فغَدَّأها ، فأحسنَ غَدَائِها ، ثمَّ أدبَهَا فأحسنَ أدبَهَا ، ثمَّ أعتَقَهَا وتزوَّجَهَا فله أجران " [صحيح مسلم-كتاب الايمان]

أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال : لما نزلت ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ القصص: ٥٤ فخر مؤمنوا أهل الكتاب على أصحاب النبي ﷺ فقالوا : لنا أجران ، ولكم أجر فاشتد ذلك على الصحابة فأنزل الله ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ﴾ الآية فجعل لهم أجرين مثل أجر مؤمني أهل الكتاب وزادهم النور .

ثم ردَّ الله على اليهود الذين زعموا اختصاص النبوة فيهم فقال : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَهْلٌ ءَالْكُتُبِ ﴾ أي اتقوا الله وآمنوا ، يؤتكم الأمور الثلاثة وهي : (مضاعفة الأجر ، والنور ، وغفران الذنب) ليعلم ويتحقق الذين لم يتقوا الله ولا آمنوا من أهل الكتاب أنهم لا يقدرّون على ردِّ ما أعطى الله لرسوله ، ولا اعطاء ما منع عنه وهم عاجزون من أن ينالوا شيئاً من فضل الله الذي تفضّل به على المستحقّين له كالنبوة والرسالة وغيرها .

وانّ الفضل محصور بيد الله يعطيه من يشاء والله واسع الفضل كثير العطاء والخير لمن يشاء من عباده .

وخالصة ذلك ان ايمان أهل الكتاب بكتابتهم ورسولهم لا يكفي ما لم يؤمنوا
بالنبي محمد ﷺ.

اخرج ابن جرير عن قتادة قال : بلغنا أنه لما نزلت ﴿يُؤْتِكُمْ كُفَلًا مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ حسد أهل الكتاب المسلمين عليها فأنزل الله ﴿لِيَأْلَمَ أَهْلَ
الْكِتَابِ﴾ الآية.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي واسع الفضل كثير العطاء يمنحه من يشاء ن
عباده لا يخصص به قوماً دون آخرين ولا شعباً دون آخر.
سبحانك ربنا قسمت لعبادك بمقتضى عدلك وجودك وكرمك وأتيتهم فوق ما
يستحقون فاللهم آتنا من لدنك التوفيق في المسابقة الى الخيرات والهداية الى
الصراط المستقيم.



آداب المناجاة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْآثِمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ
الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا التَّجْوَىٰ مِنَ
الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ المجادلة: ٩ - ١٠

سبق هذه الآيات ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ التَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ
بِالْآثِمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكَ حَيْوَتُكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا
يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَيَنْسُ الْآمِصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾ المجادلة: ٨

كان قوم من اليهود والمنافقين يجتمعون ويتحدثون في السرّ بما يؤدي
المؤمنين ويوصي بعضهم بعضاً بمعصية الرسول ومخالفته ، وكان المؤمنون اذا
مروا يتغامزون بأعينهم وتتحرك ألسنتهم وشفاهم بكلام خافت لا يفهمه المؤمنون
فيحزنون لذلك أشدّ الحزن ، فلما استمر هذا الحال من اليهود والمنافقين شكا
المؤمنون أمرهم الى رسول الله ﷺ فأمر النبي هؤلاء المنافقين واليهود أن يكفوا
عن المناجاة بشأن المسلمين أي يتركوا ذلك لكنهم استمروا بما يغيظ المؤمنين
ويحزنهم من أمر هذه المناجاة.

لم يقتصروا على ذلك لكنهم كانوا يجيئون الى النبي فيقولون له : السّام
عليك يا محمد : ومعنى السّام : الموت . فكأنهم بدلاً من ان يحيوا النبي بكلمة
طيبة (السلام عليك) يدعون عليه بالموت وهم يوهمون الناس بذلك والنبي
يسمع حقيقة أمرهم فيرد عليهم بقوله (عليكم) .

عن عروة بن الزبير ، أن عائشة ، رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت : دخل رهطٌ من اليهود على رسول الله ﷺ ، فقالوا : السَّامُ عليكم ، قالت عائشة : فَفَهَّمْتُهَا فَقُلْتُ : وعليكم السَّامُ واللعنة ، قالت : فقال رسول الله ، " مهلاً يا عائشة ، ان الله يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ " فقلت : يا رسول الله ، أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله ﷺ : " قد قلت : وعليكم " [صحيح البخاري-كتاب الأدب]. أراد النبي ﷺ لعائشة أن يعتاد لسانها أدب التخاطب حتى مع الأعداء والسفهاء فقال لها " مهلاً يا عائشة " لأن الله يكره فاحش الكلام . نِعَمَ ما أدبَ الله نبيَّهُ عليه الصلاة والسلام.

يا أيها المؤمنون بالله ورسوله اذا تتاجيتم وتساررتم ، فلا تتناجوا بالشر والمعصية ولكن تتاجوا في أفعال الخير والطاعة والخوف من عذاب الله الذي يحاسب الناس يوم القيامة على أعمالهم لأن المناجاة في الشر والعدوان ومعصية الرسول من وساوس الشيطان ليحزن الذين آمنوا واذا كان يُقصدُ بها ضرر المؤمنين ، فإنَّ المؤمنين لا يضرهم شيء الا باذن الله وارادته ومشيتته ، والمؤمنون يحب ان يتوكلوا على الله في جميع امورهم ولا يخشوا من انسان ضرراً ولا يترقبوا منه نفعاً الا باذن الله . وقد وردت السنَّة بالنهي عن التتاجي اذا كان في ذلك أدى لمؤمنٍ ، أخرج البخاري ومسلم والترمذي وابن حبان عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : " اذا كنتم ثلاثة فلا يتتاجى اثنان دون الآخر ، حتى تختلطوا ، بالناس من أجل ان يحزنه " [وهذا لفظ مسلم-كتاب السلام].

آداب الجلوس

﴿ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا
يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١١) المجادلة: ١١

أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حبان قال : كان ﷺ يوم الجمعة في الصُّفَّة (وهي من البنيان شبه البهو الواسع ، الطويل السمك وتطلق الصُّفَّة أيضاً على موضع مظل في مسجد المدينة ، كان يأوي اليه فقراء المهاجرين ممن لم يكن له منزل يسكنه) فتضيق بالجالسين لأن كل قادم الى المسجد كان يريد أن يأخذ مكانه بالقرب من النبي ﷺ ، وكان عليه الصلاة والسلام يُكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار ، فجاء أناسٌ من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس وكان في أذنيه وقر (ثقل في السمع) وقد سُبِقوا الى المحل القريب من النبي فقاموا حيال النبي على أرجلهم ينتظرون ان يُوسَّعَ لهم ، فلم يفسح لهم أحد فشق ذلك على النبي وقال لمن حوله من غير أهل بدر قم يا فلان ، وأنت يا فلان ، بعدد القائمين من أهل بدر ، فشق ذلك على من أقام ، وعرف النبي ﷺ الكراهية في وجوههم ، وغمز المنافقون ، فقالوا ، ما أنصِف هؤلاء وقد أحبوا القرب من نبيهم، فسبقوا الى المكان فأنزل الله عز وجل ﴿ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا ﴾.....الآية.

وفي هذه الآيات أمر الله تعالى للمؤمنين بما يكون سبباً للمودة والتآلف وسببياً الى التراحم والتعاطف فحثهم على الا يتزاحموا في المجالس ، وان يوسع بعضهم لبعض واذا طلب أن ينهضوا من مجالسهم ويتركوها لمن هم أحق بالراحة أو الاكرام منهم لتقدمهم في السن أو لرسوخهم في علم أو دين فليمتثلوا بلا ملل ولا ضجر ، فيوسع الله لهم في رحمته وفضله وان المؤمنين الذين يتحلون بمثل هذه الآداب ، يرفعُ الله شأنهم في الدنيا بالنصر وحسن الذكر ، وينزلهم في الآخرة غرف جنات النعيم ، ويختص العلماء منهم بدرجات فوق درجات المؤمنين وتشير هذه الآية الى أمور ثلاثة يجدر بنا تبيانها وهي:

ان كل من وسع على الناس أبواب الخير والراحة وأثر بالأكرام والاستقرار من هم أحق بذلك لسنتهم أو فضلهم وسَّع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة.

وكذلك التنويه بشأن العلماء وتفضيل المؤمن العالم على المؤمن الجاهل

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الزمر: ٩

وانّ الرفعة عند الله تكون بالعلم والتقوى ، لا بالمال والجاه والسبق الى تصدر المجالس ، وقد رأى النبي ﷺ رجلاً من الأغنياء يقبض ثوبه نفوراً من رجل فقير أراد أن يجلس بجواره ، فأنكر النبي ﷺ ذلك.

﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ مطلع منكم من المعاصي وهو مجازيكم بأعمالكم

فالمحسن باحسانه والمسي بالاساءة.



التصدق قبل مناجاة الرسول

﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٣) ﴿أَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذ لَّمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٣) المجادلة: ١٢ - ١٣

أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : ان المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه ، فأراد الله أن يخفف عن نبيه فأنزل الله تعالى:

﴿إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ﴾ ﴿فَلَمَّا نزلت صبر كثير من الناس ، وكفوا عن المسألة فأنزل الله بعد ذلك﴾ ﴿أَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ﴾ الآية.

ان الآيات التي انزلت مرةً بتقديم الصدقات قبل مناجاة الرسول والحديث معه ، لما في ذلك من منافع ومزايا وهي :

أولاً : تعظيم الرسول وتعظيم مناجاته فان الشيء اذا نيل مع المشقة استعظم وان نيل مع السهولة لم يكن له منزلة أو رفعة.

ثانياً : نفع كثير من الفقراء بتلك الصدقات.

ثالثاً : تمييز المنافقين الذين يحبون المال ويريدون عرض الحياة الدنيا من المؤمنين الذين يريدون الآخرة وما عند الله من نعيم مقيم.

رابعاً : التخفيف عن رسول الله ﷺ لأن أوقاته موزعة بين ابلاغ الرسالة والعبادة والقيام ببعض وظائفه الخاصة فانه بشر يحتاج الى قسط من الراحة والى التحنث الى ربه في خلواته.

يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله اذا أراد أحد منكم أن يناجي الرسول فليقدم صدقة قبل ذلك لما في ذلك من تعظيم الرسول ﷺ ، ونفع الفقراء والتميز بين المؤمن حقاً والمنافق ومحب الآخرة من محب الدنيا والتخفيف عنه.

﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ أي ان التقديم خيراً لكم لما فيه من الثواب العظيم عند ربكم ومن تركية النفوس وتطهيرها من الجشع وجمع المال ودفع خصاصة الفقراء واعانة ذوي الحاجة ونشر الدين ودعوته.

ثم أقام العذر للفقراء فقال :

﴿ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ المجادلة: ١٢ أي ان لم تجدوا الصدقة أيها الفقراء وعجزتم عن ذلك فقد رخص الله لكم المناجاة بلا تقديم.

ثم ميز الله بين المنافق من المخلص قائلًا ﴿ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ ﴾ أي بخلتم وخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم الصدقات ووسوس لكم الشيطان ذلك.

﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي فحين لم تفعلوا ما أمرتكم به وشق ذلك عليكم

خفف عليكم ربكم فرخص المناجاة من غير تقديم صدقة.

فتداركوا ذلك على اقامة الصلاة وابتاء الزكاة كما قال تعالى : ﴿فَأَقِمْوْا

الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ .

﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فهو محيط بنواياكم وأعمالكم ومُجازيكم بما قدمتم

لأنفسكم من خيرٍ أو شرٍ ، كما قال تعالى : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) الزلزلة: ٧ - ٨ .

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٣٩) وَأَنْ سَعَيْهِ سَوْفَ يُرَى﴾ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ

الْأَوْفَى﴾ (٤١) النجم: ٣٩ - ٤١ .



عدم موالاة الأعداء

﴿ بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَشْفِقُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ ﴾ الممتحنة: ١ - ٣

قوله تعالى : ﴿ بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ الآية

قال جماعة من المفسرين : نزلت في حاطب بن أبي بلتعة (مولى عبد الله بن حميد بن عبد العزّي) ، وذلك أنّ سارة مولاة أبي عمر بن صهيب بن هشام بن عبد مناف أتت رسول الله ﷺ من مكة الى المدينة ، ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة، فقال لها : " أمسلمة جيئت " . قالت : لا . قال : " فما جاء بك " ،

قالت : أنتم الأهل والعشيرة والموالي ، وقد احتجت حاجة شديدة ، فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني ، قال لها : " فأين أنت من شباب أهل مكة " . وكانت مغنية ، قالت : ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر . فحثّ رسول الله ﷺ بني عبد

المطلب وبني المطلب فكسوها وحملوها وأعطوها ، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة ، وكتب معها الى أهل مكة ، وأعطها عشرة دنانير ، على أن توصل الى أهل مكة وكتب في الكتاب : من حاطب الى أهل مكة ، ان رسول الله ﷺ يريدكم ، فخذوا حذرکم . فخرجت سارة ، ونزل جبريل عليه السلام فأخبر النبي ﷺ بما فعل حاطب ، فبعث رسول الله ﷺ علياً وعماراً والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وابا مرثد . [أسباب النزول للامام الواحدي النيسابوري] ، وروى البخاري ومسلم عن عبيد الله بن أبي رافع ، قال : سمعتُ علياً عليه السلام يقول : بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير ، والمقداد ، فقال : " انطلقوا حتى تأتوا روضةً خاخ ، فان بها طعينةً (المرأة المسافرة) معها كتابٌ ، فخذوا منها " قال : فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة ، فاذا نحن بالطعينة، قلنا لها : أخرجي الكتاب ، قالت : ما معي كتابٌ ، فقلنا : لتُخرجي الكتاب ، أو لتُنقيني الثياب ، قال : فأخرجته من عقصها (جمع عقيصه وهي الضفيرة) : ، فأتينا به رسول الله ﷺ ، فاذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة ، الى ناسٍ بمكة من المشركين ، يُخبرهم ببعض أمر الرسول ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : " يا حاطبُ ، ما هذا ؟ " قال : يا رسول الله ، لا تعجل علي ، اني كنتُ امرأً مُلصقاً في فريشٍ ، يقول : كنتُ حليفاً ، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قراباتٌ يحمون أهلهم وأموالهم، فأحببتُ اذ فاتتني ذلك من المنسبِ فيهم ، أن أتخذَ عندهم يداً يحمون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ، ولا رضاءً بالكفر بعدَ الاسلام ، فقال رسول الله ﷺ : " أما انه قد صدقكم " ، فقال عمرُ : يا رسول الله ، دعني أضربُ عنقَ هذا المنافقِ ، فقال : " انه قد شهد بديراً ، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بديراً فقال :

اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " . فأنزل الله السورة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ - الى قوله - ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [وهذا لفظ البخاري - كتاب المغازي]

يقول الله تعالى في هذه الآيات : يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء وأنصاراً تتقلون اليهم أخبار المؤمنين بسبب المودة التي بينكم وبينهم وهذا نهى صريح عن موالاته الكفار بأي وجه من الوجوه.
لا تتخذوهم أولياء ان كنتم خرجتم في سبيلي وطلب مرضاتي وتسرون اليهم بالمودة والمحبة ونقل الأخبار والله أعلم بالسرائر وما تخفون وما تُعلنون. ومن يوال الأعداء منكم فقد انحرف وأخطأ الطريق طريق الحق والصواب وحاد عن قصد السبيل الذي يوصل الى الجنة والرضوان الالهي.

وهناك أسباب تمنع موالاته الكفار وتدل على حقدهم :

انهم ان يلاقوكم يظهرها اليكم العداوة والبغضاء ويمدوا اليكم أيديهم بالضرب والأذى والقتل وغير ذلك من صنوف الاعتداء عليكم وينالوكم بألسنة حداد سباً وقذفاً وشتماً ، ويتمنوا ارتدادكم عن دينكم ورجوعكم الى الكفر حتى لا تتالوا خيراً.
ان رابطة الدين والايمان أنفع لكم من رابطة القرابة والموالاته فلن يفيدكم يوم القيامة أقاربكم ، ولكن الذي ينفعكم أن توثقوا صلوات الايمان و أخوة الدين ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠ ففي الآخرة يفرق بينكم ويدخل أهل الطاعة الجنة ويدخل العصاة النار.

ومن وافق أهله على الكفر فقد خاب وخسر كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ لقمان: ١٥ .

أما في الآخرة فيقول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (١٠١) المؤمنون: ١٠١ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ الزخرف: ٦٧ .

وقال أيضاً : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) ﴾ عبس: ٣٤ - ٣٦ .

اللهم نور قلوبنا وعيوننا وأبصارنا وبصيرتنا يا أرحم الراحمين



﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ أي فان غلب على ظنكم ايمانهن بالحلف وغيره مما تطمئن اليه القلوب على اسلامهن فلا تردوهن الى أزواجهن الكفار المشركين.

﴿ الْكُفَّارِ لَأَنْ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ أي لا المؤمنات حل للکفار ولا الكفار حل للمؤمنات.

﴿ وَأَتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا ﴾ أي أعطوا أزواجهن مثل ما أنفقوا من المهور.

أخرج البخاري عن مروان ابن الحكم ، والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما يخبران ، عن أصحاب رسول الله ﷺ ، قال : لما كتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ﷺ ، أنه لا يأتيك منا أحد وان كان على دينك الا رددته الينا ، وخليت بيننا وبينه ، فكره المؤمنون ذلك وامتعصوا منه وأبى سهيل الا ذلك ، " فكاتبه النبي ﷺ على ذلك ، فردَّ يومئذ أبا جندل الى أبيه سهيل بن عمرو ، ولم ياته أحد من الرجال الا ردَّه في تلك المدة ، وان كان مسلماً " ، وجاءت المؤمنات مهاجرات ، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج الى رسول الله ﷺ يومئذ ، وهي عاتق (عاتق : الانثى أول ما تبلغ ، والتي لم تتزوج بعد) ، فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها اليهم ، فلم يرجعها اليهم ، لما أنزل الله فيهن : ﴿ إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ﴾ الى قوله : ﴿ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾

قال عروة : فأخبرتني عائشة أن رسول الله أنزل الله فيهن : ﴿ إِذَا جَاءَكُمْ

الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ﴾ الى قوله : ﴿ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ ، قال

عروة: فأخبرتني عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن بهذه الآية : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ ﴿٤٠﴾ إِلَى ﴿عَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾ ، قَالَ عُرْوَةُ :
 قَالَتْ عَائِشَةُ : فَمَنْ أَقْرَبُ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنْهُنَّ ، قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " قَدْ بَايَعْتِكِ "
 كَلَامًا يَكْلِمُهَا بِهِ ، وَاللَّهُ مَا مَسَّتْ يَدُهُ امْرَأَةً قَطَّ فِي الْمُبَايَعَةِ ، وَمَا بَايَعَهُنَّ إِلَّا
 بِقَوْلِهِ [صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ-كِتَابُ الشَّرْطِ]

وَعَنْ مَقَاتِلٍ أَنَّهُ جَاءَتْ امْرَأَةٌ تَسْمَى سَبِيْعَةَ بِنْتُ الْحَرِثِ الْأَسْلَمِيَّةِ مُؤْمِنَةٌ
 وَكَانَتْ تَحْتَ صَيْفِي بْنِ الْوَاهِبِ وَهُوَ مُشْرِكٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَطَلَبَ رَدَّهَا فَأَنْزَلَ
 سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْآيَةَ فَلَمْ يَرُدَّهَا وَأَعْطَاهُ مَا أَنْفَقَ وَتَزَوَّجَهَا عُمَرُ ﷺ .
 وَمِنْ هَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْعَهْدَ الَّذِي أُعْطِيَ كَانَ فِي الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ وَمَنْ ثَمَّ
 لَمْ يَرُدَّهِنَّ حِينَ جِئْنَ مُؤْمِنَاتٍ .

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ ﴾ أَي وَلَا أَثْمَ عَلَيْكُمْ وَلَا حَرَجَ فِي
 نِكَاحِ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ الْمُهَاجِرَاتِ ، بِشَرْطِ أَنْ تَتَّعِدُوهُنَّ بِالْمَهْوَرِ وَتَتَلَزَمُوا بِأَدَائِهَا ،
 لِأَنَّ الْإِسْلَامَ حَالٌ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ أَزْوَاجِهِنَّ الْكُفَّارِ .

﴿ وَلَا تُمَسِّكُوا بِعِصْمِ الْكُفَّارِ ﴾ أَي لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عِلَاقَةٌ مِنْ عِلَاقَاتِ
 الزَّوْجِيَّةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَنِسَائِهِمُ الْمُشْرِكَاتِ الْبَاقِيَّاتِ فِي دَارِ الشَّرْكِ فَلَا يَمْنَعُ نِكَاحُ
 أَحَدَاهُنَّ نِكَاحَ خَامِسَةٍ أَوْ نِكَاحَ أُخْتِهَا مَا دَامَتْ فِي الْعِدَّةِ لِأَنَّهُ لَا عِدَّةَ لِهِنَّ .

﴿ وَاسْتَأْذِنُوا مِمَّا أَنْفَقُوا ﴾ أَي وَلَيْسَ أَلَيْكُمُ الْكُفَّارُ مَهْوَرٌ نِسَائِكُمُ الْمُهَاجِرَاتِ إِلَيْكُمْ وَالْمُرَادُ
 أَنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تَوَدُّوا لَهُمْ ذَلِكَ وَلَا أَثْمَ وَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي الزَّوْجِ
 بِالْمُؤْمِنَاتِ الْمُهَاجِرَاتِ إِذَا أُعْطِيَتْهُنَّ مَهْوَرُهُنَّ ، وَبِشَرْطِ انْقِضَاءِ عِدَّتِهِنَّ ، وَكَوْنَ
 الزَّوْجِ مِنَ الْوَالِي .

أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن البصري في قوله : ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ
أَزْوَاجِكُمْ ﴾ نزلت في أم الحكم بنت أبي سفيان ارتدت فتزوجها رجل ثقيفي ولم ترتد
امرأة من قريش غيرها.

وطالبوا بمهور نسائكم اذا ارتدوا وليطالبوا بمهور نسائهم اللاتي هاجرن
الى المسلمين ذلك المذكور من ارجاع المهور من الجانبين.

وان ذهبت امرأة من أزواجكم الى الكفار بأن ارتدت المسلمة ورجعت الى
دار الحرب فعاقبتكم أي قصرتم منهم الى الحال التي صاروا اليها منكم وذلك بأن
يأتيكم شيء من أزواجهم فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا من الفداء
والغنيمة اذا لم يردّ المشركون على زوجها مهرها . واحذروا ان تتعرضوا لشيء
مما يوجب العقوبة عليكم.

وان على الكفار ردّ مهر المرأة العائدة الى دار الكفر فان ردّوه تحقق
المطلوب والا فمن غنائم الحرب العائدة منهم.



لَا تَتَّبِعُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدِيسُوا مِنْ

الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾ الممتحنة: ١٣

كرر الله تعالى النهي عن موالاته الكافرين مرة أخرى يهوداً كانوا أو نصارى ليكون عظة وذكرى لحاطب بن أبي بلتعة ومن نحا نحوه ممن يفضلون توثيق الصلات الدنيوية على مصلحة الدعوة الدينية ويجعلون شؤون الدنيا مقدمة على شؤون الدين.

روي أن قوماً من فقراء المؤمنين كانوا يُخبرون اليهود بأخبار المسلمين ليصيبوا من ثمارهم فنزلت الآية . وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس قال : كان عبد الله بن عمر وزيد بن الحارث يوادان رجلاً من اليهود فأنزل الله : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ الآية .

أي يا أيها المؤمنون لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء وسائر الكفار ممن غضب الله عليهم واستحقوا الطرد من رحمته أولياء لكم وأصدقاء تسرون اليهم بما يضرّ نشر الدعوة ويحول دون تقدّم شؤون المسلمين .

ثم بيّن أوصافهم بقوله تعالى ﴿قَدِيسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ أي قد يبسوا من خير الآخرة وثوابها لعنادهم رسول الله كما يبس الكفار من بعث موتاهم لأنهم لا يعتقدون بالبعث والنشور .

محاسبة النفس

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الحشر: ١٨ - ٢٠

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ۗ فافعلوا ما به أمر واتركوا ما نهى وزجر ولتنظر نفس ما قدمت لغد أي ولتنظروا ما قدمتم لآخرتكم من أعمال صالحة ليوم الحساب والجزاء ، ﴿ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ الحج: ٢ .

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ تأكيد على التقوى والعبادة فهي الزاد في الآخرة ، ان الله عليم بأحوالكم وأفعالكم لا يخفى عليه شيء .

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ أي تركوا العمل بحقوق الله أوجبها على عباده فران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وضلوا عن طريق الهدى فجازاهم الله بذلك بالهلاك جزاءً وفاقاً .

﴿ أَوْلِيَّتِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ﴾ الخارجون عن طاعة الله ورسوله فاستحقوا عقابه يوم القيامة .

ونحو الآية : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِأَنَّهُمْ كَرِهُوا آمْوَالَكُمُ وَلَا أَوْلَادَكُمُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ فَاؤْلِيَّتِكَ هُمْ الْخٰسِرُونَ ﴿٩﴾ المنافقون : ٩ .

عن نعيم بن نمحة ، قال : كان في خطبة أبي بكر رضي الله عنه : " أما تعلمون أنكم تتعدون وتزوحون لأجل معلوم ، فمن استطاع ان ينقضي الأجل وهو في عمل الله عز وجل فليفعل ، ولن تتالوا ذلك الا بالله عز وجل ، ان قوما جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ أين من تعرفون من اخوانكم ؟ قدموا ما قدموا في أيام سلفهم ، وحلوا فيه بالشقوة ، والسعادة ، أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحققوها (الحف : الاحاطة) بالحوائط ، قد صاروا تحت الصخر والآبار ، هذا كتاب الله عز وجل لا تفنى عجائبه فاستوصوا به ، منه ليوم ظلمة وتتاصحوا بلسانه وبيانه ، ان الله عز وجل أثنى على زكريا ، وأهل بيته فقال : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خٰشِعِينَ ﴾ لا خير في قول لا يراد به وجه الله ، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله ، ولا خير فيمن يغلب جهله جلمه ، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم " [المعجم الكبير للطبراني] . ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ أي لا يستوي الذين نسوا الله فاستحقوا الخلود في النار والذين اتقوا وعملوا الصالحات فاستحقوا الخلود في الجنة .

ونحو الآية : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ الجاثية: ٢١ .

وقوله تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ ص: ٢٨ .

﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ هم الناجون والفائزون عند ربهم لهم جنات الخلد بما كانوا يعملون.

اللهم اجعلنا من الفائزين بالجنة

انك ولي ذلك والقادر عليه



تطابق القول مع العمل

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ
 اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي
 سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ مُّتَيِّنُونَ مَرَّضُونَ ﴿٤﴾ ﴾ الصف ٢- ٤

قال ابن عباس : كان جماعة من المؤمنين قبل أن يُفرض الجهاد يقولون :
 لو نعلم أي الاعمال أحب الى الله لعملناها ، فلما أمر الله بالجهاد في سبيل الله
 شقَّ عليهم أمره ، وقالوا : ربنا لم كتبت علينا القتال ؟ لولا أخرتنا الى أجل قريب
 فأنبأهم الله تعالى أنهم يقولون ما لا يفعلون وبين أن القول الذي لا يصحبه فعل
 يبغضه الله بغضاً شديداً وكبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون أسلوب عربي
 يدل على الذم مع التعجب ، لتعظيم الأمر في قلوب السامعين والتوبيخ والانكار
 موجه الى عدم فعلهم ما وعدوا به ، واثماً وجَّه الى القول لبيان ان معصيتهم
 مزدوجة ، وأنهم عملوا بجرمين فهم تركوا فعل الخير وقد وعدوا بفعله .

وهذه الآية تدل على وجوب الوفاء بالعهد ، وبما ثبت من قوله ﷺ روى
 البخاري عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : " آية المنافق ثلاث : اذا حدث
 كذَّبَ ، واذا وعدَ أخلفَ ، واذا أوْثمنَ خانَ " [صحيح البخاري-كتاب الايمان]

ان الوفاء بالوعد دليل على كريم الشيم وجميل الخصال ، وبه تكون الثقة بين الجماعات فترتبط برباط المودة والمحبة حين يتعامل بعض أفرادها مع بعض ويكونون يداً واحدة.

وبعد ذمّ المخالفين في أمر القتال مدح الذين قاتلوا في سبيله وبالغوا في القتال.

ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنه من بنيان مرصوص أي انّ الله يحب الذين يصفون أنفسهم حين القتال ولا يكون بينهم فرج فيه كأنهم بنيان متلاحم الأجزاء ، قطعة واحدة قد صبّت صباً.

وسرّ هذا اذا كانوا كذلك زادت قوتهم المعنوية ، وتنافسوا في الطعان والنزال، والكرّ والفرّ ، الى ما في ذلك من ادخال الروح والفرح في نفوس العدو الى ما لحسن النظام من امضاء العمل بالدقة والاحكام.

ومن ثمّ أمرنا بتسوية الصفوف في الصلاة ، وأن لا يجلس المصلي في صف خلفي الا اذا اكتمل ما في الصف الأمامي وهكذا علمنا الله تعالى النظام في كل عمل بحيث لا يطغى عمل على عمل ، ومن ثم جاء في الأثر عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله : " أحبُّ الأعمال الى الله تعالى أدومها وان قلّ " [صحيح مسلم-كتاب صلاة المسافرين وقصرها]



التجارة الناجحة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
 يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ
 عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴿١٣﴾ وَيَشِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ۝ الصَّف: ١٠ - ١٣

يا أيها الذين آمنوا هل أرشدكم على تجارة نافعة رابحة؟! والمراد بالتجارة هنا العمل الصالح . ونوع التجارة أن تواظبوا على الايمان بالله ورسوله وتخلصوا العمل لله وتجاهدوا من أجل اعلاء كلمة الله ونشر دينه بالأنفس والأموال مقدمة للإعداد الحربي لبدء الاستعداد بها. ذلك الايمان والجهاد خير لكم من أموالكم وأنفسكم ومن أنواع التجارات في الدنيا.

فان فعلتم ما أمرتم به غفرت لكم ذنوبكم وأدخلتكم جنات تجري الأنهار من تحتها وفيها مساكن طيبة للنفوس ودرجات عالية ، ودخول الجنة هو الفوز العظيم.

﴿ وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ أي ولكم على هذا فوز في الدنيا بنصركم على عدوكم وفتحكم البلاد وتمكينكم منها حتى تدين لكم مشارق الارض

ومغاربها . ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَنِّلُونَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ التوبة: ١١١ .

اللهم اجعلنا من المجاهدين في سبيلك لننال رضاك والجنة



أَنْصَارُ دِينِ اللَّهِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَتِ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ الصَّف: ١٤

أراد الله أن يضرب مثلاً ببعض المؤمنين الذين آزروا أنبياءهم وعاضدوهم فأيدهم الله بنصره ، وهم الحواريون أصفياء عيسى عليه السلام وأنصاره ليقفدي بهم المسلمون في نصرته محمد صلى الله عليه وسلم والجهاد في سبيل الله حق جهاده. فذكر أن عيسى عليه السلام حين أرسل إلى قومه من بني إسرائيل قاوموا دعوته وعاندوه ، فقال عيسى لأصفيائه وخاصته : من ينصروني في سبيل دين الله ؟ فقال هؤلاء الأصفياء الخُصاء وكانوا اثني عشر رجلاً : نحن أنصار الله وأنصار دين الله الذي بُعثت به آمناً بوحدانيته واعترفنا بربوبيته ، فلما توفي عيسى انقسم من آمن به قبل موته طائفتين ، طائفة بقيت على إيمانها به وكفرت طائفة فاقتلت الطائفتان فنصر الله الطائفة المؤمنة على الطائفة الكافرة ، وقواهم عليهم فغلبوهم.

ان القلة المتمسكة بالحق ، الناصرة لدين الله وشرعه ، تصبح عمّا قريب هي صاحبة القوة والمجد ، وكما تحقق ذلك في التاريخ المسيحي قبل الاسلام ، تحقق كما هو معروف في التاريخ الاسلامي بعد نزول القرآن الكريم ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك في مختلف الأنحاء في داخل الجزيرة العربية حيث تطهرت من الشرك

والوثنية وفي خارجها حيثُ دُجِرَت قوَى مملكتين عَظِيمَتَيْن وهما فارس والروم
وحلَّت محلَّهما القوة المسلمة الجديدة التي تنشد الخير والسعادة والنجاة للعالم
أجمع.



الكتبخنة العامة صليبية

صلاة الجمعة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا
إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا
قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَخْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا
قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾

الجمعة: ٩ - ١١

يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة اي اذن المؤذن بين يدي الامام وهو على المنبر في يوم الجمعة للصلاة فاتركوا البيع واسمعوا موعظة الامام في خطبته وعليكم ان تمشوا بسكينة ووقار حتى تصلوا المسجد.

روى الشيخان عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : " اذا أُقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون (السعي : المشي السريع القريب من الجري) ، وأتوها تمشون وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فاتموا " [وهذا لفظ مسلم-كتاب المساجد ومواضع الصلاة].

وعن عبد الله بن أبي قتادة ، عن أبيه ، قال : بينما نحن نُصلي مع النبي ﷺ اذ سمع جلبة رجال ، فلما صلى قال : " ما شأنكم ؟ " قالوا : استعجلنا الى

الصلاة ؟ قال : " فلا تَفْعَلُوا إِذَا أُتِيتُمْ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ ، فما أدركتم فصلوا ،
وما فاتكم فأتموا " [صحيح البخاري - كتاب الأذان]

﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي ذلكم السعي وترك البيع خير لكم من
التشاغل بالبيع وابتغاء النفع الدنيوي فان منافع الآخرة خير لكم وأبقى ، فهي
المنافع الباقية ، أما منافع الدنيا فهي زائلة وما عند الله خير لكم ان كنتم تعلمون .
فاذا قضيت الصلاة فابتغوا من فضل الله واطلبوا الثواب من ربكم واذكروا
الله وراقبوه فهو العليم بالسرّ والنجوى . لعلمكم تفوزون بالفلاح في دنياكم وأخرأكم .
وعن عراك بن مالك رضي الله عنه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب
المسجد وقال : ((اللهم أحببت دعوتك ، وصلّيت فريضتك وانتشرت كما أمرتني
فارزقني من فضلك وأنت خيرُ الرازقين)) .

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَمَّوْا أَنْفُسَهُمْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ : أخرج أحمد والبخاري ومسلم
والترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : " بينما نحن نصلّي مع النبي صلى الله عليه وآله اذ
أقبلت من الشام عيرٌ (العيير : كل ما جلب عليه المتاع والتجارة من قوافل الإبل
والبغال والحمير) تحملُ طعاماً ، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي صلى الله عليه وآله الا اثنا
عشر رجلاً فنزلت " : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَمَّوْا أَنْفُسَهُمْ إِلَيْهَا ﴾ [وهذا لفظ البخاري-كتاب
البيوع].

والذي قدّم بهذه التجارة بحية الكلبى من الشام وكان اذا قدم لم يبق أحدٌ بالمدينة
الا أتاه ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدمه فيخرجوا ليبتاعوا منه وكان ذلك
طريق الاعلان عن التجارة حينئذٍ .

﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْجَزْرِ ﴾ أي قل لهم يا محمد ما عند الله مما ينفعكم في الآخرة خير لكم مما يفيدكم في الدنيا من التمتع بخيراتها وكسب لذاتها فتلك باقية وهذه فانية.

﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزْقِينَ ﴾ فاطلبوا الرزق من الله ولا يفوتكم سماع عظامه فانه كفيل يرزقكم ولن ينقص بترككم البيع والشراء حين الصلاة ، وحين سماع العظام والنصائح.

اللهم ارزقنا من حيث لا نحسب وأنت خير الرازقين



ذكر الله خير من زخارف الدنيا

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ المنافقون: ٩ - ١١

يا أيها الذين آمنوا لا يشغلكم تدبير أموالكم والعناية بشؤون أولادكم عن القيام بحقوق الله وأداء فرائضه التي أمرنا بها واجعلوا للدنيا حظاً من اهتمامكم وللاخرة مثله ، عن عبيد الله بن العيزار قال : لقيت شيخاً بالرمْل من الأعراب كبيراً فقلتُ له : لقيتُ أحداً من أصحاب رسولِ الله ؟ قال : نعم ، فقلتُ : من ؟ قال : عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقلتُ له : ما سمعتهُ يقول ؟ قال : سمعتهُ يقول : "أحزِرُ لدنياك كأنك تعيشُ أبداً ، واعملْ لِآخِرَتِكَ كأنك تموتُ غداً " [المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني-كتاب الرقائق] ، ومن تلته الأموال والأولاد عن العبادات فأولئك هم الخاسرون لأنهم باعوا العظيم بالتافه.

﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ أي أنفقوا ببعض ما رزقكم الله شكراً على

عدم ايتار الأموال والأولاد

على حب الله تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوًّا
لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ^{١٤} وَإِن تَعَفُوا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ^{١٥} إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ^{١٥}
فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ^{١٦}
وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ^{١٦} إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا يُضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ^{١٧} عَلِيمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ^{١٨} ﴿التغابن: ١٤ - ١٨﴾

أخرج الترمذي والحاكم وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : " نزلت
هذه الآية ﴿ إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ في قوم من
أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم ،
فأتوا المدينة ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ رأوهم قد فقهوا (الفقه : الفهم) فهموا
أن يُعاقبوهم ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿ وَإِن تَعَفُوا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا ﴾ الآية " هذا
حديث صحيح الاسناد " [المستدرک على الصحيحين للحاكم-كتاب التفسير] .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس ، قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوِّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ كان الرجل إذا أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة تمنعه زوجته وولده ، ولم يألوا يبتطوه عن ذلك ، فقال الله : انهم عدو لكم فاحذروهم واسمعوا وأطيعوا ، وامضوا لسانكم ، فكان الرجل بعد ذلك إذا منع وثبط مر بأهله وأقسم ، والقسم يمين ليفعلن وليعاقبن أهله في ذلك ، فقال الله جل ثناؤه : ﴿ وَإِن تَعَفُّواْ وَتَصَفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري].

يا أيها الذين آمنوا صدقوا بالله ورسوله ان من أزواجكم وأولادكم أعداء لكم يحولون بينكم وبين الطاعات التي تقرّبكم من ربكم والأعمال الصالحة التي تنفعكم في آخرتكم وربما حملوكم على اكتساب الآثام لمنفعة أنفسهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يأتي على الناس زمان لا ينلهم لذي دين دينه إلا من هرب بدينه من شاهر إلى شاهر ، ومن جحر إلى جحر ، فإذا كان ذلك الزمان لم تنل المعيشة إلا بسخط الله ، فإذا كان ذلك كذلك كان هلاك الرجل على يدي زوجته وولده ، فان لم يكن له زوجة ولا ولد كان هلاكه على يدي أبويه ، فان لم يكن له أبوان كان هلاكه على يدي قرابته أو الجيران ، " قالوا : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : " يُعَيِّرُونَهُ بِضَيْقِ الْمَعِيشَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يُورِدُ نَفْسَهُ الْمَوَارِدَ الَّتِي تَهْلِكُ فِيهَا نَفْسُهُ " [الزهد الكبير للبيهقي - فصل في ترك الدنيا ومخالفة النفس والهوى].

ومن المفسرين من حمل العداوة على العدوانية الدنيوية وقالوا : ان الزوجات والأولاد ربما آذوا أزواجهم وآباءهم وجرعوهم الآلام وربما جرّ ذلك إلى قتلهم وهذا

من المشاهد في هذه الدنيا . وملخص القول ربما العداوة الأخروية وذلك بمنعهم من عمل الخير تكون عداوة حقيقية لها آثارها الدنيوية . ثم أرشد الله تعالى الى العفو عن ذنوبهم التي ارتكبوها بقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

ثم بين الله تعالى ان الاموال والاولاد فتنة فقال : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي اختبار بما يترتب عليكم من وقوع في الآثام لأجلهم . وقدمت الأموال على الأولاد لأنها أعظم فتنة كما قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَضَ ﴿٧﴾ ﴾ العلق : ٦ - ٧ .

أخرج احمد والطبراني والحاكم عن كعب بن عياض ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " اِنَّ لِكُلِّ اُمَّةٍ فِتْنَةٌ ، وَاِنَّ فِتْنَةَ اُمَّتِي الْمَالُ " [مسند أحمد بن حنبل]

﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ لمن آثر محبة مطاعيه على محبة الأموال والأولاد.

﴿ فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ أي ابدلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم ، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ ، قال : " ، فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، واذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم " [صحيح البخاري-كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة].

ونحو هذه الآية قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران : ١٠٢ .

﴿وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ أي كونوا منقادين لما يأمركم الله ورسوله به.

﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي أنفقوا على الفقراء والمساكين ذوي

الحاجات وذلك خير لكم ولأنفسكم من الاموال والأولاد.

﴿وَمَنْ يُوقْ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي ومن يبتعد عن البخل

والحرص على المال يكن من الفائزين بكل ما يرجو فيكون محبباً للناس قريراً العين برضاهم عنه سعيداً بالقرب من ربه ومحبتة ورضوانه ودخوله الجنة.

﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ أي ان تنفقوا في طاعة

الله باخلاص فالحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ويستر عليكم زلاتكم.

عن أبي هريرة ، يقول : قال رسول الله ﷺ : " ينزل الله في السماء الدنيا

لشطر الليل ، أو الثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، أو يسألني فأعطيه ، ثم يقول : من يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ ، وَلَا ظَلُومٍ " [صحيح مسلم -

كتاب صلاة المسافرين وقصرها].

وعن أبي هريرة ؓ ، قال : قال رسول الله ﷺ : " يقول الله عز وجل

اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي ، فَأَبَى أَنْ يُقْرِضَنِي وَسَبَّيْتُ عَبْدِي ، وَلَا يَدْرِي يَقُولُ : واداهراه

واداهراه ، وأنا الدهر " ثم تلا أبو هريرة قولَ الله عز وجل : ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا

حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ﴾ " هذا حديثٌ صحيحٌ على شرطِ مُسْلِمٍ " [المستدرک علی

الصحيحين للحاكم-كتاب التفسير].

ونحو الآية ما جاء في سورة البقرة ﴿فِيضْعَفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾

البقرة: ٢٤٥ .

﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ يثبت من أطاعه ، حلِيم بعقوبته لمن عصاه وأذنب
﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ العليم بما غاب عنكم وربما تشهدونه ،
فكل ما تعملون محفوظ لديه في أم الكتاب لا يعزبُ عنه مثقال ذرّة ، وسيثيبكم
عليه وهو ذو العزّة والقدرة ، الحكيم في تدبير خلقه.



الوقاية من النار

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ

عَلَيْهَا مَلَكِيَةٌ غُلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْبُدُوا الْيَوْمَ إِلَّا بَعْضَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

التحریم: ٦ - ٧

يا أيها الذين آمنوا وصدقوا بالله ورسوله اتقوا النار عنكم وعن أهليكم بالعمل بما أمركم الله به من الطاعة والفرائض.

ونحو الآية قوله تعالى: ﴿ وَأُمَّرُأَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ طه: ١٣٢.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٤.

أخرج البيهقي والحاكم عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، في قوله عز وجل :

﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ قال : " عَلِّمُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ الْخَيْرَ " والمراد بالأهل

ما يشمل الزوجة والولد والعبد والأمة.

روى البيهقي عن ثابت ، قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصابته خصاصة نادى

يا أهلاه صلُّوا صلُّوا . "

﴿ عَلَيْهَا مَلَكِيَةٌ ﴾ أي موكلٌ عليها ويلى أمرها تسعة عشر ملكاً هم زبائنها

لقوله تعالى: ﴿ سَأَصْلِيهِ سَفَرٌ ﴿٣٦﴾ وَمَا آذَنَّاكَ مَا سَفَرٌ ﴿٣٧﴾ لَا نُبْقِي وَلَا نَنْذَرُ ﴿٣٨﴾ لَوْاعَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةٌ

عَشْرَ ﴿٣٠﴾ المدثر: ٢٦ - ٣٠ .

﴿ غَلَاظُ شِدَادٍ ﴾ أي غلاظ على أهل النار أشداء عليهم.

﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ لا يخالفون أوامر الله ويؤدون ما

أمرهم ، أي يمتثلون الأمر ولا يمتنعون عن تنفيذه بل يؤدونه من غير تناقل ولا
توان.

﴿ يَتَأَيَّبُهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِنْ عَذَبُوهُمْ ﴾ قد فاتكم الأوان فلات ساعة ندم.

ثم ذكر سبب عدم الفائدة في الندم لأنكم تتأبون اليوم وتعطون جزاء أعمالكم
التي عملتموها في الدنيا فلا تطلبوا المعاذير منها.



التوبة تمحو السيئات

﴿بَارئَهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ
عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا
يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَأَعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾
التحرير: ٨

أيها الذين صدقوا بالله ورسوله توبوا عن ذنوبكم الى طاعة الله والعمل بما يرضيه عسى الله أن يمحو سيئاتكم ويغفر لكم خطاياكم ويدخلكم جنات تجري تحتها الأنهار حين لا يخزي الله النبي محمداً ﷺ والمؤمنين به.

عن النعمان بن بشير ، قال : سئلَ عُمَرُ عن التَّوْبَةِ النَّصُوحِ ، قال : التَّوْبَةُ النَّصُوحُ : أن يَتُوبَ الرَّجُلُ مِنَ الْعَمَلِ السَّيِّئِ ، ثم لا يعودَ اليه أبداً إجماع البيان في تفسير القرآن للطبري] ، وهكذا روي عن ابن مسعود وأبي بن كعب والحسن وغيرهم.

وقال الأمام النووي : التوبة النصوح ما استجمعت ثلاثة أمور :

- ١- الإقلاع عن المعصية.
- ٢- الندم على فعلها .
- ٣- العزم على ان لا يعود الى مثلها أبداً .

فاذا كانت المعصية تتعلق بأدمي وجب ردّ المظلمة الى صاحبها أو ورثته
أو تحصيل البراءة منه.

وإذا كانت المعصية في حق الله كفى فيها الندم كما في الفرار من الزحف
وترك الأمر بالمعروف ، وان تعلقت بحقوق العباد لزم مع الندم العزم على إيصال
الحقوق لأصحابها.

﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ أي يمشون ونورهم يسعى بين أيديهم
وبأيمانهم يوم الحساب لأنهم يؤتون الكتاب بأيمانهم وفيه نور وخير لهم.

﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا نُورًا وَاعْفِرْ لَنَا ﴾ أي يسألون ربهم أن يبقى لهم نورهم

فلا يطفئه حتى يجوزوا الصراط حين يقول لهم المنافقون : ﴿ أَنْظِرُونَا نَقِيسَ مِنْ نُورِكُمْ

قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ الحديد: ١٣ .

﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي انك قادر على اتمام نورنا وغفران ذنوبنا

فاللهم أجب دعاءنا ولا تخيب رجاءنا .

وروي أن السابقين الى الجنة يمرّون على الصراط مثل البرق ويمر بعضهم

كالريح ، وبعضهم حبواً ويزحف زحفاً وهم الذين يقولون : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا نُورًا ﴾ .



الخاتمة

رَبَّنَا أَتَمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ كَرِيمٌ
تُحِبُّ الْعُفْوَ يَا رَبَّ فَاعْفُ عَنَّا
وَاجْعَلْنَا يَا رَبَّ مِنْ عَتَقَاءِ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ
وَتَقَبَّلْ مِنَّا وَأَجِبْ دُعَاءَنَا وَيَسِّرْ أُمُورَنَا
وَاجْعَلِ الْقُرْآنَ رِبِيْعَ قُلُوبِنَا وَنُورَ عَيُونِنَا
وَاجْعَلْهُ حِجَّةً لَنَا لَا حِجَّةَ عَلَيْنَا
رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مَنَادِيًّا يَنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا
رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا
وَتُوفِنَا مَعَ الْأَبْرَارِ
مُسْلِمِينَ طَائِعِينَ لِلَّهِ قَانِتِينَ سَاجِدِينَ
اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا فِيهِ خَيْرُكَ وَرِضَاكَ يَا رَبَّ
اللَّهُمَّ ارْحَمْ وَالِدِيَّ كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا
اللَّهُمَّ وَاذْفَعْ قَدْرَ السَّيِّئَاتِ (مَيْسُونُ إِبْرَاهِيمَ سَلِيمَانَ)
كَاتِبَةُ هَذَا النُّورِ الْمُبَارَكِ عَلَى آلَةِ الْحَاسِبَةِ ، وَنُورَ طَرِيقِهَا
لِلْخَيْرِ وَالْعَطَاءِ دَائِمًا وَارِضَ عَنْهَا وَأَدْخِلْهَا فِسِيْحَ جَنَّاتِكَ

الأحد : ١٤ / رمضان / ١٤٣٧ هـ

الموافق : ١٩ / ٦ / ٢٠١٦ م

المصادر

١. القرآن الكريم .
٢. جامع البيان في تفسير القرآن للطبري .
٣. تفسير المراغي / أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير - أحمد مصطفى المراغي (رحمه الله) .
٤. الجامع لأحكام القرآن / تفسير القرطبي لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق : عبدالرزاق مهدي .
٥. صفوة التفاسير / تأليف العلامة محمد علي الصّابوني .
٦. التفسير الواضح الميسر / للشيخ محمد علي الصّابوني .
٧. التفسير الوسيط / أ.د. وهبه الزحيلي .
٨. التفسير الموضوعي للحافظ المتقن مع أسباب النزول وشرح المفردات بهامش القرآن الكريم .
٩. مختصر تفسير الطبري / يحيى محمد بن حمادج النجيبى المتوفى سنة (٤١٩هـ) .
١٠. تفسير الإمامين الجليلين / العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، والحبر جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي .
١١. زبدة التفاسير / لفضيلة الإمام محمد متولي الشعراوي ، أعدّه وعلق عليه وقد له / عبدالرحيم محمد متولي الشعراوي .
١٢. تفسير القرآن الكريم - أولى ما قيل في آيات التنزيل / تأليف : رشيد الخطيب الموصلّي .
١٣. تفسير ابن أبي حاتم .

١٤. أسباب التنزيل للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى سنة (٤٦٨هـ) .
١٥. الصحيح البخاري / العلامة المدقق أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه وأرضاه .
١٦. صحيح مسلم / أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري بشرح النووي - الإمام الحافظ محي الدين أبو زكريا يحيى ابن شرف .
١٧. مسند أحمد بن حنبل .
١٨. السنن الكبرى للبيهقي .
١٩. السنن الكبرى للنسائي .
٢٠. سنن أبي داود / للإمام الحافظ المصنف المتقن أبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني الأزدي - ضبط الأحاديث وعلق حواشيه : محمد محي الدين عبدالحميد .
٢١. سنن ابن ماجه / الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ) - حقق نصوصه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبدالباقي .
٢٢. سنن الترمذي الجامع الصحيح / للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي - حققه وصححه عبدالوهاب اللطيف .
٢٣. دلائل النبوة للبيهقي .
٢٤. المستدرک على الصحيحين للحاكم .
٢٥. معرفة الصحابة لأبي نعيم الاصبهاني .
٢٦. المناسك لابن أبي عروبة .
٢٧. المفردات في غريب القرآن / الراغب الاصفهاني في ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني .

٢٨. لطائف قرآنية / صلاح الخالدي .
٢٩. شعب الإيمان للبيهقي .
٣٠. المعجم الأوسط للطبراني .
٣١. المطالب العالية للحافظ بن حجر العسقلاني .
٣٢. دلائل النبوة لأبي سعيد الاصبهاني .
٣٣. مصنف ابن أبي شيبة .

المكتبة العامة
الموسم صليبه

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة للشيخة الموصلية	٣
كلمة الاستاذ حازم شاكر مصطفى	٧
كلمة الشيخ فتحي أحمد طه الزبيدي	١٣
الادب مع النبي ﷺ	١٥
الاستعانة بالصبر والصلاة والشهادة في سبيل الله	١٧
اباحة الطيبات وتحريم الخبائث	١٩
عقوبة القصاص	٢١
صيام رمضان	٢٤
الاستسلام والخضوع لله والاخلاص له	٣٤
الصدقات	٣٧
تحريم المن والأذى في الصدقات	٣٩
انفاق الطيبات	٤١
تحريم الربا	٤٥
آية الدين	٤٨
تحذير المؤمنين من مؤامرات أهل الكتاب	٥٠
الاعتصام بحبل الله والقرآن والسنة	٥٢
النهي عن اتخاذ البطانة من غير المسلمين	٥٥

الموضوع	رقم الصفحة
اتقوا النار	٥٧
عدم موالاتة الكفار	٥٩
وسوسة الشيطان	٦١
الصبر والمرابطة	٦٣
معاملة المرأة في الإسلام	٦٥
الاعتداء على أموال الناس بالباطل	٦٧
تحريم الصلاة حال السكر و رخصة التيمم	٦٩
اطاعة الله والرسول والكفر بالطواغيت	٧٢
الحذر داخل في القدر	٧٧
التثبيت في الاقدام	٨٠
العدل والشهادة بالحق	٨٣
اركان الإيمان	٨٥
عدم موالاتة المنافقين	٨٦
الايفاء بالعقود	٩٠
عدم الاعتداء على حدود الله	٩٢
الوضوء	٩٦
اداء الشهادة بالإخلاص لله	١٠٢
التذكير بنعم الله	١٠٤

الموضوع	رقم الصفحة
ابتغاء الوسيلة لمرضاة الله عز وجل	١٠٧
عدم موالاتة اليهود والنصارى	١١١
المرتدين عن دين الإسلام	١١٥
عدم موالاتة المستهزئين بآيات الله	١٢٠
عدم تحريم الطيبات	١٢٢
حكم الخمر وبيان مضارها	١٢٦
الابتلاء ... والطاعة	١٣١
النهي عن الصيد المحرم بحج أو عمرة	١٣٣
كثرة السؤال	١٣٦
أصلحوا أنفسكم وأصلحوا غيركم	١٣٩
الشهادة على الوصية	١٤٢
الفرار من الزحف من كبائر المعاصي	١٤٥
إطاعة الله والرسول واجبة	١٤٧
الامتثال لأوامر الله والرسول	١٤٩
الخيانة لمن لا عهد له	١٥١
تقوى الله (بتترك الذنوب والآثام)	١٥٥
الثبات في الحرب	١٥٧
ترك الأبناء والأخوة غير المسلمين	١٦٠
المشركون نجس	١٦٢

الموضوع	رقم الصفحة
أكل أموال الناس وعدم الإنفاق في سبيل الله	١٧٠
غزوة تبوك	١٧٤
الصدق ... ومراقبة الله عزوجل	١٧٨
بعض قواعد وأحكام الجهاد	١٨٠
من شرائع الله وأحكامه	١٨٢
التحذير من وساوس الشيطان	١٨٦
آداب الاستئذان في الإسلام	١٨٨
آداب الزيارة والاستئذان	١٩١
غزوة الأحزاب أو الخندق	١٩٥
أحداث غزوة الخندق / تجمع الأحزاب والمنافقين	٢٠١
غزوة الخندق / توبيخ المنافقين	٢٠٥
غزوة الخندق / حال المؤمنين في القتال وغيره	٢٠٧
ذكر الله تعالى	٢١٠
أحكام طلاق المرأة غير المدخول بها	٢١٣
آداب دخول البيت النبوي	٢١٤
حكم ايذاء النبي والمؤمنين	٢١٧
تحريم ايذاء الأنبياء	٢٢٠
الفوز العظيم	٢٢٢
الله ناصر المؤمنين	٢٢٣

الموضوع	رقم الصفحة
اطاعة الله والرسول	٢٢٥
تقديم الكتاب والسنة والآداب مع رسول الله	٢٢٨
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي	٢٣٠
نبأ الفاسق	٢٣٦
السخرية والتنازير بالألقاب	٢٤٠
سوء الظن والتجسس والغيبة	٢٤٥
ضعفين من الأمر ... لمن؟؟	٢٥٠
آداب المناجاة	٢٥٣
آداب الجلوس	٢٥٥
التصدق قبل مناجاة الرسول	٢٥٧
عدم مولاة الأعداء	٢٦٠
اختبار المهاجرات إلى دار السلام	٢٦٤
لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم	٢٦٨
محاسبة النفس	٢٦٩
تطابق القول مع العمل	٢٧٢
التجارة الناجحة	٢٧٤
أنصار دين الله	٢٧٦
صلاة الجمعة	٢٧٨
ذكر الله خير من زخارف الدنيا	٢٨١

الموضوع	رقم الصفحة
عدم ايثار الأموال والأولاد على حب الله تعالى	٢٨٣
الوقاية من النار	٢٨٨
التوبة تمحو السيئات	٢٩٠
الخاتمة	٢٩٢
المصادر	٢٩٣
الفهرست	٢٩٦
البطاقة الشخصية للشيخة الموصلية	٣٠٢
اصدارات الشيخة الموصلية (أم نصير)	٣٠٥

البطاقة الشخصية للشيخة الموصلية

ولدت في الموصل الحدياء وتخرجت من معهد إعداد المعلمات وعينت في محافظة الانبار أولى محطات مسيرتي التعليمية التي لم تتوقف بتقاعدي بعد خمس وعشرين سنة من الخدمة في مجال التعليم .

وأحظى بحياة أسرية مستقرة ولي ولدان وثلاث بنات ، بدأت بتدريس التربية الإسلامية بعد دورات تلقيت فيها أحكام التلاوة ، فأصبح شغلي وشاغلي هو ضبط هذه الأحكام وقراءة القرآن الكريم بالصورة التي قرأ بها رسول الله ﷺ من رب العزة ، وقد كنت استعين بجهاز التسجيل لتسجيل المقرر على الطلبة من القرآن الكريم على كاسيتات يستمع إليها الطلبة ثلاث مرات ، وقد سر مشرفوا التربية الإسلامية بهذا العمل وأخص منهم بالذكر الشيخ المرحوم (يونس إبراهيم الطائي) الذي كلفني مرات عديدة بإلقاء دروس تدريبية للمعلمين والمعلمات ، وكذلك الأستاذ الفاضل (ضرار جاسم محمد) المشرف التربوي والاختصاصي للتربية الإسلامية الذي كنت أعتد عليه في انتقاء مواضيع الوسائل التعليمية والنشرات الخاصة بالمدارس .. ويشجيني على عمل المعارض الإسلامية ، فكان سنداً وأخاً عزيزاً ، وكانت الوسيلة العلمية والنشرة المدرسية تحوز على المرتبة الأولى بين المدارس المشاركة في نينوى كانت أم في بغداد .

قيل لي انك امرأة متعددة المواهب ؟

نعم ... كان من المهم بالنسبة لي أن أتمكن من التأثير في بناتي وأبنائي الطلبة وأتمكن وأمكن نفسي دون الحاجة إلى غيري من التمكين ، فأنا ماهرة في الخياطة والتطريز ، دخلت دورة لتعليم السيراميك والنقش على الجلود وطرق المعادن وكانت مدة الدورة أربعة شهور ، حصلت فيها على تقدير متميز بتشجيع من مشرفي التربية الفنية ، وأقامت عدة معارض فنية في التطريز والزخرفة

والسيراميك في عدد من مدارس مدينة الحدباء واجتهدت في توظيف تلك الفنون إسلامياً في تلك الفترة وما بعدها بما تحتويه اللوحات الخطية والزخارف والرسوم من معلومات دينية وآيات قرآنية وأحاديث شريفة ... منها معرض (الأخلاق الإسلامية) ومعرض (قصص الأنبياء في القرآن الكريم) ومعرض (الله خالق كل شيء) وكذلك معرض خاص بالرحلات التاريخية (الحج إلى بيت الله الحرام) ومعرض (مساجد الموصل وجوامعها) وقد أعلن عنها في حينها في العديد من الصحف والمجلات منها جريدة الحدباء وفتى العراق وومضات جامعية ومجلة العلاء .

إلى أن من الله عليّ بمتابعة برنامج (كيف نقرأ القرآن) الذي يقدمه الدكتور أيمن رشدي سويد على قناة اقرأ الفضائية ، كنت أدون المعلومات وأراجعها وعرضت تلاوتي على الشيخ الدكتور أيمن ، وكنت أول متصل من العراق بهذا البرنامج ، فأثنى على قراءتي وأصبح القرآن ملازماً لي في كل تفاصيل حياتي .. استحضر في قلبي وذاكرتي قول الله عز وجل ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ وحاولت وما أزال أن استكمل معلوماتي في هذا الباب الواسع من أبواب العلم يحدوني في ذلك قول رسول الله ﷺ ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)) أحفظ القرآن فحراً عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ .

قرأت على الشيخ عبداللطيف خضر الصوفي . أطال الله في عمره . فأجازني بقراءة حفص عن عاصم في السادس من جمادى الثاني ١٤٢٤ هـ ، وأكملت قراءة شعبة الراوي الأول عن عاصم وقرأت بالرواية على الدكتور الشيخ بشير شكر حنون فأجازني بقراءة حفص وشعبة ... أقبلت بعدها على إعطاء

دروس أحكام التلاوة في جوامع الموصل ، وكان لي من الطالبات في كل جامع ما يزيد على خمسين طالبة ، أجزت عدداً منهن حفظاً وقرآناً .

أما عن القراءات السبع والعشر ؟

بدأت بدراستها في محرم ١٤٢٦ هـ وقرأت على الشيخ محمد نوري المشهداني فأكملت أمامه قراءة الجمع الصغير ، وبدأت بقراءة الجمع الكبير إلى الآية : ٢١٩ من سورة البقرة إلا أن الأوضاع الأمنية وصعوبة الانتقال من ساحل إلى آخر مما حال بيني وبين إكمال قراءتي على الشيخ المشهداني فأكملت قراءة الجمع الكبير للائمة السبعة على الشيخ عبداللطيف خضر الصوفي ، وختمت القرآن والتكبيرات يوم الأربعاء ١٤ شوال ١٤٢٦ هـ ، ثم أكملت القراءات العشر الصغرى والكبرى ... والشيخ الصوفي هو الذي لقبني بـ (درة النساء) وقد حاولت تدليل ما اعترضني من الصعوبات بعد أن حملت هذه الأمانة العلمية أمام طالباتي .

إن علم القراءات من أشرف العلوم لصلته بكتاب الله عز وجل ، السراج الذي لا يخبو توقده .. والبحر الذي لا يدرك قعره .. الحمد لله ان جعلني من ورثة القرآن الكريم وقد جاء في الحديث القدسي ((من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين)) .

ومن فضل الله عليّ كلفت حسبة لوجه الله تعالى بإدارة ثانوية السيدة عائشة أم المؤمنين الإسلامية للبنات وإدارة مركز خديجة الكبرى لإقراء وتحفيظ القرآن الكريم بفرعيه الأول والثاني .

إصدارات الشبيخة الموصلية (أم نصير)

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾

سلسلة أحكام التلاوة بثلاثة أجزاء

١. أحكام التلاوة للمرحلة التمهيدية برواية حفص عن عاصم .
٢. تنبيهات خاصة للمرحلة التطويرية .
٣. أحكام التلاوة من قناة اقرأ الفضائية .
٤. رواية شعبية / الراوي الأول لعاصم بن أبي النجود من طريق الشاطبية .
٥. كيف وقف الإمام حمزة على الكلمات المهموزة في القرآن الكريم .
٦. القرآن الكريم وبهامشه قراءة أبي عمرو البصري وبروايتي الدوري والسوسي من طريق الشاطبية .
٧. القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام نافع المدني بروايتي قالون وورش من طريق الشاطبية .
٨. القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام حمزة بروايتي خلف وخلاد من طريق الشاطبية .
٩. القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام ابن كثير المكي بروايتي البزي وقنبل من طريق الشاطبية .
١٠. القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام ابن عامر الدمشقي بروايتي هشام وابن ذكوان من طريق الشاطبية .
١١. القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام الكسائي بروايتي أبو الحارث والدوري من طريق الشاطبية .

١٢. القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام عاصم ابن أبي النجود الكوفي بروايتي شعبة وحفص ابن سليمان من طريق الشاطبية .
١٣. القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام أبو جعفر يزيد بن القعقاع بروايتي ابن وردان وابن جَمَاز من طريق الدرّة .
١٤. القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام يعقوب البصري بروايتي رويس وروح من طريق الدرّة .
١٥. القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام خلف بن هشام (العاشر) بروايتي إسحاق وإدريس من طريق الدرّة .
١٦. كتاب (فالتمسوا نوراً) آيات التشريع والأحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآيات أخلاق وقيم مع شرحها وتفسيرها وأسباب نزولها والأحاديث الواردة في شأنها .
١٧. كتاب (قل - وقل - فقل) الآيات المبتدئة بهذه الكلمات مع شرحها وتفسيرها وأسباب نزولها مدعمة بالأحاديث الصحيحة .
١٨. كتاب (يا أيها الذين آمنوا) الآيات المبتدئة بهذه التسمية مع شرحها وتفسيرها وأسباب نزولها والأحاديث الصحيحة التي وردت في تفسيرها .
١٩. كتاب (اللآلئ الكاسيات) رسالة تذكرة إلى المرأة المسلمة .
٢٠. قصص الحيوان في القرآن / شرح وتفسير أسباب نزول مع الإعجاز العلمي وآيات الله في الحيوان .